

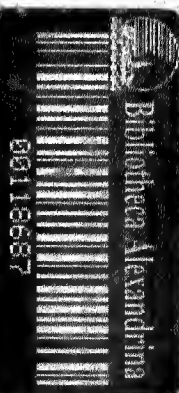
المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية

من خلافة المأمون
حتى وفاة المتوكل على الله

١٩٨ هـ / ٢٤٧ هـ - ٨١٣ م / ٨٦١ م

تأليف

أحمد شوقي إبراهيم العمرجي



المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية

الكتاب: المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية

الكاتب: د. أحمد شوقي إبراهيم العمرجي

كلية الآداب - جامعة اسيوط

الطبعة: الأولى ٢٠٠٠

الناشر: مكتبة مدبولي ٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة

تليفون: ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

موقعنا على شبكة الأنترنت: www.madbuli.com

لوحه الغلاف: محمد لطفى

رقم الإيداع: ٩٩ / ١٥٢٤٧

الترقيم الدولى: 7 - 297 - 208 - 977

١٥٧/١

237.254

٥٩٥٥٥



Nationalization of the Alexandria Library (GOAL)

المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية

من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله
من سنة (١٩٨-٢٤٧هـ) / (٨١٣-٨٦١م)

تأليف:

د . أحمد شوقي إبراهيم العمرجي

كلية الآداب - جامعة اسيوط

الهيئة العامة للكتاب - مكتبة مدبولي
رقم الكتاب 237.834.095.67
م.ع. ٣
٤٤٦٩٨

الناشر

مكتبة مدبولي

٢٠٠٠

جميع حقوق الطبع محفوظة.

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١ - فاكس: ٥٧٥٢٨٥٤ Tel.: 5756421 - Fax: 5752854 6 Talat Harb SQ.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
• مقدمة:	٩
الفصل الأول:	١٩
نشأة المعتزلة:	١٩
• تمهيد:	٢٠
• الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة:	٢٦
• مبادئ المعتزلة الدينية:	٣١
- التوحيد:	٣٢
- العدل:	٣٥
- الوعد والوعيد:	٤٠
- المنزلة بين المنزلتين:	٤٣
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:	٤٤
• انتشار تعاليمها في بغداد:	٤٦
الفصل الثاني:	٥٧
أثر المعتزلة في الحياة السياسية:	٥٧
• محنة خلق القرآن في عصر المأمون وأثرها في الحياة السياسية في بغداد:	٥٨
• محنة خلق القرآن في عهد المعتصم:	٦٧
• محنة خلق القرآن في عهد الواثق:	٧٢
• نهاية المحنة في خلافة المتوكل:	٧٨

الموضوع	الصفحة
• أثر المعتزلة فى الفكر السياسى:	٨٣
الفصل الثالث:	٨٩
أثر المعتزلة فى الحياة الفكرية:	٨٩
١- موقف المعتزلة من الكتاب والسنة:	٩٠
- موقف المعتزلة من القرآن وإعجازه:	٩٠
- تأويل المعتزلة للقرآن:	٩٢
أ- تأويل الآيات التى تثبت الرؤية:	٩٣
ب- تأويل آيات التجسيم والتشبيه:	٩٥
ج- تأويل الآيات التى تقول بالجبر والقدر:	٩٦
- موقف المعتزلة من السنة:	٩٨
- رأى المعتزلة فى الصحابة:	١٠٣
٢- المعتزلة والفقهاء:	١٠٦
- آراء المعتزلة وموقف الفقهاء منها:	١٠٩
- فضائل المعتزلة ودفاعهم عن الإسلام:	١١٤
٣- المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقى:	١١٨
- أثر الترجمة عن الإغريقية فى الاعتزال:	١٢٤
٤- المعتزلة والحياة الأدبية:	١٣١
أولاً: النشر:	١٣٢
• الخطابة والمواعظ:	١٣٢

الموضوع	الصفحة
• المناظرات والجدل:	١٣٤
• الوصف:	١٣٦
• الرسائل الأدبية والإخوانية:	١٣٧
• التهكم والسخرية والمرح:	١٣٨
ثانيا: الشعر:	١٤٠
• الغزل:	١٤١
• المدح:	١٤٣
• ما قيل في هجاء المعتزلة:	١٤٦
٥- أشهر علماء المعتزلة في بغداد:	١٤٩
١ - بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م):	١٤٩
٢ - ثمامة بن الأشرس (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م):	١٥١
٣ - أبو موسى المرداد (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م):	١٥٣
٤ - جعفر بن مبشر (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م):	١٥٤
٥ - جعفر بن حرب (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م):	١٥٦
٦ - أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م):	١٥٧
الفصل الرابع:	١٦١
أثر المعتزلة في العالم الإسلامي سياسيا وفكريا:	١٦٢
• تمهيد:	١٦٢
• في بغداد والمشرق:	١٦٤

الموضوع	الصفحة
• فى مصر والشام: —————	١٧١
• فى المغرب: —————	١٧٧
خاتمة: —————	١٨٥
الملاحق: —————	١٩١
ملحق (١) خطبة واصل بن عطاء التى جانب فيها الرأء: —————	١٩٢
ملحق (٢) كتاب المأمون الأول إلى إسحق بن إبراهيم: —————	١٩٤
ملحق (٣) كتاب المأمون الثالث إلى إسحق بن إبراهيم: —————	١٩٧
ملحق (٤) كتاب المأمون الرابع إلى إسحق بن إبراهيم: —————	٢٠٠
ملحق (٥) كتاب المعتصم إلى كيدر والى مصر: —————	٢٠٤
المصادر والمراجع: —————	٢٠٥

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وبعد، فهذا موضوع يتناول المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة السياسية والفكرية من خلافة المأمون حتى وفاة المتوكل على الله .

وترجع أهمية هذا البحث الى ما اتسمت به هذه الفترة من سمات هامة، وما حدث فيها من أحداث كان لها تأثير كبير في الدولة الإسلامية، وقد ظهر المعتزلة في بداية القرن الثاني الهجري في مدينة البصرة التي كانت في ذلك العصر مجمعا للعلم والأدب في الدولة الإسلامية مشبعة الجو بآثار الثقافات الأجنبية، وكانت موضعاً يلتقى فيه أتباع الأديان المختلفة المنتشرة آنذاك.

شهدت هذه الفترة ازدياد نفوذ المعتزلة، وذلك في عهد الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق وقيامهم بامتحان الناس في القول بخلق القرآن، وسمى ذلك بالمحنة. والحق أن المعتزلة كانوا طلاباً للعلم فقربهم المأمون اليه، وآمن بمبادئهم وعمل على عقد مجالس المناظرة لهم، وأصبح المعتزلة في عهده ذوى نفوذ كبير في عصر الخلافة العباسية، وجلس المأمون من علمائهم مجلس التلميذ من الأستاذ، وفرض عقائد المعتزلة وامتحانهم في ذلك.

وبعد وفاة المأمون (٢١٨هـ / ٨٣٣ م) سار المعتصم على طريقه وحمل الناس على القول بخلق القرآن.

وفي عهد الواثق (٢٢٧ / ٢٣٢ هـ / ٨٤١ - ٨٤٦ م) تعصب للقول بخلق القرآن واستمر في امتحان الناس، وأصبح الاعتزال المذهب الرسمي في الدولة.

ولما تولى المتوكل على الله الخلافة سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦ م) قام بإجراءات بالغة الأهمية للحد من نفوذ المعتزلة حتى كانت هذه الخطوة من جانب المتوكل بداية النهاية لحركة المعتزلة. وكان لعمل المتوكل هذا اثر حسن في نفوس المسلمين فأولوه

احترامهم وبالغوا فى الثناء عليه حتى قال قائلهم :

الخلفاء ثلاثة أبو بكر الصديق يوم الردة ، وعمر بن عبد العزيز فى رد المظالم، و المتوكل فى أحياء السنة.

وقد لعب الفكر الاعتزالى دوراً هاماً فى صياغة الفكر الإسلامى وفى التأثير فى المجتمع منذ أواخر القرن الأول الهجرى، ولم ينفك هذا التأثير بإيجابياته وسلبياته يقوى الى أن بلغ أوجه فى القرن الثالث الهجرى، و كان المعتزلة يقدمون العقل على النص اذا ما بدا اختلاف بينهما.

وقد قسمت كتابى هذا الى أربعة فصول، تحدثت فى الفصل الأول عن نشأة المعتزلة كفرقة دينية، وعن الأصل التاريخى لهذه النشأة، ووضحت مبادئ المعتزلة الدينية وهى أصولهم الخمسة التى قامت عليها حركة الاعتزال، وأثر هذه الأصول فى آراء المعتزلة ثم تحدثت عن انتشار هذه المبادئ فى بغداد.

وفى الفصل الثانى تناولت بالبحث أثر المعتزلة فى الحياة السياسية مع بيان محنة خلق القرآن فى عصر المأمون وأثرها فى الحياة السياسية فى بغداد، ومحنة خلق القرآن فى عهد المعتصم، ومحنة خلق القرآن فى عهد الواثق، ثم نهاية المحنة فى خلافة المتوكل على الله، وأثر المعتزلة فى الفكر السياسى.

أما فى الفصل الثالث فقد وجهت اهتمامى الى دراسة أثر المعتزلة فى الحياة الفكرية، ووضحت موقف المعتزلة من الكتاب والسنة، ثم المعتزلة والفقهاء، وتحدثت عن المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقى، ومدى تأثر المعتزلة بهذا الفكر، وانعكاس ذلك على أفكارهم، ثم وضحت أثر المعتزلة فى الحياة الأدبية، وأشهر علماء المعتزلة فى بغداد.

وخصصت الفصل الرابع لدراسة أثر المعتزلة فى العالم الإسلامى سياسياً وفكرياً، ووضحت هذا الأثر فى بغداد والمشرق، وفى مصر والشام، وفى المغرب.

وقد اعتمدت فى هذا على عدد من المصادر القديمة والمخطوطات، ومن هذه

المخطوطات التي رجعت إليها. « تاريخ المحنة » لعبد الغنى الجماعيلي (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م) وهو مخطوط فى ثلاثة أجزاء، وموجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٥ تاريخ، وفيه عرض شيق للمحنة منذ عهد المأمون حتى ولاية المتوكل . الخلافة، وقد وصف المؤلف محنة الإمام أحمد بن حنبل وصفا شاملا دقيقاً، فرسم بذلك صورة واضحة لتاريخ المعتزلة فى تلك الفترة وموقف الخلفاء العباسيين منها.

وكذلك رجعت لمخطوط «كتاب الأوائل» لمؤلفه جلال الدين السيوطى (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) وهذا المخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩١ تاريخ، وقد أفادنى فى دراسة المحنة ودور الخلفاء العباسيين فيها. ورجعت أيضاً لمخطوط «طبقات الإباضية» لمؤلفه أبو العباس أحمد الدرجيني المتوفى فى منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وهذا المخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٦١ ح، وقد أفادنى فى دراسة أثر المحنة فى العالم الإسلامى سياسياً وفكرياً.

وكذلك رجعت لمخطوط «السيرة وأخبار الأئمة» لمؤلفه يحيى بن أبى بكر أبو زكريا المتوفى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)، وهذا المخطوط موجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٣٠ ح، وقد أفادنى فى دراسة أثر المحنة فى المغرب.

واعتمدت فى هذا البحث على كتاب لليعقوبى وهو أحمد بن أبى يعقوب بن واضح. كان جده من موالى الخليفة المنصور، وكان اليعقوبى رحالة ومؤرخاً وجغرافياً جاب الأقطار الإسلامية وتوفى نحو سنة (٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)، وكتابه فى التاريخ يعرف «بتاريخ اليعقوبى» وهو مطبوع فى مطبعة النجف الأشرف بالعراق. ويكاد اليعقوبى أن يكون معاصراً للحوادث التى يروى أخبارها فى كتابه، لهذا يعتبر كتابه مصدراً جديراً بالثقة.

وقد استفدت من هذا الكتاب فى دراسة مراحل المحنة من عهد المأمون الى عهد

المتوكل على الله، فأعطى بذلك صورة واضحة عن المحنة ودور الخلفاء فيها. ومن أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة أيضاً كتاب الطبرى «تاريخ الأمم والملوك» لمؤلفه، الطبرى «أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى» الذى ولد فى أمل - إحدى قرى طبرستان على الشاطئ الجنوبى لبحر قزوين - وقد رحل الى مصر والشام والعراق وطلب العلم فى بغداد وفى مصر، وقد توفى الطبرى سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) فى بغداد.

ويعد الطبرى من أشهر المؤرخين المسلمين. إذ كان حافظاً لكتاب الله - عز وجل - فقيهاً بأحكام القرآن عالماً بالسنن عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين واشتهر الطبرى بمثابرته على العمل حتى قيل إنه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم أربعين ورقة ويعد كتابه «تاريخ الأمم والملوك» من أمهات الكتب التاريخية، وأول كتب التاريخ الشاملة فى اللغة العربية، وقد جمع الطبرى مواد من الأحاديث بالتسلسل، ومن هنا كان لتاريخ الطبرى قيمة كبرى. لأن هذا السند توثيق للأخبار المروية وتوكيد لها. وقد اعتمد المؤرخون بعده على تاريخه مثل «مسكوبه» و«ابن الأثير» و«ابن خلدون» و«أبو الفداء» و«الذهبى» ويروى الطبرى فى تاريخه عن الحادثة الواحدة روايات كثيرة متأثراً بمنهجه فى تفسير القرآن، وقد غلبت عليه فى تاريخه طريقة المحدثين وأهل الحديث، وقد طبع هذا الكتاب فى أوروبا وفى مصر.

ويعد كتاب «تاريخ الطبرى» من المصادر الأصلية لتاريخ الفترة موضوع البحث. لأن الطبرى يروى أحداثاً كان معاصراً لها وأخرى وصلت اليه عن طريق الرواية. ويتسم تاريخ الطبرى أيضاً بالإفاضة فى تناوله لأحداث تلك الفترة، وقد استعنت به فى تتبع التاريخ السياسى لفرقة المعتزلة منذ عهد المتوكل حيث كانت بداية النهاية لفرقة المعتزلة.

ومن المصادر الهامة التى رجعت اليها كتاب «مروج الذهب ومعادن الجوهر» للمسعودى، «على بن الحسين بن على بن عبد الله بن مسعود» المتوفى سنة (٣٤٦ هـ

/ ٩٥٧م). وقد نشأ المسعودى فى بغداد وتوفى فى الفسطاط، وقد استن فى تأليف التاريخ سنة جديدة، ووضع منهجاً جديداً آلاً وهو المنهج الموضوعى. فقد حاد عن منهج الطبرى وهو المنهج الحولى فى كتابة التاريخ حيث أصبحت الشعوب والملوك والأسرات والخلفاء محاور دراسة المسعودى. وقد تبسه فى هذه الطريقة بعض المؤرخين وبخاصة ابن خلدون، وكان المسعودى من المعتزلة، وتجول فى طلب العلم فطاف أكثر أجزاء العالم الإسلامى، وقضى الجزء الأخير من حياته فى بلاد الشام ومصر حيث ألف كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» وهو كتاب تاريخى جغرافى عظيم القيمة لم يكتف فيه المؤلف ببحث الموضوعات التى اعتادها المؤرخون المسلمون، بل تطرق الى تواريخ الهند والفرس والروم واليهود فأتى منها بأشياء طريفة حتى أطلق الكتاب على المسعودى اسم «هيرودوت العرب».

ومما يجدر ذكره أن المسعودى لم يتبع طريقة الإسناد للرواة فهو يمضى فى سرد الخبر أو الحادثة بدون ذكر سنده أو رواته، ويسرد النص التاريخى كأنه هو صاحبه، وقد صنع ما صنعه يعقوبى فى مقدمة كتابه فذكر مروج الذهب الأخباريين والمؤرخين والمصنفين الذين نقل عنهم أو استفاد منهم. ويضاف الى ما سبق أن المسعودى تعرض فى كتابه لسير الخلفاء العباسيين، وأفدت منه فى دراسة نشأة المعتزلة وأصولهم الدينية، وفى تتبع موقف الخلفاء من هذه الفرقة وفى التعرف على أهم رجالهم.

كما رجعت الى كتاب آخر للمسعودى بعنوان «التنبية والإشراف» وقد أفادنى فى دراسة سير الخلفاء وعلاقاتهم بالمعتزلة.

ومن المصادر التى اعتمدت عليها الدارسة مؤلفات «القاضى عبد الجبار» وهو عبد الجبار بن أحمد الهمداني شيخ المعتزلة الأكبر المتوفى سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م) وقد تولى القضاء بالرى، واليه انتهت الرياسة فى المعتزلة حتى صار شيخها، ومن مؤلفات القاضى عبد الجبار التى رجعت اليها كتاب «المغنى فى أبواب التوحيد

والعدل» و« شرح الأصول الخمسة » و« متشابه القرآن » و« تنزيه القرآن عن المطاعين » و« فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » و« المحيط بالتكليف » و« المختصر فى أصول الدين »، وقد أفدت من هذه الكتب كثيراً فى الحديث عن أفكار المعتزلة وأصولهم الدينية، وفى موقف المعتزلة من الكتاب والسنة، وفى التعرف على علماء المعتزلة. كذلك أفدت من كتابين «للنيسابورى» أبو رشيد سعيد بن محمد المتوفى سنة (٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م) وهو من تلاميذ القاضى عبد الجبار.

وقد أفادنى كتاب «فى التوحيد - ديوان الأصول» للنيسابورى فى الحديث عن معتقدات المعتزلة وموقفهم من تأويل القرآن ومن الحديث الشريف، أما الكتاب الآخر فهو «المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين»، وقد أفدت منه فى الحديث عن المعتزلة فى دور النشأة فى البصرة، ثم ارتباطهم بالخلافة العباسية فى عهد المأمون والمعتمد والوائق فى بغداد.

ورجعت أيضاً فى هذه الدراسة الى مؤلفات «الأشعرى» أبو الحسن على بن إسماعيل (ت ٣٣٠ هـ / ٩٤١ م)، الذى ولد بالبصرة، والذى كانت عند نشأته بؤرة الاعتزال، فانغمس فى أفكار المعتزلة فى صدر شبابه، ثم انتقل الى مذهب السلف فى إثبات صفات الله - عز وجل - وانبرى لمناظرة المعتزلة، وألف كثيراً من الكتب فى الرد على المعتزلة بأساليبهم ومقاييسهم، ومن هذه المؤلفات كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين» و«الإبانة عن أصول الديانة» و«اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع» و«رسالة فى استحسان الخوض فى علم الكلام»، وقد أفدت من هذه المؤلفات فى دراسة آراء ومعتقدات المعتزلة وموقف الفقهاء منها.

كذلك رجعت فى دراستى لبعض مؤلفات الجاحظ «أبو عثمان بن بحر بن محبوب الكنانى المتوفى ٢٥٥ هـ (٨٦٨ م)» وقد ولد الجاحظ بالبصرة فى خلافة المهدي، وكان صبيهاً فى خلافة الهادى، وكان ناضجاً وقت سلطة المعتزلة فى عصر المأمون، واتصل بما كان فى أيامه من حركة علمية وفلسفية. كما عاصر المعتزلة فى

عصر المعتصم والوائق حتى خلافة المتوكل على الله، وقد مات الجاحظ في خلافة المهتدي بالله، وهكذا عاصر الجاحظ أحداث تلك الفترة، وتعد كتبه من المصادر الهامة في دراسة الحياة الاجتماعية في عصره، وقد كتب الجاحظ في كل موضوع تقريباً حتى قيل إن كتبه «دائرة معارف» غير مرتبة على أحرف الهجاء ولا على أى أساس.

وقد أفدت من بعض مؤلفات الجاحظ مثل كتاب «الحيوان» و«البيان والتبيين» و«البخلاء» و«ورسائل الجاحظ»، وقد أفدت من هذه الكتب بصفة خاصة في الحديث عن أدب المعتزلة، وتنوع الموضوعات في هذا الأدب، وفي مدى تأثير المعتزلة بالفلسفة اليونانية في مناظراتهم وآرائهم.

واستفدت من كتاب «الأغاني للأصفهاني» أبو الفرج علي بن الحسين المتوفى سنة ٣٥٦ هـ (٩٦٦م) في دراسة نشأة المعتزلة والمبادئ الدينية التي قالوا بها.

ومن الكتب التي رجعت إليها كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي «الحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي» المتوفى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٧١م) وقد وضعه في أزهى عصور الإسلام، وله مقدمة طويلة تحتوي على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها وأحيائها وقصورها ودورها ومدائنها. كما كانت عليه في أيامه، وتلى ذلك تراجم لعلماء بغداد وأدبائها وشعرائها، وقد رتب الخطيب كتابه فجعل الأعلام فيه على حروف المعجم مراعيًا أوائل أسمائهم لا الأسماء التي اشتهروا بها. وقد أفادني هذا الكتاب في دراسة علماء المعتزلة في بغداد والتعرف على محنة خلق القرآن، وموقف الخلفاء العباسيين منها.

أما ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي) والمتوفى سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م) فقد أفدت من كتبه «أخبار الأذكياء» و«أخبار الحمقى والمغفلين» و«تلبيس إبليس» وقد أفادني في التعرف على أدب المعتزلة ومجادلاتهم ومجالسهم.

ويعتبر كتاب الكندى (يوسف بن عمر) المتوفى سنة ٣٠٥ هـ (٩١٧م)، «القضاة والولاة» من المصادر الهامة التى اعتمدت عليها، فالكندى كان حجة فى دراسة أحوال مصر وأهلها وأعمالها، وكان لتبعه للولاة والقضاة وأحوال البلاد أكبر الفائدة فى معرفة أثر محنة خلق القرآن سياسياً وفكرياً فى عصره.

أما كتب المقرئى المتوفى سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١م) خاصة كتاب «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» فهى حافلة بمعلومات وافرة عن نشأة المعتزلة وأهم العقائد التى اعتقدوها والأفكار التى قالوا بها.

ومن الكتب التى رجعت إليها كتاب ابن الأثير (على بن أحمد بن أبى الكرم) المتوفى سنة ٦٣٠ هـ (١٢٣٢م) وهو كتاب «الكامل فى التاريخ» وابن الأثير يعتمد على الطبرى، ويلاحظ أن ابن الأثير يحذف الاسناد عادة (أى يحذف اسم الذى يروى الخبر) وكتابه يشبه الى حد كبير تاريخ الطبرى، من حيث كثرة المعلومات ودقتها، وقد بدأه من أول الزمان الى انتهاء سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠م)، وقد أفدت منه فى دراسة المحنة فى عهود الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم والواثق.

واستعانت الدراسة كذلك بكتب الفرق المذهبية، منها كتاب «الملل والنحل» للشهرستانى (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) وكتاب «الفرق بين الفرق» للبغدادى (عبد القاهر ابن طاهر المتوفى سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧م) و «التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع» للملطى (محمد بن أحمد ابو الحسن) المتوفى سنة ٣٧٧ هـ (٩٨٧م) و «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» للرازى (فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازى) المتوفى سنة ٦٠٦ هـ (١٢٠٩م) و «التبصير فى الدين وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين» «للاسفرائينى» (أبى المظفر عماد الدين) المتوفى سنة ٤٧١ هـ (١٠٧٨م) و «فرق الشيعة» للنوبختى (أبى محمد الحسن بن موسى) المتوفى سنة ٣١٠ هـ (٩٢٢م). وقد أفدت من هذه الكتب فى دراسة نشأة المعتزلة والتعرف على آرائهم وأهم فرقهم وموقف القضاء من

المعتزلة.

كما أفدت من كتابين لياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م)، وقد أفادنى كتابه «معجم الأدباء» فى دراسة أهم علماء المعتزلة وأثر المحنة سياسيا وفكريا فى المشرق.

أما الكتاب الآخر فهو «معجم البلدان» ويتميز هذا لمعجم بترتيبه على حروف الهجاء وبدقته وجمعه بين الجغرافيا والتاريخ والعلم والأدب، وقد أفدت منه فى دراسة أثر المحنة فى العالم الإسلامى سياسيا وفكريا.

ومن أهم الكتب التى اعتمدت عليها الدراسة كتاب «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» للمقدسى (شمس الدين أبو عبد الله محمد) المتوفى سنة ٣٩٠ هـ (٩٩٩م)، وهو كتاب قيم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية، وتبرز أهمية الكتاب فى أن المقدسى كان يعتمد فى مايكتبه على مايشاهده بنفسه فى أسفاره، وقد أفدت منه فى دراستى لأثر محنة خلق القرآن سياسيا وفكريا فى المشرق، وفى الشام، وفى المغرب أيضا.

أما المراجع الحديثة التى أمدت الدراسة بمادة علمية طيبة وغزيرة فمنها كتاب «المعتزلة» لزهدي جبار الله، و«عصر المأمون» لأحمد فريد الفاعى، و«ضحى الاسلام» لأحمد أمين، و«العالم الإسلامى فى العصر العباسى» لحسن أحمد محمود، وأحمد ابراهيم الشريف.

وتبرز أهمية هذا الكتاب فى أن المقدسى كان يعتمد فى ما يكتبه على ما يشاهده والله ولى التوفيق،،،

المؤلف

ديسمبر ١٩٩٨م

الفصل الأول

نشأة المعتزلة

- تمهيد
- الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة
- مبادئ المعتزلة الدينية
- انتشار تعاليمها في بغداد

● تهيئة:

المعتزلة فرقة إسلامية ظهرت ظهوراً واضحاً في بداية القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) ^(١).

وقد اعتنق المعتزال من خلفاء بني أمية يزيد بن الوليد ^(٢)، وكان يرى رأى المعتزلة، ويعتقد بصحة أصولهم الخمسة ^(٣)، ومروان بن محمد ^(٤)، الذي لقب بالجعدى نسبة إلى مؤدبه ^(٥) الجعد بن درهم ^(٦).

وقد راج مذهب الاعتزال لما فيه من مظاهر البحث العقلي والاعتماد على أساليب

- (١) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١ - ٢ (مطبعة مصر، القاهرة، ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م).
- (٢) هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك، لقب بالناقص لأنه نقص، الجند من أعطياتهم، ولما ولى الخلافة دعا الناس إلى الاعتزال وحملهم عليه (ت ١٢٦ هـ / ٧٤٣ م). (المسعودى: مروج الذهب، ج ٢، ص ١٧٣، تحقيق: محمد محبى الدين عبد الحميد، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٢٥٢ - ٢٥٣ (تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد، القاهرة، الطبعة الرابعة، مطبعة الفجالة الجديدة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م).
- (٣) المسعودى: المصدر السابق، والجزء والصفحة، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٣٣ (مطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٤٨ هـ)، السيوطى: المصدر السابق، ص ٢٥٣.
- (٤) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، آخر خلفاء بني أمية (ت ١٣٢ هـ / ٧٤٩ م) السيوطى: المصدر السابق، ص ٢٥٤.
- (٥) المؤدب: معلم الأدب، وهو رياضة النفس على حسن الأخلاق وفعل المكارم، بمثابة المربي والمرشد، أو معلم العلوم الأدبية، ولا يخفى أن الأمراء تعنى بانتقاء أمثال الفضلاء لتربية أبنائهم على العلوم والأخلاق الفاضلة. (جمال الدين القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٣٧٧ (مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م).
- (٦) تكلم الجعد بن درهم بخلق القرآن وتنزيه الله من الصفات، وقد تعلم منه الخليفة مروان بن محمد مذهبه فى القول بخلق القرآن، وقتل الجعد على يد خالد بن عبد الله القسرى والى العراق فى عهد هشام بن عبد الملك وذلك سنة (١١٨ هـ / ٧٣٦ م)، ابن النديم: الفهرست، ص ٤٧٢ (طبعة دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٤، ٢٦٢، (الطبعة الأولى، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م)، الأسفرايينى: التبصير فى الدين، ص ١٣، ٨٢، (تحقيق: محمد زاهد الكوثرى، الطبعة الأولى، مطبعة الأنوار، القاهرة، ١٣٥٩ هـ / ١٩٤٠ م)، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٣٧ - ٣٩، البير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، ج ١، ص ١١٠ (طبعة الإسكندرية).

المنطق والجدل، فمالت إليه الطباع، وكثر أنصاره، وأصبح المذهب السائد بين مذاهب المتكلمين^(١).

وفى العصر العباسي تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان: مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد، وكان بين معتزلي البصرة ومعتزلي بغداد خلاف كبير فى كثير من المسائل^(٢)، وشغلت هذه الفرقة الفكر الإسلامى ردحا طويلا من الزمن. وقد خلق المعتزلة جواً من النشاط الفكرى عم الحاضرة العباسية^(٣).

وللمعتزلة أسماء أطلقوها على أنفسهم، فقد أطلقوا على أنفسهم اسم المعتزلة، واشتد الخلاف فى منشأ هذا الاسم، يقول الشهرستاني^(٤): «إن واصل بن عطاء^(٥) مؤسس هذه الفرقة حين اختلف مع أستاذه الحسن البصرى^(٦)، فى مسألة مرتكب الكبيرة، أدلى برأيه،

(١) مصطفى عبد الرازق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص ٢٨٨، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م).

(٢) أبو رشيد النيسابورى: المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين، ص ٩ - ١٧، ٢٩، ١١٥ (طبعة معهد الإنماء العربى، الجماهيرية الليبية، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م، تحقيق: معن زيادة، ورضوان السيد)، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١٠٥ (طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٥م، تحقيق عصام الدين محمد على)، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٩٩ (مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٦م)، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٩٦ (الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٣٦م).

(٣) وديعة النجم: الشعر فى الحاضرة العباسية، ص ٤٠ - ٤١ (الكويت شركة كاظمة، ١٩٧٧م).

(٤) الملل والنحل، ج ١، ص ٣٣، ٥٥.

(٥) هو أبو حذيفة واصل بن عطاء (ت ١٣١هـ / ٧٤٨م) أحد الأئمة البلغاء فى علم الكلام، وكان يلقب بالغزال ولم يكن غزالياً، بل كان يلزم الغزاليين ليعرف المتعففات من النساء فيجعل صدقته لهن، وكان ألغى الرأى يجعلها غنياً، وكان يسقط الرأى من كلامه (ياقوت الحموى): معجم الأدباء، ج ١٩، ص ٢٤٣ - ٢٤٥، مطبوعات دار المأمون، القاهرة، الطبعة الأخيرة، بدون تاريخ)، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٠ (تحقيق: محمد محبى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٤٨م)، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٣ - ٣٤، ج ٢، ص ١٥١، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٩٦، ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٩٧.

(٦) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى (ت ١١٠هـ / ٧٤٨م) أمام أهل البصرة وسيد التابعين، وأمه مولاة لأم سلمة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد عده المعتزلة من رجال الطبعة الثالثة من رجالهم (الحسن البصرى: رسالة فى القدر، ص ٨٢ - ٨٨، «ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١» تحقيق: =

واعتزل مجلسه، هو وبعض من وافقه على ذلك الرأى، فقال الحسن البصرى: «اعتزل عنا واصل، فسمى وأصحابه بالمعتزلة».

اما الرازى فيوضح^(١): أنهم سموا بهذا الاسم لاعتزال واصل وعمر و حلقة أستاذهم الحسن البصرى، ويرى البغدادى^(٢) أن أهل السنة هم الذين دعواهم معتزلة، لاعتزالهم قول الأمة بأسرها فى مرتكب الكبيرة من المسلمين، وتقريرهم أنه لا مؤمن ولا كافر. بلا هو فى منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان.

يقول المسعودى^(٣): « ان سبب هذه التسمية، القول بالمنزلة بين المنزلتين أى باعتزال صاحب الكبيرة عن المؤمنين والكافرين جميعاً».

وير الاسفرايينى^(٤): « أنهم سموا معتزلة لاعتزالهم مجلس الحسن البصرى واعتزالهم قول المسلمين، ويضيف ابن المرتضى قوله^(٥): «إن المعتزلة هم الذين أطلقوا هذا الاسم، وانهم لم يخالفوا الإجماع، بل عملوا بالمجمع عليه، ورفضوا المحدثات المستدعة». كما يذكر القاضى عبد الجبار أن^(٦): « كل ما ورد فى القرآن من لفظ الاعتزال فان المراد به الاعتزال عن الباطل، فعلم أن اسم الاعتزال مدح».

وقيل إن اسم الاعتزال يرجع الى سريان نزعة زهد فيهم، واعتزالهم الناس^(٧)، ورجح

= محمد عمارة، طبعة دار الهلال ١٩٧١م)، ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٤١، (تحقيق: ثروت عكاشة، طبعة القاهرة، ١٩٦٠م)، الشريف المرتضى: إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٥٧ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١)، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٢٥ - ٢٨، طاشى كبرى زارة: مصباح السعادة، ج ٢، ص ٢٤، ١٦٤ (تحقيق: كامل بكري، وعبد الوهاب أبو النور، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م)، الزركلى: الإعلام، ج ٢، ص ٢٤٢

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٣٩ (تحقيق: على سامى النشار، طبعة دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م).

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٩٤، ٩٨.

(٣) مروج الذهب، ج ٢، ص ١٧٤.

(٤) التبصير فى الدين، ص ٤٠ - ٤١.

(٥) النية والأمل، ج ١، ص ٩.

(٦) الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٣٩.

(٧) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٣.

البعض أنهم نعتوا بذلك لابتعادهم عن المنازعات الناشئة بين الخوارج وخصومهم من أهل السنة والشيعية، فقد وقفوا على الحياد لا ينصرون فريقاً على فريق^(١).

وتسمى المعتزلة أيضاً «بالعدلية» لقولهم بعدل الله وحكمه، كما تعرف «بالموحدة» لقولهم لا قديم مع الله، وكانوا يطلقون على أنفسهم أهل العدل والتوحيد^(٢)، وكان القاضي عبد الجبار إذا تحدث عنهم يستعمل هذا الاسم^(٣)، والمعتزلة يفضلون هذا الاسم على غيره من الأسماء^(٤).

ويلقب المعتزلة كذلك «بالقدرية» أى أن الإنسان له قدرة على أعماله، وأن الله ليس له فيها صنع ولا تقدير^(٥)، غير أن المعتزلة لا يرضون بهذا الاسم^(٦)، وقالوا: إنه أولى بأن يطلق على القائلين بالقدر خيره وشره من الله تعالى^(٧).

(١) نلينو: بحوث في المعتزلة، ص ١٧٣، وما بعدها، (ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبدالرحمن بدوي، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥م).

(٢) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص ٣٧ (طبعة لندن، ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م)، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٠، وما بعدها، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٢٥١ (المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٣٣٧هـ/١٩١٨م)، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣، ٢٢، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ١٩٨٢م، ص ٩٦، ٧٧ (الطبعة الخامسة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢م)، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٣٢٨ ترجمة: فؤاد كامل وآخرين، مراجعة زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٢م).

(٣) المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج ٧، ص ٣ (تحقيق: إبراهيم الإبياري، القاهرة، ١٩٦١م)، شرح الأصول الخمسة، ص ٣٢٨، (تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٦٥م).

(٤) المقبلي: العلم الشامخ، ص ٣٠٠ (طبعة القاهرة، ١٣٣١هـ/١٩١٢م).

(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٩٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤.

(٦) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١١٥ (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٢، ص ٥ (الطبعة العاشرة، ١٩٨٣م، مكتبة النهضة المصرية).

(٧) رفض المعتزلة اسم القدرية تخلصاً من وصمة لقب المجوسية، إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (القدرية مجوس هذه الأمة) (البيهقي: مناقب الإمام الشافعي، ج ١، ص ٤١٣ (دار التراث، مصر ١٣٩١هـ)، ابن قتيبة الدينوري: تأويل مختلف الحديث، ص ٩٦، ٩٨ (القاهرة، ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م)، الأشعري: المصدر السابق والصفحة، الشهرستاني: المصدر السابق، والجزء، ص ٢١، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ١٨.

ومن أبرز الأسماء التي سُمي بها المعتزلة انفسهم «أهل الحق»، لا بهم حاسوبا يعولون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(١)، وأنهم على حق وغيرهم على باطل^(٢). ولكن أشهر هذه الأسماء اثنان: أهل العدل والتوحيد، وأهل الاعتزال، الأول أطلقوه هم على أنفسهم ورضوا به اسما لهم، والثاني فرض عليهم ولزمهم فاضطروا الى قبوله، وراحوا يدافعون عنه ويثبتون فضله^(٣).

وأطلق الغير عليهم اسم «الجهمية»^(٤)، وذلك لموافقته هذه الفرقة في نفى الصفات، والقول بخلق القرآن، وقولهم إن الله لا يرى في الآخرة^(٥)، وقد أطلق أئمة الأثر عليهم هذا الاسم^(٦)، ولكن المعتزلة رفضوا هذه التسمية وتبرأوا منها^(٧)، لأن الجهمية تقول بالجبر^(٨)، وقد أرسل واصل بن عطاء الى جهم بن صفوان من يناظره ويدمغ حجته^(٩).

(١) المقبلي: العلم الشامخ، ص ٣٠٠، على سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ١، ص ٤٥٩ (الطبعة الثالثة، دار المعارف، ١٩٦٥ م).

(٢) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٦.

(٣) المقبلي: المصدر السابق، والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق، ص ١٠ - ١١.

(٤) عرفوا بالجهمية نسبة الى رئيسهم جهم بن صفوان (ت ١٢٨ هـ / ٧٤٥ م)، وهو من الجبرية، وكان صاحب مجادلات ومخاصمات في مسائل الكلام: انظر: (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٩٩ - ٢٠٠، الاسفرايينى: التبصير في الدين، ص ٦٣ - ٦٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٠، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص ٦٨، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ١٠ وما بعدها، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٨٦ - ٢٨٧، ظهر الإسلام، ج ٤، ص ٩).

(٥) الشهرستاني: المصدر السابق، والجزء والصفحة، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥.

(٦) من الأئمة: أحمد بن حنبل، والبخارى، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية (القاسمى الدمشقى: المرجع السابق، ص ٦٠ وما بعدها، أحمد أمين: المرجع السابق، ص ٢٨٧).

(٧) قال بشر بن المعتمر، أحد كبار شيوخ الاعتزال متبرأ من الجهمية:

فنحن لا ننفلق نلقى عــــــــــــــــارا . . نفــــر من ذكرهم فرارا

ننفيهم عنا ولنسا منهم . . ولا هم منا ولا نرضاهم

إمامهم جهــــــــم، وما لجهــــــــم . . وصحب عمرو ذى التقى والعلم؟

(الخطايط: الانتصار، ص ١٣٤، القاهرة ١٩٢٥ م).

(٨) البغدادى: المصدر السابق والصفحة، الاسفرايينى: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٣ - ٦٤، الشهرستاني: المصدر السابق، ج ١، ص ٩١ - ٩٢، جمال الدين القاسمى الدمشقى: المرجع السابق، ص ١٠، أحمد أمين: المرجع السابق، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.

(٩) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٦٧ (تحقيق: فؤاد سيد، طبعة الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤ م)، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥.

وينسبهم البعض الى الخوارج ويدعوهم «مخانيث الخوارج»، وذلك لأن المعتزلة كانوا يوافقون الخوارج في تخليد مرتكب الكبيرة في النار مع قولهم إنه ليس بكافر^(١). كما أطلق عليهم اسم «النفاة» و «المعطلة»، وذلك لنفيهم صفات الباري وتعطيلها^(٢)، ومن معاني التعطيل أيضاً، تعطيل ظواهر الكتاب والسنة عن المعاني التي تدل عليها^(٣)، واسم «الوعيدية»^(٤)، وهذا الاسم أت من قول المعتزلة بالوعد والوعيد، وهو أحد الأركان التي يقوم عليها الاعتزال، ومعناه أن الله تعالى صادق في وعده ووعيده، وأنه لا يغفر الذنوب الا بعد التوبة^(٥)، وذكر خصومهم أسماء أخرى مقتصرة على فرقة من فرقهم أو مشتقة من عقيدة ثانوية من عقائدهم^(٦).

(١) نسب بعضهم واصلاً وعمرو بن عبيد إلي الخوارج فقال:

برئت من الخوارج لست منهم . من الغزال منهم وابن باب

ومن قوم اذا ذكروا عليا . يردون السلام على السحاب

(البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٩٨ - ٩٩، ٢٢٤، المبرد: الكامل، ج ٢، ص ١٤٢، ١٤٣ (مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ)، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤١، أحمد أمين: ظهر الإسلام، ج ٤، ص ٦٠ - ٦١

(٢) الأشعري: الأمانة عن أصول الديانة، ص ٧٨ - ٨٥، ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، ج ١، ص ١٩٢، ٢٣١ - ٢٣٢ (مكة المكرمة، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م).

(٣) الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ١٢٣ (اكسفورد، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م).

(٤) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٧٧

(٥) الحياط: الانتصار، ص ١٢٦

(٦) من هذه الأسماء مايلي:

١- الثنوية: لقولهم الخير من الله والشر من العبد.

٢- الحرقية: لقولهم الكفار لا يحرقون إلا مرة.

٣- المفنية: لقولهم بقاء الجنة والنار.

٤- الواقفية: لقولهم بالوقف في خلق القرآن.

٥- اللفظية: لقولهم ألفاظ القرآن مخلوقة.

٦- الملزمة: لقولهم الله تعالى في كل مكان.

٧- القبرية: لانكارهم عذاب القبر.

٨- الواردية: لقولهم لا يدخل المؤمنون النار وإنما يردون عليها.

(المقريزي: الخطط، ج ٣، ص ٢٨٨، طبعة بولاق سنة ١٢٧٠هـ)، زهدى جار الله، المعتزلة، ص ٢.

الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة

اختلف مؤرخوا الفرق حول الأصل التاريخي لنشأة المعتزلة، فيذهب البعض^(١)، إلى أن ظهورها كان على يد واصل بن عطاء، بعد اعتزاله مجلس الحسن البصري، ثم انضم إليه عمرو بن عبيد^(٢)، ومن وافقهما على رأيهما في مرتكب الكبيرة، وبذلك تكونت فرقة المعتزلة.

ويضيف الشهرستاني قوله^(٣): «إنه دخل رجل على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر، فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: «أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ثم قام واعتزل إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن، فقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسمى وأصحابه معتزلة».

أما البغدادي^(٤) فيذكر أنه: «لما ظهرت فتنة الأزارقة»^(٥) بالبصرة والأهواز، اختلف

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٩٨، الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٦٧، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤٠ - ٤١، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٥، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٩، ص ٢٤٦، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٨، أبو المحاسن النجوم الزاهرة، ج ١، ص ٣١٤ (طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م)، القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٥٨.

(٢) هو عمرو بن عبيد بن ثابت، كان شيخ المعتزلة والمقدم فيها حسن الأدب واللسان، وكان الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يحترمه ويطلب منه الموعدة (ت ١٤٥هـ/ ٧٦٢م)، (الشريف المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٠، المسعودي: المصدر ص ٢٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٣٠ - ١٣٢، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٤) الفرق بين الفرق، ص ٩٨.

(٥) الأزارقة: أصحاب أبي راشد نافع بن الأزرق الذين خرجوا مع نافع من البصرة إلى الأهواز، واستولوا عليها وعلى كورها وما وراءها من بلاد فارس وكرمان في أيام عبد الله بن الزبير وقتلوا عماله بهذه النواحي. (البغدادي: المصدر السابق، ص ٦٢ - ٦٦، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٢٩ - ٣٠، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ١٢٧ - ١٢٨).

الناس عند ذلك فى أصحاب الذنوب، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق، وزعم أن الفاسق فى هذا الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والإيمان، فلما سمع الحسن البصرى من واصل بدعته هذه طرده من مجلسه، فاعتزل عند سارية من سوارى مسجد البصرة، وانضم إليه عمرو بن عبيد، فقال الناس: إنهما اعتزلا قول الأمة وسمى أتباعهما من يومئذ معتزلة^(١).

وكيفما كان الأمر فقد ربطت تلك الروايات ظهور الاعتزال بواصل بن عطاء والحسن البصرى وعمرو بن عبيد^(١)، ولا شك أنه تتوفر فيها من عناصر الصحة خاصة ما يفيد أن هذه الفرقة ظهرت فجأة، وليس لها ارتباط بزمان سابق فى واقعه وأحداثه.

ويرى بعض المؤرخين والباحثين القدامى^(٢)، والمحدثين^(٣) أن روح المعتزلة كان لها جذور فى أحداث الفتن التى وقعت منذ حرب الجمل، وراج اسم الاعتزال منذ بدأت الفتنة، فقد جاء فى تاريخ الطبرى ما نصه^(٤): «لما رجع الأحنف بن فيس من عند على لقيه هلال بن وكيع بن مالك بن عمرو فقال: ما رأيك؟ قال: الاعتزال».

ويتحدث الحسن النوبختى^(٥) (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م) موضعاً مواقف المسلمين بعد

(١) تنسب بعض الروايات كلمة الاعتزال الى عمرو بن عبيد، وتجعله بدلاً من واصل بن عطاء، وأنه هو الذى اعتزل مجلس الحسن البصرى وليس واصل بن عطاء. (القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٨، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، ج ١، ص ١٦٧، الحصرى: زهر الآداب، ج ١، ص ١٠٢، «تحقيق: على محمد البجاوى، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٣ م، مطبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبي)»، السمعاني: الانساب، ورقة ٣٩٨، نشر: د.س. مرجليوث، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد، ١٩٧٠ م)، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) النوبختى: فرق الشيعة، ص ٥ (مشورات دار الأضواء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م)، الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٤، ص ٥٠٤ (طبعة دار المعارف، ١٩٦٩ م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم)، الملقى: التنبيه والرد، ص ٤١ (تحقيق: محمد زاهد الكوثرى مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٩ م).

(٣) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٩٥، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج ١، ص ٤٠٠، ٤٠٥، فؤاد سيد: مقدمة تحقيق كتاب «طبقات المعتزلة» للقاضى عبد الجبار، ص ١٢ وما بعدها، نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص ٤٧ - ٤٨، (دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩ م).

(٤) المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٥) المصدر السابق والصفحة.

مقتل عثمان، فيقول: «... وفرقة منهم اعتزلت مع سعيد بن مالك، وهو سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، ومحمد بن سلمة الأنصاري، وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي، مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وامتنعوا عن محاربته والمحاربة معه بعد دخولهم في بيعته والرضاء به فسموا معتزلة، وصاوروا أسلاف المعتزلة إلى آخر الأبد». وهذه الرواية تثبت أن معتزلة الفتنة هم أسلاف لمعتزلة واصل بن عطاء.

ويورد الملقى (ت ٣٧٧ هـ / ٩٨٧ م) رواية أخرى متحدثا عن فارق الحسن بعد مبايعة معاوية فيقول^(١): «... عندما بايع الحسن بن علي - عليه السلام - معاوية، وسلم له الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا: نشتغل بالعلم والعبادة، فسموا بذلك معتزلة، والأصول التي عليها خمسة».

ويتضح من ذلك أن الملقى يتحدث عن معتزلة الفتنة ومعتزلة واصل بن عطاء كما لو كانوا فرقة واحدة.

ومما يوضح أن الاعتزال الواصلي له صلة باعتزال الفتنة قول الملقى^(٢) إنه: «كان بالبصرة أول ظهور الاعتزال لأن أبا حذيفة واصل بن عطاء، جاء به من المدينة». ويعتبر كل من النوبختي والملقى من أقدم من كتب في الفرق، مما يعطى قيمة كبيرة لرأييهما.

ويرجع المعتزلة أصولهم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، إذ يذكرون أن واصل وعمر قد أخذوا مذهب الاعتزال عن أبي هاشم عبد الله، وأخذ هذا عن أبيه محمد بن الحنفية، وهذا عن والده علي بن أبي طالب، وأخذ علي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وهذا يوافق ما رواه محمد بن الحنفية^(٣). وقد سأل أبو هاشم عن مبلغ علم أبيه

(١) التنبيه والرد، ص ٤١.

(٢) التنبيه والرد، ص ٤٢.

(٣) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ٦٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد ج١)، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٨، الشريف المرتضى: آمالي المرتضى، ج١، ص ١٦٣، ١٦٥، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ١٢، المقرئ: الخطط، ج٣، ص ٢٨٣.

(٤) الملل والنحل، ج١، ص ٥٧.

محمد بن الحنفية، فقال: إذا أردتم معرفة ذلك فانظروا الى أثره في واصل بن عطاء^(١).
والمعتزلة يروون في كتبهم أن: مذهبهم أقدم في نشأته من واصل بن عطاء، وقد ذكروا
أبا بكر وعمر وعثمان وعلي - رضى الله عنهم - في الطبقة الأولى من طبقات أئمتهم^(٢)،
ويذكرون الحسن والحسين أبناء علي بن أبي طالب في رجال الطبقة الثانية، وينسبون
اليهم القول بالعدل والتوحيد^(٣)، ويعدّون الحسن البصرى في الطبقة الثالثة من أئمتهم^(٤)،
فإن كان واصل قد انشق عن الحسن البصرى في مسألة مرتكب الكبيرة فلا يمنع ذلك أن
يكون قد تبعه في الأصول الأخرى كنفى القدر^(٥)، وقد ذكر المعتزلة أن له آراء في العدل
والتوحيد^(٦).

ويربط بعض الباحثين المحدثين بين معتزلة واصل والفئة التي سميت بهذا الاسم قبل
مدرسة الحسن البصرى بزمان طويل، والتي وقفت موقف الحياد من مشكلة علي ومعاوية
لأنها لم تبين وجه الحق في أى الجانبين^(٧)، وقد اعتزلوا الناس وأطلق عليهم هذا الاسم
لعدم موافقتهم على انتقال الخلافة الى معاوية، وابتعدوا عن المجتمع السياسى، ولجأوا
الى العبادة^(٨).

والواقع أن نشأة المعتزلة لم تكن مستقلة عن الصراع السياسى الذى كان قائماً في
العصر الأموى حول الإمامة، وأن الخلاف الذى وقع بين واصل وأستاذه الحسن البصرى

(١) البلخي: المصدر السابق، ص ٦٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، والجزء، ص ٢٧.

(٢) ذكر المعتزلة أقولاً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم تدل على أنهم قالوا بالعدل
وأنكروا الجبر. (عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٢١٥، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١،
ص ١٧ - ٢٠).

(٣) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٨، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ٩
ص ٢٢ - ٢٣.

(٤) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٢١٥ - ٢٢٩، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥.

(٥) زهدى جابر الله: المعتزلة، ص ١٤.

(٦) الحسن البصرى: رسالة في القدر، ص ٨١ - ٩٣ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١، تحقيق:
محمد عمارة).

(٧) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٩٠.

(٨) النشار: نشأة الفكر الفلسفى في الإسلام، ج ١، ص ٤٠٥.

حول مرتكب الكبيرة هو خلاف ذو أصل سياسى مهما بدا فى طابع دينى عقائدى، وقد ظهر اسم المعتزلة سياسيا فى حروب على وأصحاب الجمل وفى حروب على ومعاوية، لكنه لم يستخدم للدلالة على طائفة معينة^(١). ومن ثم فإن المعتزلة المتكلمين انما هم امتداد المعتزلة السياسيين، الذين وقفوا موقف الحياد فى النزاع بين أنصار على ومعاوية، ثم بين أنصار ذرية على والخلفاء الأمويين فيما بعد^(٢).

وكيفما كان الأمر فإن الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس الى آخر، وأنه معنى من المعانى وليس حركة جسمية، وأن إطلاقه على مدرسة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد كان إحياءاً للاسم القديم لا ابتكاراً، وأن انتقال واصل بن عطاء أو عمرو بن عبيد من حلقة إلى أخرى أو من سارية إلى سارية أخرى فى المسجد ليس بالأمر الذى تتكون به فرقة دينية.

(١) النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، جـ ١، ص ٤٠٠، أبو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص ٤٧ - ٤٨.

(٢) فؤاد سيد: مقدمة تحقيق كتاب «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» ص ٢٥، الفونسوا نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص ١٩١ (ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوى، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م).

مبادئ المعتزلة الدينية

للمعتزلة مبادئ وأصول خمسة يكادون أن يشتركوا فيها جميعاً ، من خالفهم فيها فليس منهم، ومن وافقهم فهو منهم^(١)، ولا يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بهذه الأصول وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢)، قال القاضي عبد الجبار: «إن المكلف إذا عرف هذه الأصول، يلزمه معرفة الفقه والشرع»^(٣).

وكانت هذه الأصول وليدة المناقشات التي كانت تقوم بينهم وبين مخالفيهم، فالتوحيد للرد على المشبهة والمجسمة^(٤)، والعدل كان للرد على الجهمية والوعد والوعيد للرد على المرجئة^(٥)، والمنزلة ردوا بها على الخوارج، وخلاف المعتزلة مع الإمامية^(٦)، دخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٧).

(١) ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص ٨٩، أحمد أمين: ضحى الاسلام، ج٣، ص ٢١-٢٢.

(٢) الحياض: الانتصار، ص ١٢٦، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٣٣٧-٣٣٨، البلخي: البدء والتاريخ، ج٥، ص ١٤٢ (طبعة ١٨٩٩م، طبع في مدينة شالون بمطبعة برطند، أعادت طبعه بالأوقست مكتبة المثني ببغداد)، المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ٢٢١، الملطي: التنبيه والرد، ص ٤١، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٢٣، (تحقيق: عبد الكريم عثمان، مطبعة مكتبة وهبة بالقاهرة، ١٩٦٥م، الطبعة الأولى).

(٣) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة.

(٤) قالوا بجواز رؤية الله في الدنيا، وأن معبودهم جسم ولحم ودم وله جوارح وأعضاء من يد ورجل ورأس ولسان وعينين، وكذلك سائر الصفات وهو لا يشبه شيئاً من المخلوقات، ولا يشبهه شيء (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ١١٢).

(٥) كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وقالوا: بتأخير حكم الكبيرة إلى يوم القيامة، فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار. (الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٥٩، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٥).

(٦) هم الذين قالوا بإمامة علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه وسلم. (النوبختي: فرق الشيعة، ص ١٧، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٢١، وما بعدها، الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ٢).

(٧) البلخي: البدء والتاريخ، ج٥، ص ١٢٤، القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٢٤، محمد أبوزهرة: أبو حنيفة ص ١٦٦ (طبع دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٧م) الشافعي، (دار الفكر العربي، ١٩٧٨م)، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص ٤٣.

وتعتبر هذه الأصول الخمسة ملجؤهم وأصل مذهبهم مع اختلافهم فى الفروع^(١)، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن الإيمان بهذه الأصول مجتمعة قد ميز المعتزلة كفرقة عن سواهم من المذاهب والفرق والمدارس^(٢)، وقد سمي المعتزلة بهذه الأصول^(٣).

١. التوحيد:

ويقصد المعتزلة بالتوحيد نفى الصفات القديمة، والدفاع عن وحدانية الله عز وجل^(٤)، ووجهوا جهدهم الى تركيز حقيقة التوحيد فى النفوس، فقالوا بوحدة الذات والصفات، أى أن ذات الله وصفاته شئ واحد، وأنكروا أن يكون لله تعالى صفات غير ذاته^(٥).

ومضمون فكرتهم عن نفى الصفات: أن الله واحد من كل وجه، وهذا يعنى أن صفاته ليست زائدة على ذاته، حى بالذات، قادر بالذات^(٦)، لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً^(٧)، فمن أثبت معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين^(٨).

وكان المعتزلة يعدون أنفسهم أعمق الطوائف إيماناً بوحدة الله وأرشدتهم دفاعاً عن هذه العقيدة وتحمساً لها^(٩)، وقالوا: من خالف التوحيد ونفى عن الله تعالى ما يجب إثباته، وأثبت ما يجب نفيه فانه يكون كافراً^(١٠).

ومن أصول التوحيد عندهم أن الله ذات فقط، وكل ما يطلق عليه من صفات، ما هو

(١) الملطى: التنبيه والرد، ص ٤٢، محمد ابو زهرة: الشافعى، ص ١٢٠

(٢) محمد عمارة: المرجع السابق، ص ٤٤

(٣) راجع أسماء المعتزلة، ص ١٥ وما بعدها من هذا البحث.

(٤) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٨٧، القاضى عبد الجبار، المصدر السابق، ص ١٢٨، القلقشيدى: صبح الأعشى، ج ١٣، ص ٢٥١.

(٥) الشهرستانى: المصدر السابق، ج ١، ص ٥١، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٦٠.

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٩٧.

(٧) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٢٨.

(٨) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٣٨، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٤٦، ٥١، الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص ٦٠ (الطبعة الأولى، مطبعة حجازى، القاهرة، بدون تاريخ)، أبو

ريدة: إبراهيم بن سيار النظام، ص ٨٠ (القاهرة ١٩٤٦م).

(٩) الخياط: الانتصار، ص ١٣، ٤١ - ٤٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٤٩.

(١٠) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ١٢٥.

الا وجه لذات واحدة، بسيطة لا قسمة فيها، ولا كثرة^(١)، ويرى الشهرستاني: (أن القول بنفى الصفات لما بدأه وأصل كان غير ناضج، فهو قد شرع على قول ظاهر، وهو الاتفاق على استحالة وجود إلهين قديمين أزليين، أما المعتزلة الذين خلفوه فقد أخذوا يطالعون كتب الفلاسفة فتوسعوا في هذه المسألة^(٢)، وقد وافق المعتزلة الفلاسفة على هذا القول^(٣). واستبدل بعض المعتزلة لفظ «الصفات» كمعمر بن عباد السلمي^(٤)، واستعمل بدلها كلمة «المعاني» وسمى هو واتباعه «أصحاب المعاني»^(٥)، كما استبدل أبو هاشم الجبائي^(٦) لفظ «الصفات» ودعاها «أحوالا» وقال: إذا قلنا أن الله عالم أثبتنا لله حالة خاصة هي العلم وهي وراء كونه ذاتا، وإذا قلنا أن الله قادر أثبتنا لله حالة خاصة هي القدرة وهي وراء كونه ذاتا، وهكذا في سائر الصفات^(٧).

وأجمعت المعتزلة على أن الله واحد ليس كمثله شيء، وليس بجسم، وليس بذي جهات، ولا يحيط به مكان، ولا يجرى عليه زمان، ولا يوصف بشيء من صفات الخلق

(١) ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧.

(٢) الشهرستاني: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣.

(٣) الشهرستاني: نهاية الاقدام، ص ١٠٠.

(٤) كان معمر عالما عدلا ومن أعظم المعتزلة مرتبة، وقد اتصل بالفلسفة اليونانية وعده المعتزلة من رجال الطبقة السادسة من رجالهم (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م). (البغدادى: الفرق بين الفرق، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥٠، ج ٢، ص ١٦٧، على ساسى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج ١، ص ٥٧٩ وما بعدها، إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج ٢، ص ٢٤٢.

(٥) الشهرستاني: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٣، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٨.

(٦) هو أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي (٣٢١هـ / ٩٣٣م)، كان هو وأبوه من كبار المعتزلة، وله مصنفات فى الاعتزال، وتبعته فرقة سميت باسمه (البهشمية)، نسبة الى أبى هاشم، وعده المعتزلة من رجال الطبقة التاسعة من رجالهم. (ابن النديم: الفهرست، ص ٢٤٧، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٨٦، البغدادى، المصدر السابق، ص ١٦٩، الخطيب البغدادى: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٥٥ (دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان)، الاسفرايينى: المصدر السابق، ص ٥٣، الشهرستاني: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٥٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٧٩ - ٨٠، ج ٢، ص ١٧٦، إبراهيم مدكور: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٣).

(٧) الشهرستاني: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٥، ابن المرتضى: ج ٢، ص ١٧٦ - ١٧٧.

الدالة على حدودهم، وليس بمحدود، ولا والد ولا مولود، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأوهام، لا تلحقه المضار، ولا يصل اليه الأذى والآلام، ولا يجوز عليه الفناء ولا يلحقه العجز والنقص^(١)، وأن شيئاً من الحواس لا يدركه في دنیا ولا في آخرة، وأنه قديم وكل ما سواه محدث^(٢)، وقد سبق الأشياء كلها بنفسه، واستغنى عنها بذاته، فلا قديم إلا هو، لا تحيط به العقول، ولا تتصوره الأوهام، يعلم ما يكون قبل أن يكون، ويعلم ما كان وما سيكون وما لا يكون لو كان كيف يكون^(٣).

ولما كان المعتزلة يعتقدون بوحداية الله عز وجل، وأن القدم أخص وصف لذاته الكريمة^(٤)، فإنهم حاربوا كل مذهب وكل قول يرون أنه يتعارض مع مبدأ الوحدانية^(٥). وأثار المعتزلة مسألة رؤية الله بالأبصار^(٦)، وكان نفيتهم للرؤية نفى استحالة^(٧)، وقالوا: نرى الله بقلوبنا، ذلك لأن الرؤية بالقلب بمعنى العلم، ولا تستلزم الجسمية في المرئي^(٨)، وقال القاضي عبد الجبار: «أنه لا أحد يدعى أنه يرى الله سبحانه إلا من يعتقد جسماً مصوراً بصورة مخصوصة، أو يعتقد فيه أنه يحل في الأجسام^(٩)، وكفر المعتزلة من ثبت الرؤية على سبيل المقابلة، أو على اتصال شعاع الرائي بالمرئي^(١٠)، لأن القول برؤية الله تعالى هدم للتنزيه وتشويه لفكرة الله، وتشبيهه والمُشَبَّه كافر بالله^(١١). وأجمع المعتزلة على نفى الجهة من الله تعالى، لأنهم اعتقدوا أن إثباتها يوجب إثبات

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ٦٣.

(٣) الشريف المرتضى: إنفاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٦٥ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج١).

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٥١، نهاية الإقدام، ص ٢٠١.

(٥) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٦١، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص ٥٠.

(٦) الأشعري: المصدر السابق، ج١، ص ٢٣٨، الشهرستاني: المصدر السابق، ج١، ص ٥١.

(٧) الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص ٣٥٦.

(٨) الأشعري: المصدر السابق، ج١، ص ٢٨٩، الإبانة عن أصول الديانة، ص ٣٨ - ٣٩.

(٩) المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٤، ص ٩٨ (تحقيق: محمد مصطفى حلمي، أبو الوفا التفتازاني: طبعة القاهرة، ١٩٦٥م)، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٣٣.

(١٠) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٥٢.

(١١) ابن المرتضى: النية والأمل، ج٢، ص ١٣٢.

المكان والجسمية^(١)، وأولوا كل الآيات الدالة على الجهة، وعلى الأعضاء، وعلى مشابهة المخلوقات، وكذلك فعلوا مع الآيات التي تدل على الجسمية كإثبات الوجه واليدين^(٢).

واتفق المعتزلة على أن كلام الله مخلوق^(٣)، وذلك لنفى وجود أى قديم سوى الذات الإلهية، ومقاومة لما كان النصارى يفسونونه بين المسلمين، من القول بقدم الكلام إثباتاً لألوهية المسيح الذى هو كلمة الله القديمة^(٤)، ولأن القول بقدم كلام الله، يجعله من صفاته، والمعتزلة ترد جميع الصفات للذات^(٥)، وقالوا: إن القرآن يتقدم بعضه على بعض فلا يجوز أن يكون قديماً، إن القديم ما لا يتقدمه غيره^(٦).

وكان بدء المحنة بالقول بخلق القرآن سنة (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) الى أن أفضت الخلافة العباسية الى المتوكل على الله فأمر سنة (٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م) بترك النظر والمباحثة والجدال وترك ما عليه الناس فى أيام الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق من القول بخلق القرآن^(٧)، وهذا أبرز أمر فى تاريخ المعتزلة لما اتصل به من أحداث تاريخية واجتماعية وسياسية.

٢. العدل؛

وهو الأصل الثانى من أصولهم وأهمها، و كان المعتزلة يفخرون به، ويسمون أصحاب

(١) الأشعرى: مقالات الاسلاميين، ج٢، ص٢٣٦، ٢٨٦.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ج١، ص٢٢٠ (مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٥ هـ) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص٢٦.

(٣) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٤١ وما بعدها، القاضى عبد الجبار: المغنى فى أبواب التوحيد والعدل، ج٧، ص٣، (تحقيق: إبراهيم الأبيارى، طبع القاهرة)، الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص٣٧، الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص٥١، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء ص١١٧، الموسوعة الفلسفية المختصرة، ٣٢٨.

(٤) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٢٩١، الشهرستانى: المصدر السابق، ج١، ص٦٨، البير نصرى: فلسفة المعتزلة، ج١، ص١١٠، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، ج١، ص١٢٩ - ١٣٠ (الطبعة الرابعة، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٢ م).

(٥) ابن المرتضى: النية والأمل، ج٢، ص١١٩.

(٦) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص٥٣١.

(٧) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٩، ص١٩٠، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٩.

العدل والتوحيد^(١) وأهل العدل والعدلية^(٢)، والعدل على مذهب أهل الاعتزال، هو ما يقتضيه العقل من الحكمة، وهو إصدار الفعل على وجه الصواب والمصلحة^(٣). وقالوا: إن الله يسير بالخلق الى غاية، وإن الله يريد خير ما يكون لخلقه^(٤)، وأن أفعال الله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ولا يخل بما هو واجب عليه^(٥)، ويعنون أيضاً بالعدل، نفى القدر، والقول بأن الإنسان موجد أفعاله تنزيهاً لله عن أن يضاف له الشر^(٦). يقول القاضي عبد الجبار: «من خالف العدل وأضاف الى الله القبائح من ظلم وكذب وإظهار المعجزات على الكذابين، وتعذيب أطفال المشركين بذنوب آبائهم والإخلال بالواجب فإنه يكفر»^(٧).

وقالوا: إن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة وغرض، ولما تقدس الله تعالى عن الانتفاع تعين إنما يفعل لينفع غيره^(٨)، وأن العدل من صفات الله والظلم والجور منفيان عنه^(٩)، وأن الله تعالى لا يحب الظلم ولا يحب الفساد^(١٠)، والعدل يتحقق في الزمان، والله لم يزل عادلاً، ولكنه يطبق عدله عند ظهور الشر من الكائن العاقل، المحدث، المختار لأفعاله^(١١). ومعنى هذا أن كل فعل من أفعاله الله تعالى لا يخلو من الصلاح والخير^(١٢) فالله لا

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٥٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٤٤، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص ٧٤.

(٢) ابن المرتضى: المصدر السابق، ج١، ص ٤، ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، ج١، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) الشهرستاني: المصدر السابق، ج١، ص ٤٩، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج٢، ص ١٤٨.

(٤) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٩٧ - ٩٨، أحمد أمين: المرجع السابق، ج٣، ص ٤٥.

(٥) القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٢.

(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٩٤ - ٩٥، القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص ٢٥١.

(٧) المصدر السابق، ص ١٣٤.

(٨) الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص ٣٩٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢، ص ١١٤.

(٩) الخياط: الانتصار، ص ٢٣، ٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٤٥.

(١٠) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ٦٣، الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١١٠.

المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص ٢٢١، الشهرستاني: المصدر السابق والصفحة، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج١، ص ٤٣٠.

(١١) ابن المرتضى: المصدر السابق، ج٢، ص ١١٧.

(١٢) الشهرستاني: المصدر السابق، ص ٣٩٧، ٤٠٠.

يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم^(١)، وأنه أحسن نظراً لعباده منهم لأنفسهم^(٢). وموقف المعتزلة من مسألة العدل، يركز على تعريفهم لله بأنه ذات كاملة، فهو لا يفعل إلا الأصح لعباده، ويطبق عدله على من يستحقه^(٣)، وجميع ما يفعله الله بغيره عدل^(٤)، يقول الخياط: «إن الله هو الممرض المسقم لمن أمرضه، وإن أحداً لم يمرض نفسه ولم يسقمها، وهو المعيب للنبات والزرع من قحط وجذب، ولكن ذلك كله لا يعد من قبله شراً أو فساداً، فليس كل ما تكرهه النفس قبيحاً، وإنما القبيح ما كان ضرراً خالصاً أو عبثاً، وذلك كله من الله محال»^(٥).

وقد أدى ذلك الى نظريتين مشهورتين هما: نظرية الصلاح والأصلح، ونظرية الحسن والقبح العقليين^(٦). وليس الأصلح هو الألد، وإنما هو أجود فى العاجلة، وأصوب لأجل الآجلة^(٧). ونظرية المعتزلة فى الحسن والقبح، أنهم رأوا أن الحسن والقبح فى الأعمال ذاتيان، فجميع الأعمال الحسنة من عدل وصدق وشجاعة فيها نفسها صفة جعلتها حسنة، والأعمال الحسنة من عدل وصدق وشجاعة فيها نفسها صفة جعلتها حسنة، وجميع الأعمال القبيحة من ظلم وكذب فيها ذاتها صفة جعلتها قبيحة^(٨).

ويعد تقرير حرية إرادة الإنسان من أهم ما عرف عن المعتزلة، وليس بين فرق المسلمين من أقر هذه الحرية على نحو من الصراحة والوضوح كما فعل المعتزلة^(٩). فوجهة نظر

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١١٥ - ١١٦.

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٤.

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١١٧.

(٤) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١١٤.

(٥) الانتصار، ص ٨٠.

(٦) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء ص ١١٣ - ١١٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٤١،

محمد أبو زهرة: ابن حزم، ص ١٤٤ (دار الفكر العربى، ١٣٧٣هـ / ١٩٤٥م)، الشافعى ص ١٢٣

(دار الفكر العربى، ١٩٧٨م)، إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٣.

(٧) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٥٠٧، الشهرستانى: نهاية الإقدام، ص ٥٠٤.

(٨) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، الغزالى: المستصفى من علم الأصول، ج ١، ص ٥٥ -

٥٦ (الطبعة الأولى، المطبعة الأميرية ببولاق)، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٦٦، أحمد

أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٤٧.

(٩) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٩٧، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، ج ١، ص ١٤٨.

المعتزلة فيها أن الاستطاعة قبل الفعل، وهى قدرة عليه وعلى ضده، وهى غير موجبة للعقل، وأنكروا بأجمعهم أن يكلف الله عبدا ما لم يقدر عليه^(١)، ولا بد من كون القادر على الشئ قادر على ضده فى الجنس^(٢).

وأن قدرة الله وإرادته لا تؤثر على قدرة العبد وإرادته، ولا يصح محاسبة الإنسان على أفعاله إلا إذا كان قادراً على فعلها أو الامتناع عنها^(٣)، ولا يجوز أن يعذب الله العباد على طولهم وقصرهم وألوانهم وصورهم، لأن هذه الأمور فعله وخلقه فيهم^(٤).

وقالوا: إن الناس هم الذين يقدرُونَ أكسابهم، وأنه ليس لله عز وجل فى أكسابهم، ولا فى أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير^(٥)، وأن أفعال العباد ليست مخلوقة فيهم وإنما هم المحدثون لها^(٦)، وأن من قال بأن الله سبحانه خالقها ومحدثها فقد عظم خطؤه^(٧).

وتمسك المعتزلة بحرية إرادة الإنسان حتى لا ينسب الشر الخلقى الناتج عن علاقة الإنسان كالظلم الى الله^(٨)، واتفقوا على أن العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، مستحق على ما يفعله ثواباً وعقاباً فى الدار الآخرة^(٩)، والرب منزّه أن يضاف اليه شر وظلم، لأنه

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٣٠٠.

(٢) القاضى عبد الجبار: المغنى، ج١٣، ص ٢٠٦ (تحقيق: أبو العلا عفيفى، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ج١٤، ص ٦٠ (تحقيق: مصطفى السقا، مصر، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج١، ص ٤٨٢.

(٤) يقول الشريف المرتضى: لو كان الكفر والفجور فعل الله تعالى، لم يجوز أن يعذبهم على ذلك، ولا ينهأهم عنه، ولا يأمرهم بخلافه (إنفاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ «ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج١»).

(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٩٤، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ١٤.

(٦) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٣٢٣ الرازى: فرق المسلمين، ص ٣٨، محمد الحضرى: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٢٧ (مطبعة الاستقامة بالقاهرة، بدون تاريخ).

(٧) القاضى عبد الجبار: المغنى، ج٦، القسم الثانى، ص ٤١، (تحقيق: الأب قنوانى، وزارة الإرشاد القومى، مصر، بدون تاريخ).

(٨) الشريف المرتضى: إنفاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٧٩، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام ج٢، ص ١٤٩.

(٩) قال المعتزلة: وأما حجة العقول على أن الله لم يفعل أفعال العباد. أنا وجدنا من أفعال العباد ما هو ظلم وعبث وفساد، وفاعل الظلم ظالم، وفاعل العبث عابث، وفاعل الفساد مفسد، فلما لم يجوز أن يكون الله مفسداً، علمنا أنه لا يفعل الظلم ولا العبث ولا الفساد. (الشريف المرتضى: المصدر السابق، ص ٢٧٨ - ٢٧٩).

لو خلق الظلم كان ظالماً، كما لو خلق العدل كان عادلاً^(١)، ولو كان الكافر مجبراً على كفره لكان أمره بالإيمان تكليفاً له بما لا يطيق^(٢)، والعباد يفعلون ما أمروا به، ونهوا عنه، بالقدرة التي خلقها لهم وركبها فيهم، فيطيعوا أو يتركوا المعاصي^(٣).

وقد أثارَت مسألة خلق الأفعال عند المعتزلة وخصومهم مسائل عديدة منها مسألة التولد^(٤)، يقول الشهرستاني: «وبشر بن المعتمر هو الذي بالتولد وأفرط فيه، فقال: كل ما تولد من فعلنا مخلوق لنا»^(٥)، وقال أبو الهذيل العلاف^(٦): «إن كل ما تولد من فعله مما يعلم كقيسته فهو من فعله، فالألم الحادث عن الضرب من فعله، أما الألوان والطعوم والبرودة والحرارة فكلها من فعل الله»^(٧) وقال ثمامة بن الأشرس: إن الأفعال المتولدة لا فاعل لها، والمعرفة متولدة من النظر وهي فعل لا فاعل له كسائر المتولدات^(٨).

وكان النظام يرى أن: الإنسان لا يفعل إلا الحركة، ولا يفعل الإنسان الحركة إلا في نفسه، فأما في غيره فلا، فإذا حرك يده فذلك فعله، أما إذا رمى حجراً فتحرك إلى فوق أو

(١) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١١٠ - ١١١، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٣٤٥، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٢، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٩ وما بعدها.

(٢) القاضي عبد الجبار: المغني، ج ٦، القسم الثاني، ص ٣٤١ - ٣٤٩.

(٣) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ٦٣.

(٤) قال ابن حزم: تنازع المتكلمون في معنى عبروا عنه بالتولد، فقالت طائفة: ما تولد من ذلك عن فعل إنسان أوحى فهو فعل الإنسان أو الحى واختلفوا فيما تولد من غير حى فقالت طائفة: هو فعل الله، وقالت طائفة ما تولد من غير حى فهو فعل الطبيعة، وقال آخرون: كل ذلك فعل الله عز وجل (الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٥، ص ٣٧، «مكتبة صبيح، مصر ١٣٤٨هـ»).

(٥) الملل والنحل، ج ١، ص ٧٠ - ٧١.

(٦) هو محمد بن الهذيل العلاف، لقب بالعلاف لأن داره في البصرة كانت في العلافيين، وكان الخلفاء - المأمون والمعتصم والوائق - يقدمونه ويعظمونه، وكان أحمد بن أبي دؤاد من تلامذته (ت سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م)، (الملطى: التنبيه والرد، ص ٤٣ - ٤٤، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٧، ابن المرتضى: النية والأمل، ج ١، ص ٤٣ - ٤٤).

(٧) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٨٧.

(٨) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص ٧٧، ابن المرتضى: المصدر السابق ج ٢، ص ١٧١.

الى تحت، فتحرك الحجر ليس فعل الإنسان، وإنما هو من فعل الله^(١).
وترتبط فكرة التولد بمبدأ الجزاء والمسئولية، فموضوع التولد مثل من أمثلة التعمق الذى
امتاز به المعتزلة، هو يعنى إثبات القدرة والارادة والاستطاعة للإنسان، ونسبة أفعاله اليه،
ومن ثم اعتبار الجزاء من ثواب أو عقاب جزاء لما قدمته يد الإنسان المكلف من أعمال.
٣. الوعد والوعيد:

الوعد هو: كل خير يتضمن إيصال نفع الى الغير أو دفع ضرر عنه فى المستقبل، أما
الوعيد: فهو كل خير يتضمن إيصال ضرر الى الغير، أو تفويت نفع عنه فى المستقبل^(٢)
ويعنى هذا المبدأ من مبادئ المعتزلة أن الله وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة
بالعقاب، وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة، ولا يجوز عليه الخلف والكذب^(٣)،
أى من أحسن عملاً فيجازى بالحسان إحساناً، ومن أساء يجازى بالإساءة عذاباً أليماً^(٤)،
وقد قصد المعتزلة الأثر النفسى الذى يحدثه مبدأ الوعد والوعيد، (فإذا علم المذنب أى
مرتكب الكبيرة أنه لا يعاقب على ذنبه، بل عفى عنه لم ينزجر عن الذنب بل كان ذلك
تقريباً له على ذنبه وعدم التوبة عنه، وكان أغراء للغير عليه)^(٥).
وقد وافق واصل بن عطاء وعمر بن عبيد الخوارج فى تأييد صاحب الكبيرة فى النار
مع قولهما بأنه موحد وليس بمشرك ولا كافر^(٦).

وقالت المعتزلة: ان المعاصى تنقسم الى صفائر وكبائر، والكبيرة مأتى فيها وعيد،
وقالوا: إن الكبائر شر بعضها يصل الى حد الكفر، فمن شبه الله أو جوراً فى حكمه، أو
كذبه فى خبره فقد كفر^(٧)، ويقول الشهرستاني حينما قرر هذا الأصل من أصولهم:

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ٨٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ج٢، ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٤ - ١٣٥،

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ١٣٥ - ١٣٦.

(٤) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١٠٩ - ١١٠.

(٥) الإيجى: المواقيف، ج٢، ص ٤٤٦ (طبعة بولاق القاهرة، ١٩١٣ م).

(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٩٨.

(٧) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٣٣٢ - ٣٣٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص

٦٢ - ٦٣.

«واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا على طاعة وتوبة استحق الثواب والعوض، والتفضل معنى آخر وراء الثواب، وإذا خرج من غير توبة عن كبيرة ارتكبها استحق الخلود في النار، لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكفار، وسموا هذا النمط وعدا ووعيدا^(١)».

وقد عبر عن هذا المعنى القاضى عبد الجبار فى قوله^(٢): «إن المكلف إذا عسرف أنه مستحق الذم والعقاب على المعاصى، ومستحق المدح والثواب على الطاعات، كان ذلك أقرب الى اختيار الطاعات واجتناب المعصية كما عرف من النفع والضرر فيهما». ورتبوا على ذلك أنه لا عفو عن كبيرة من غير توبة^(٣)، وأن الله لا يغفر لمرتكب الكبائر الا بالتوبة، وأنه صادق فى وعده ووعيده^(٤).

ولما كانت الشفاعة يوم القيامة تتعارض مع إنجاز الوعيد، وتحول دون عقاب من توعدهم الله بالعقاب^(٥)، فإنهم أنكروها وتأولوا الآيات الواردة فى ثبوتها، وتمسكوا بالآيات الواردة فى نفيها^(٦)، وقالوا: إن ما يناله الإنسان باستحقاق منه، وإن أسمى المنازل منزلة هو الاستحقاق^(٧).

قال القاضى عبد الجبار: «من خالف فى الوعد والوعيد، وقال: إنه تعالى ما وعد المطيعين بالثواب ولا توعد العاصين بالعقاب فإنه يكون كافرا^(٨)، وأصل الوعد والوعيد متفرع عن أصل العدل، إذ تقتضى العدالة الإلهية أن تنيب الأخيار وأن تعاقب الأشرار^(٩)».

(١) الملل والنحل، ج١، ص ٥٢.

(٢) المغنى، ج١٢، ص ٤٩٢ (تحقيق إبراهيم مدكور، القاهرة، ١٩٦٢ م).

(٣) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٢٠-٢١.

(٤) الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص ٣٩.

(٥) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٥١-٥٢.

(٦) الأشعرى: المصدر السابق، ص ١٣٩-١٤٠، ابن حزم: الفصل ج٤، ٥٣-٥٤.

(٨) المسعودى: مروج الذهب، ج٣، ص ٢٢١، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج١، ص ٤٣٠.

(٩) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٢٥.

(٩) القاضى عبد الجبار: المغنى ج١٢، ص ٤٩٣، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص ٦٥، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، ج١، ص ١٥٧.

ويمكن تلخيص النظرة المعتزلية الى اليوم الآخر: أنه استحقاق وأعواض، استحقاق الإنسان على طاعته الثواب وعلى معصيته العقاب، وأعواض لغير المكلفين كالأطفال والحيوانات^(١)، والرق عند القاضى عبد الجبار لا يمكن أن يحسن عقلاً، ولا أن يكون عدلاً، على أن الله يغمر لهم عوضاً عما كابدوا، وإلا لم يكن منه أن يبيحه^(٢)، والتعويض يكون على ضربين. اما بانتصاف المظلوم من الظالم أو يدفع البذل عن الفعل الشاق، نحو استعمال الأجير وغيره^(٣).

ويوضح المعتزلة أن عوض البهائم أنفع لها الى الحد الذى لو أدركت البهيمة واطلعت على ما تستحقه من عوض لتمنت لأجله تكرار الذبح حالاً بعد حال^(٤)، ويصف «جولد تسهير» هذه النظرة الأخلاقية للحيوان لدى المعتزلة: «أنها حماية للحيوان فى صورة إنسانية»^(٥).

وقد أجمع المعتزلة على أنه لا يجوز أن يؤلم الله الأطفال فى الآخرة، ولا يجوز أن يعذبهم^(٦)، إذ لا يعذب الا من يستحق العذاب، أما من لم يتوجه اليهم التكليف أو الخطاب بأمر أو نهى - أطفال مسلمين أو مشركين - فالله منزّه عن تعذيبهم^(٧). وحقيقة الوعد والوعيد تعنى أن من أطاع الله دخل الجنة ومن عصاه دخل النار، وأن يجازى من أحسن بالإحسان، ومن أساء بالسوء.

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣١٩، ٣٢، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، ج ١، ص ١٥٧.

(٢) المغنى، ج ٦، ق ١، ص ١١، ج ١٣، ص ٤٦٥ (تحقيق: أبو العلا عفيفى، القاهرة، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م).

(٣) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ج ١٣، ص ٤٧٠، ج ١٢، ص ٢٨٦.

(٤) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ج ١٣، ص ٤٥٦.

(٥) العقيدة والشرعية فى الإسلام، ص ٩٤ (ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرين، طبع القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م).

(٦) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣١٩.

(٧) القاضى عبد الجبار: المختصر فى أصول الدين، ص ٢٢٢ - ٢٢٣، (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١).

٤. المنزلة بين المنزلتين؛

يقول القاضى عبد الجبار^(١): «المنزلة بين المنزلتين هى العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، وقد جعل واصل بن عطاء الفسق منزلة بين منزلتى الكفر والايمان^(٢)، اذ قال: «أنا لا أقول أن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق، بل فى منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر^(٣)».

ويرى المسعودى^(٤) أن هذا الأصل نقطة البدء فى تكوين المعتزلة فيقول: «وأما القول بالمنزلة بين المنزلتين فهو أن الفاسق حسب ما ورد التوقيف بتسميته، وأجمع أهل الصلاة على فسوقه، وبهذا الباب سميت المعتزلة وهو الاعتزال».

ويقول الاسفراينى^(٥): «وما اتفقوا عليه من فضائحهم قولهم: إن حال الفاسق الملى منزلة بين المنزلتين، لا هو مؤمن ولا هو كافر، وإن هو خرج من الدنيا قبل أن يتوب يكون مخلداً فى النار».

وفى إطار هذا الأصل كان الخلاف مع المرجئة من جانب، والخوارج من جانب آخر^(٦)، وذهب المعتزلة أيضاً الى القول بأن مرتكب الكبيرة الذى لم يتب يكون مآله فى الآخرة التخليد فى النار، وإن يكن فى درجة أخف من درجة الكفار^(٧).

ويقول الخياط^(٨): «فوجب أن صاحب الكبيرة ليس بمؤمن بزوال أحكام الإيمان عنه فى كتاب الله، ووجب أنه ليس كافراً بزوال أحكام الكفر عنه، ووجب أنه ليس بمنافق بزوال أحكام المنافقين عنه فى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ووجب أنه فاسق فاجر

(١) شرح الأصول الخمسة، ص ١٣٧.

(٢) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٩٨، الرازى: اعتقادات المسلمين، ص ٤٠، القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٥٨.

(٣) الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، ج ١، ص ١٦٧، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٥.

(٤) مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٢٢.

(٥) التبصير فى الدين، ص ٣٨.

(٦) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٢٣، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية، ص ٦٥، أحمد محمود صبحى: علم الكلام، ج ١، ص ١٦١.

(٧) الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٦.

(٨) الانتصار، ص ١٦٥، ١٦٧.

لإجماع الأمة على تسميته بذلك وبتسمية الله في كتابه». وقد جعل المعتزلة فكرة المنزلة بين المنزلتين خطة للاعتدال في الأمور، والتوسط بين المتطرفين^(١)، ويرى البعض أن: مبدأ المنزلة بين المنزلتين هو الخطوة الأولى في ظهور المعتزلة وتميزها كاستمرار في ميدان الفكر والنظر^(٢). وهذا المبدأ هو سبب للخلاف بين الحسن البصري وواصل بن عطاء، ذلك الخلاف الذي تبلورت على أثره مدرسة المعتزلة كمدرسة مستقلة ورثت كل تقاليد القائلين بالعدل والتوحيد في تراث المسلمين^(٣).

٥. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهذا هو الأصل الخامس من أصول المعتزلة، ويرى المعتزلة أنه لا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٤)، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالقلب إن كفى، وباللسان إن لم يكف القلب، وباليدين إن لم يغننا اللسان وبالسيوف إن لم تكف اليد^(٥)، لقوله تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين أقتلتا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلى أمر الله»^(٦)، فالله أمر بإصلاح ذات البين أولاً، ثم بعد ذلك بما يليه إلى أن انتهى إلى المقاتلة^(٧). يقول ابن حزم^(٨): «ذهب المعتزلة إلى أن سل السيوف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك».

(١) زهد جابر الله: المعتزلة، ص ٥٦، محمد عمارة: المرجع السابق، ص ٦٨.

(٢) نلينو: بحوث في المعتزلة، ص ١٩١.

(٣) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٣٣، ٥٥، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، ص ٦٦.

(٤) يقول القاضي عبد الجبار: الأمر هو: قول القائل لمن دونه في الرتبة افعل، والنهي: هو قول القائل لمن دونه لا تفعل، والمعروف: هو كل فعل عرف فاعله حسنه أو دل عليه، والمنكر: هو كل فعل عرف فاعله قبحه أو دل عليه. (شرح الأصول الخمسة، ص ١٤١ - ١٤٢، ١٤٥).

(٥) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣٣٧، ج ٢، ص ١٤١ - ١٤٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٦٤ - ٦٥.

(٦) سورة الحجرات، آية: ٩.

(٧) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، ص ١٤١ - ١٤٤.

(٨) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٤، ص ١٣٢.

وكان المعتزلة يعتقدون (أنه لا فرق في باب المناكير بين أن تكون من أفعال القلوب وبين أن تكون من أفعال الجوارح في أنه يجب النهي عنها، إذ النهي عنها وجب لقبحها، والقبح يعمها)^(١).

وقد حكى الأصفهاني^(٢) أن عبد الكريم بن أبي العوجاء كان يفسد الأحداث بالبصرة فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتدخله دينك، فإن خرجت من مصرنا وإلا قمت فيك مقاماً أتى فيه على نفسك، فلحق بالكوفة. فدل عليه محمد بن سليمان فقتله وصلبه.

ونرى واصل بن عطاء أنه في ثبوت ما يشهد على إلحاد بشار بن برد، يقول^(٣): «أما لهذا الأعمى الملحد المكنى بأبي معاذ من يقتله؟».

وتعاون واصل واتباعه من معتزلة البصرة أمثال عمرو بن عبيد على طرده من مدينتهم، وكان الخوف قد بلغ من بشار، فبارحها وظل غائباً عنها حتى توفي عمرو بين عبيد خليفة واصل سنة ١٤٥ هـ (٧٦٢ م)^(٤).

وهذا المبدأ هو الذي جعلهم يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم. لا اعتقادهم أنهم بمخالفتهم قد أتوا منكراً^(٥)، ويقول القاضي عبد الجبار^(٦): «ولهذا نباهى بالحسين بن علي على سائر الأمم، فنقول: لم يبق من ولد الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلا سبطا واحدا، فلم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى قتل في ذلك».

وهذا المبدأ هو الذي جعل للمعتزلة موقفاً فعالاً في الدولة، وجعل لهم سلطاناً على الناس يوم أتيح لهم ذلك.

(١) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ١٤١ - ١٤٤.

(٢) الأغاني، ج ٣، ص ٩٩٣ (تحقيق: إبراهيم الأبياري، طبعة الشعب، ١٣٣٨ هـ / ١٩٦٩ م).

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٦ (مكتبة الخالجي)، تحقيق: عبد السلام هارون، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م، المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج ٢، ص ١٤٤ (مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ)، الأصفهاني: المصدر السابق والجزء، ص ٩٩٢، الشريف المرتضى: آمالي المرتضى، ج ١، ص ١٤٠، الحصري: زهر الآداب وثمره الألباب، ج ٢، ص ٤٧٣ (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢ م)، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٩، ص ٢٤٥.

(٤) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص ٢٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٦٧.

(٥) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٥٢ - ٥٣.

(٦) شرح الأصول الخمسة، ص ١٤٣.

انتشار تعاليمها في بغداد

ظلت البصرة مركزاً لحركة الاعتزال كلها رغم تعدد شيعها حتى قامت العاصمة بغداد وازدهرت، واستقر بعض رجال تلك الحركة فيها^(١)، وقد أخذ معتزلة بغداد الاعتزال عن معتزلة البصرة، حيث خرج بشر بن المعتمر الى البصرة، فلقى بشر بن سعيد، وأبا عثمان الزعفراني، وهما صاحباً واصل بن عطاء فأخذ عنهما الاعتزال، وحمل الاعتزال والأصول الخمسة الى بغداد^(٢).

وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٧ - ١٥٨ هـ / ٧٥٤ - ٧٧٥ م) رفع المعتزلة رؤوسهم، وذلك لأن عمرأ بن عبيد كان صديقاً للمنصور قبل أن تؤول اليه الخلافة، وكان المنصور يحترمه ويخضع له، ويطلب منه الموعدة لزهده^(٣)، وفي تلك الأثناء كان المعتزلة يعلمون الكلام في مسجد المنصور ببغداد^(٤). وعلى الرغم من صلات الخليفة المنصور بفكر المعتزلة واختلافه الى حلقاتهم، إلا أننا نجد المعتزلة يناصرون ابراهيم بن عبدالله بن الحسن ابن أبي طالب حين خرج من البصرة ومعه المعتزلة والزيدية لمحاربة الخليفة المنصور^(٥).

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٢، معن زيادة: مقدمة كتاب «المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين لأبي سعيد النيسابوري ص ٩ (معهد الإنماء العربي، ليبيا، الطبعة الأولى، ١٩٧٩ م).
(٢) الملطي: التنبيه والرد، ص ٤٢ - ٤٣، على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج ١، ص ٤٥٩.

(٣) ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٣٧ (الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٨ م)، الشريف المرتضى: أمالي المرتضى، ج ١، ص ٧٠، الحصري: زهر الآداب، ج ١، ص ١٠٣، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٦٦ - ١٦٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٣١، ابن المرتضى المنية والامل، ج ١، ص ٤١، السيوطي: المصدر السابق، ص ٢٦٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ١، ص ٢١١، (دار المسيرة، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية).

(٤) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص ٢٦١.
(٥) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ١١٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ١٥٤، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٣١، ابن المرتضى: المنية والامل، ج ١، ص ٤١ - ٤٢.

ونهى الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ / ٧٨٦ - ٨٠٨ م) عن المجادلة وأمر بعبس المتكلمين^(١)، وقد بلغه عن بشر المريسي^(٢) القول بخلق القرآن، فقال: لئن ظفرت به لأضربن عنقه^(٣)، كما قام الخليفة الرشيد بعبس بشر بن المعتمر (ت ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م)، فكان ينظم في السجن شعراً في العدل والتوحيد والوعيد، فألهج الناس بنشدها في كل مجلس ومحفل^(٤)، حتى قالت حاشية الرشيد له في ذلك: ان بشراً في سجنه أخطر مما كان حراً^(٥).

لم تبلغ تعاليم الاعتزال مبلغها من القوة والانتشار في العصر العباسي الأول إلا في عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م)^(٦) واشتهر المأمون بالحرص على الدين ومتابعة الملحدين والزنادقة^(٧).

وقد تتلمذ المأمون على يد شيوخ المعتزلة، أمثال: ثمامة بن الأشرس، ويحيى بن المبارك، وبشر بن غياث المريسي، وأبي الهذيل العلاف وقد كانوا من رءوس المعتزلة^(٨).

ولما كان المعتزلة في وقت المأمون طلاباً للعلم والفلسفة فإنه قربهم إليه، واستطاب

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٢٣٠ وما بعدها، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٨٣ وما بعدها.

(٢) هو بشر بن غياث المريسي (ت ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م). شيخ المعتزلة، وكان يدعو إلى القول بخلق القرآن وقد أخذ الفقه عن القاضي أبي يوسف الحنفي، إلا أنه اشتغل بالكلام. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٥١، الحافظ بن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠ ص ٢٨١) (الطبعة الرابعة، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م)، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ١٦٧.

(٣) السيوطي: المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٤) الملطي: التنبيه والرد، ص ٤٣، القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٦٥، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٤٩.

(٥) الخياط: الانتصار، ص ١٩٤، الملطي: المصدر السابق، ص ٤٣، البير نصري نادر: فلسفة المعتزلة، ج ١، ص ٢٦ - ٢٧.

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٥٢٧ وما بعدها، السيوطي: المصدر السابق، ص ٣٠٦ وما بعدها. (٧) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٦ - ٣٠٧، الدوري: العصر العباسي الأول، ص ٢٢٢ (بغداد، الطبعة الأولى).

(٨) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ١٨٧، ٢٢٥، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٨، ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٧٥، أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ٣٦٧ - ٣٦٨.

مجالسهم فأدى به ذلك الى الإيمان بمبادئهم والدخول في مذهبهم^(١)، وهو الذى شغف بالعلم ومجد الرأى، وقد التف حوله رجالهم، وجلس هو منهم مجلس التلميذ^(٢). وقد عمل المأمون على عقد مجالس للمناظرة، وذلك لإزالة الخلاف بين المتناظرين فى المسائل الدينية التى كانت مصدر جدل ونزاع، وكان مجلسه للمناظرة كل يوم ثلاثاء^(٣). وكان المأمون يميل الى الأخذ بمذهب المعتزلة، فقرب أتباع هذا المذهب اليه، ومن ثم أصبحوا ذوى نفوذ كبير فى قصر الخلافة ببغداد، ووافق المأمون المعتزلة فيما ذهبوا اليه من أن القرآن مخلوق وعمد الى تسخير قوة الدولة فى إرغام الناس على القول بخلق القرآن^(٤). ويروى البغدادي أن الخليفة المأمون قد تلقى مبادئ الاعتزال على يد ثمامة بن الأشرس^(٥)، وقد أراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه من ذلك^(٦)، ويرجع الفضل أيضاً فى انتشار الاعتزال ببغداد الى الإعجاب بشخصية المرودار الزاهدة وفصاحته وقدرته على الوعظ وحسن القصص، ومن أجل هذا سمي «راهب المعتزلة»^(٧). عاصر العلاف الحركة الفلسفية المشهورة بحركة النقل والترجمة، وناقش وجادل فى حضرة الخلفاء، والمأمون بالذات^(٨).

- (١) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٦٢، محمد ابو زهرة: ابن حنبل «حياته وعصره»، ص ٤٤ - ٤٥
- (٢) السيوطى: المصدر السابق، ص ٣٠٦ - ٣٠٨، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ١٤٣ (الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة).
- (٣) أبو حنيفة الدينورى: الأخبار الطوال، ص ٤٠١ (تحقيق عبد المنعم عامر، ١٩٥٩م، أعادت طبعة بالأوفست - مكتبة المثنى ببغداد)، المسعودى: مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٠ (دار الكتاب اللبنانى، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م، تحقيق: محى الدين عبد الحميد)، السيوطى: المصدر السابق، ص ٣٢٧، على إبراهيم: التاريخ الإسلامى العام، ص ٤٠٧ (القاهرة، ١٩٧٢م)، حسن إبراهيم تاريخ الإسلام السياسى، ج ٢، ص ٢٤١
- (٤) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٨ - ٦٧
- (٥) الفرق بين الفرق، ص ١٥٧
- (٦) الزركلى: الأعلام، ج ٢، ص ٨٦
- (٧) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٧٧، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٥، المقرئى: الخطط، ج ٢، ص ٣٤٦، ابن المرتضى: النية والأمل، ج ١، ص ٦٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٤٦
- (٨) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ١ - ٢، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء ص ٥٧، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج ١، ص ٤٩١

وكانت أيضاً سيرة جعفر بن مبشر وجعفر بن حرب، وهما من رؤساء المعتزلة سبياً في انتشار الاعتزال في بغداد^(١).

عنى المأمون بالفلسفة وعلوم الأوائل، و مهر فيها، واجتمع عليه جمع من علمائها، فجره ذلك الى القول بخلق القرآن^(٢)، وكان مجلسه عامراً بالمتكلمين، فغلب عليه حب المعقولات، وأمر بترجمة كتب اليونان، وأحضر المترجمين من البلاد، فترجمت واشتغل الناس بها، فغلب على مجلسه جماعة من الجهمية^(٣). واستطاعوا أن يقنعوه بأفكارهم، فقبلها واستحسنها، ودعا الناس اليها وعاقب المخالفين لها، ونتيجة لذلك ارتفع شأن المعتزلة في عهده لأنه أيدها واعتنق مبادئها^(٤).

أما الرجل الذي لعب دوراً كبيراً في بلاد الخلفاء، واستطاع بنفذه، لديهم أن يجعلهم يحملون الناس في كل مكان على الإيمان بمذهب المعتزلة فهو القاضي أحمد بن أبي دؤاد الأيسادي^(٥) الذي بدأ في خدمة العباسيين في سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩م)، واتصل أمره بالخليفة المأمون عن طريق يحيى بن أكثم^(٦)، والذي قربه الى الخليفة وزكاه^(٧).

(٢) الخياط: الانتصار، ص ٨١ - ٨٢، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٤، أحمد أمين:

المرجع السابق، ج ٣، ص ١٤٨ - ١٤٩

(٢) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٥٦ (تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى، مطبعة الحلبي ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م).

(٣) اسم من اسماء المعتزلة، انظر ص ١٩ من هذا البحث

(٤) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، ج ١، ص ٢٣١، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٦٣، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٣٨ (نشر مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥ م، المطبعة التجارية بالقاهرة).

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١، ص ٦٣ - ٦٨، الحصري: زهر الآداب، ج ٣، ص ٩٥٢،

القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٦٤، باتون، أحمد بن حنبل والمحنة، ص ٩٨

(٦) هو القاضي يحيى بن أكثم أبو محمد المروزي (ت ٢٤٢ هـ / ٨٥٧ م)، كان فقيهاً مجتهداً، ولاه

المأمون قضاء البصرة سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م وهو ابن إحدى وعشرين سنة ثم القضاء ببغداد، وعزله

المعتصم عن القضاء، ثم رده المستوكل إليه ثم عزله سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ م، وأخذ أمواله. (الخطيب

البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٩٧ - ١٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٩٧ -

٢١٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥٦، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج ٢،

ص ١٠١، القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٦٤، الزركلي: الأعلام، ج ٩، ص ١٦٧

(٧) ابن خلكان: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦، القاسمي الدمشقي: المرجع السابق والجزء والصفحة،

باتون: المرجع السابق والصفحة.

وفى ذلك يقول أحمد بن أبى دؤاد: « كنت أحضر مجلس القاضى يحيى بن أكثم مع الفقهاء، فجاءه رسول المأمون، وقال له: يقول لك أمير المؤمنين، انتقل إلينا وجميع من معك من أصحابك فحضرت مع القوم، وتكلمنا بحضرة المأمون، فأقبل المأمون ينظر إلى إذا شرعت فى الكلام، ويتفهم ما أقول ويستحسنه، ثم قال: لا أعلم ما كان لنا من مجلس الا حضرته فقلت: نعم يا أمير المؤمنين»^(١).

وقال له المأمون يوماً: (إذا استجلس الناس فاضلاً فمثل أحمد، فقال أحمد: بل اذا استجلس الناس خليفة فمثل أمير المؤمنين، الذى يفهم عنه، ويكون أعلم بما يقوله منه)^(٢) وكان ابن أبى دؤاد اول من افتتح الكلام مع الخلفاء، بيد أنه كان لا يبدوهم حتى يبدووه^(٣)، وكان داعية الى القول بخلق القرآن^(٤).

وكانت مسألة خلق القرآن هى المسألة التى أولاها المعتزلة عنايتهم فى زمن المأمون لكثرة القول والجدل فيها، ولأنها تبنى على أكبر أصل من أصولهم، وهو التوحيد، وعدم تعدد صفات الله تعالى^(٥).

وقد لعب معتزلة بغداد الدور الأكبر فى استعداد الدولة على المخالفين واعتبار مسألة خلق القرآن أصلاً من أصول العقيدة، تفرض على الناس فرضاً^(٦).

ولم تتضح معالم اعتناق المأمون لمبادئ المعتزلة إلا فى الفترة الاخيرة من حياته الواقعة بين سنتى ٢١١ - ٢١٨ هـ / ٨٢٦ - ٨٣٣ م)^(٧)، ففى سنة ٢١١ / ٨٢٦ م أمر المأمون

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، ج١، ص ٦٦، القاسمى الدمشقى: المرجع السابق، ص ٦٤، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٣٣ (المكتبة التجارية الكبرى بمصر، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، بدون تاريخ).

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص ٦٤، الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٧، ص ٢٨١ (تحقيق إحسان عباس، نشر فرانز شتاينز بفيسبادن، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م).

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٦٣، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٢، ص ٨٧

(٤) الصفدى: الوافى والوفيات، ج٧، ص ٢٨١، الزركلى: الأعلام، ج١، ص ١٢٠

(٥) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٦٣١، الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص ٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٦٥

(٦) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد محمود صبحى: فى علم الكلام، ج١، ص ٢٦٦

(٧) الطبرى: المصدر السابق، ج ٨، ص ٦١٨، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص ٥٧، ابن الجوزى: مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، ج٦، ص ٢٣٥ (مخطوط) بدار الكتب المصرية تحت رقم

(٥٥١) تاريخ، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٨

منادياً ينادى أن: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، أو فضله على أجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن أفضل الخلق بعد رسول الله، علي بن أبي طالب^(١)، أعلن المأمون ذلك لميله إلى المعتزلة، فالمعتزلة يصفون معاوية بالبغي ومنازعة الأمر أهله، وعدم جدارته بالإمامة الصحيحة، بل يتطرف بعضهم فيحكم عليه بالكفر^(٢).

وقد أعلن المأمون اعتناقه مبادئ المعتزلة سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م، حيث أظهر القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب على أبي بكر وعمر^(٣)، «فاشمازت منه النفوس، وكادت الفتنة تعم البلاد، ولم يتم له من ذلك ما أراد فكف عنه الى سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م»^(٤).

ولكن أحداً من قبل لم يفكر في أن تتخذ هذه المسألة المسماة «بالمحنة» المبدأ الرسمي للدولة حتى جاء المأمون، وسميت هذه المسألة «بالمحنة» وظلت موضع اهتمام الدولة من سنة ٢١٨ هـ (٨٣٣ م) الى سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م)^(٥).

علي أن المأمون وإن أظهر القول بخلق القرآن سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م، فإنه كان في المرحلة السابقة على ذلك يعتنق مذهب المعتزلة، لكنه لم يظهر هذا الرأي ويعلنه الا في هذا العام^(٦).

(١) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: المصدر السابق. الجزء والصفحة، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢١٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٥٦، السيوطي: المصدر السابق والصفحة.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ١٤٥، القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ١٤٣، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٩٤ (الطبعة الرابعة عشر، ١٩٨٦، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة)، ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٥٣.

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٨، ص ٦١٩، المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص ٣٥٦، ابن كثير: البداية والنهاية، ج١، ص ٢٦٦، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢٠٣، طاش كبرى زاده: مصباح السعادة، ج٢، ص ١٦٩.

(٤) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص ٥٧، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٠٨، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٧.

(٥) الطبري: المصدر السابق، ج٨، ص ٦٣١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص ٣٤٤، السيوطي: المصدر السابق، ص ٣٠٨، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٦٣.

(٦) السبكي: المصدر السابق، ج١، ص ٣٢٦ (تحقيق: أحمد رفعت البدرأوى، دار المعرفة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م).

وقد مرت هذه المسألة في عهد الخليفة المأمون في ثلاث مراحل، الأولى: مرحلة الاقتناع الشخصي دون محاولة إظهاره للناس^(١)، والثانية: إظهار المأمون القول بخلق القرآن ونشره بين الناس دون أن يضطروهم إلى القول به سنة ٢١٢هـ - ٨٢٧م^(٢)، والثالثة: محاولة فرض هذا الرأي على الناس بالقوة سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، وهي المرحلة التي بدأت قبيل وفاته^(٣).

وهنا نلاحظ أن المأمون قد تردد في المرحلة الأولى في إعلان القول بخلق القرآن، وكان يميل إلى الرأي القائل بأن الدولة لا شأن لها بما يعتقد الناس متأثراً في ذلك بقاضى قضاته السنن يحيى بن أكثم، ويزيد بن هارون^(٤)، فيحى بن أكثم يقول للمأمون عندما هم يلعبون معاوية «والرأى عندي أن تدع الناس على ما هم عليه، ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق، فإن ذلك أصلح في السياسة، وأحرى في التدبير^(٥)»، أما عن يزيد بن هارون فيروى أن المأمون قال: (لولا مكانة يزيد بن هارون لأظهرت القول بخلق القرآن، فقال بعض جلسائه: ومن يزيد بن هارون حتى يتقيه أمير المؤمنين! فقال المأمون: انى أخاف إن أظهرته أن يرد على فيختلف الناس وتكون فتنة وأنا أكره الفتنة)^(٦).

(١) ابن الوردي: تمة المختصر في أخبار البشر، ج١، ص ٣٢٦، القرمانى: كتاب أخبار الدول وآثار الأول، ص ١٥٣، (عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ).

(٢) ابن الوردي: المصدر السابق والجزء، ص ٣٢٧، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص ٥٦، طاش كبرى زاده: مصباح السعادة، ج٢، ١٦٩.

(٣) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى، ج٣، ص ١٩٤ (مطبعة الغربى، النجف ١٣٥٨هـ)، الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٨، ص ٦٣١، ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص ٢٢٢ (دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر ج٢، ص ٣٠، (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ) ابن الوردي: المصدر السابق والجزء، ص ٣٢٩.

(٤) هو يزيد بن هارون بن زاذان الواسطى (ت ٢٠٦هـ / ٨٢١م) وهو مولى لبنى سليم، وكان أبوه يخدم في مطبخ زياد بن أبيه وعبيد الله بن زياد ومصعب بن الزبير والحجاج بن يوسف، وهو من أهل الحديث وقد سمع منه الحديث الإمام أحمد بن حنبل، وقد مات في خلافة المأمون. (المسمودى: مروج الذهب، ج٢، ص ٣٥١، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٠٩) (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ)، طاش كبرى زاده: المصدر السابق والجزء، ص ٢٣٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٦٤.

(٥) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٥٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٥٢.

(٦) تقي الدين المقدسى: كتاب المحنة، ج١، ص ٣٠ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣٤٥) تاريخ، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ٩٦، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

وفى تلك الأثناء مات يزيد بن هارون سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م، وعزل يحيى بن أكثم عن منصب قاضى القضاة، وتولى مكانه أحمد بن أبى دؤاد، واستقر رأى المأمون على حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م^(١).

امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن، وكتب فى ذلك الى نائبه على بغداد «وبالغ فى ذلك وقام فى هذه البدعة قيام متعبد بها فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه وتوقفت طائفة، ثم أجابوا وناظروا فلم يلتفت الى قولهم^(٢)، وكانت لكتب المأمون الى نائبه أثر كبير فى نشر الاعتزال فى بغداد^(٣).

وبعد وفاة الخليفة المأمون، عمل الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣ - ٨٤١م)^(٤) على حمل الناس على القول بخلق القرآن وامتحنهم فى ذلك، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك، وكان المعتصم وفيماً لأخيه المأمون فى حياته وبعد مماته بحيث لو عاش المأمون لما اختلقت سياسته عن سياسة أخيه^(٥).

ولما توفى المعتصم وخلفه الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢هـ / ٨٤١ - ٨٤٦م)^(٦) تعصب للقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة^(٧)، وكان المعتزلة قد بلغوا أوج قوتهم، ولذلك حملوا الخليفة الواثق على التماهى فى المحنة^(٨).

(١) المسعودى: مروج الذهب، ج٢، ص ٣٥١، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج٢، ص ٢٩، أحمد أمين: المرجع السابق، ج٣، ص ٦٤ - ١٦٥
(٢) ابن العماد الحنبلى: المصدر السابق والجزء، ص ٣٩
(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٤٤، ابو المحاسن: الجهمية والمعتزلة، ج٢، ص ٢١٩ - ٢٢٢، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٦٥ - ٦٧، باتون: المرجع السابق، ص ١٠٠ - ١٠٨، أحمد فريد الرفاعى: عصر المأمون، ص ٥ - ١٥، أحمد أمين، المرجع السابق والجزء، ص ١٦٨ - ١٧٧

(٤) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٣٤ - ٣٣٥، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٤٢
(٥) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ١٤١
(٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٩، ص ١٢٣ وما بعدها، السيوطى: المصدر السابق، ص ٣٤٠ - ٣٤٦
(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص ٦٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٨١، محمد الحضرى: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٢٥٣
(٨) الطبرى: المصدر السابق والجزء، ص ١٣٥ - ١٣٩، زهدى جبار الله: المعتزلة، ص ١٧٦

ونتيجة لسياسة الخلفاء، المأمون، والمعتصم، والواثق، انتشر مذهب الاعتزال في مدينة بغداد وسائر الدولة العباسية، بل دخل الاعتزال بيوت عامة الناس، واعتنقه الكثير، حتى النساء العجائز^(١)، وأرباب الحرف^(٢).

ويبدو أن الدولة حرصت على أن تجعل الاعتزال مذهباً رسمياً فيما يلقي من الدروس في معاهد التعليم، فبنشأ الجليل الجديد مشرباً بعقائد الاعتزال. ولقد كان الاعتزال في البصرة مذهباً نظرياً، أما في بغداد فقد كان عملياً متأثراً بالدولة، قريباً من الخلفاء^(٣)، وأن تأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية كان أظهر في مدرسة بغداد منه في مدرسة البصرة، لقوة حركة الترجمة في بغداد، ولأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤساء المسلمين برؤساء المفكرين من أهل الديانات الأخرى^(٤)، وقد أخذ البغداديون كثيراً من المسائل التي عرض لها البصريون فوسعوا مدى بحثها، واستفادوا مما نشر من آراء الفلاسفة كمسألة تحديد الشيء ومسألة الجوهر والعرض^(٥).

وما إن نشأت مدرسة بغداد حتى تسلسل النسيب إلى الاعتزال وأطلق على معتزلة بغداد (متشعبة المعتزلة) تمييزاً لهم عن معتزلة البصرة^(٦). وفي هذا الصدد يقول الملطي: إن أئمة معتزلة بغداد زيدية^(٧)، قد أخذت الزيدية من واصل بن عطاء القول بجواز إمامة المفضول

(١) التنوخي: نشوار المحاضرة، ج١، ص ٢٧٤ (تحقيق عبود الشالجي، بيروت، لبنان، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

(٢) الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص ٥٣.

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢، ص ١٠٣ - ١٠٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٥٩.

(٤) أبو سعيد النيسابوري: المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين ص ٢٨ وما بعدها، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٦٠.

(٥) أبو سعيد النيسابوري: المصدر السابق، ص ٦١ - ٦٢، ٣٣٣ أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٦) الخياط: الانتصار، ص ٩٧ - ٩٩، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢٠٦، أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج١، ص ٢٦٥.

(٧) التنبيه والرد، ص ٣٩.

مع قيام الأفضل، فقد كان على بن أبى طالب أفضل الصحابة الا أن الخلافة فوضت الى أبى بكر لمصلحة ما رأوها وقاعدة دينية راعوها من تسكين نائرة الفتنة، وتطبيب قلوب العامة^(١)، وقد شايع المأمون الزيدية على أساس صلتهم بالمعتزلة^(٢).

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ١٦٠، صابر طعيمة: دراسات فى الفرق، ص ٣٣ (مكتبة دار المعارف - الرياض - المملكة العربية السعودية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

(٢) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ١٤٠ - ١٤١

الفصل الثانى

أثر المعتزلة فى الحياة السياسية

- محنة خلق القرآن فى عصر المأمون وأثرها فى الحياة السياسية فى بغداد
- محنة خلق القرآن فى عهد المعتصم
- محنة خلق القرآن فى عهد الواثق
- نهاية المحنة فى خلافة المتوكل على الله
- أثر المعتزلة فى الفكر السياسى

محنة خلق القرآن في عصر المأمون وأثرها في الحياة السياسية في بغداد

ظهرت مسألة خلق القرآن - كما ذكرنا - في آخر الدولة الأموية على لسان «الجعد بن درهم»^(١) (ت ١١٨ هـ / ٧٣٦ م)، وظلت تنمو ويدور حولها الحدل وتتسع فيها المناظرة الى عهد المأمون، ولكن لم يفكر أحد قبل المأمون في أن يتخذ هذه المسألة المذهب الرسمي للدولة^(٢).

أما القول بخلق القرآن فهو ينبع أساساً من الأصل الأول لأصول المعتزلة الخمسة، وهو التوحيد^(٣)، بما يتضمنه من التأكيد على التفرد الكامل للذات العلية بالقدم^(٤)، ولما كان المعتزلة يدافعون عن وحدانية الله، فقد وجدوا في القول بأن القرآن غير مخلوق ما يتعارض مع وحدانية الله تعالى، لأن الشيء إذا كان غير مخلوق أصبح قديماً أزلياً والقدم والأزلية من صفات الله وحده^(٥).

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق ص ١٤، ٢٦٢، الأسفراييني: التبصير في الدين ص ١٣، ٨٢، ابن نباتة: سرح العيون ص ١٦٢، القلشندي: صبح الأعشى ج ١ ص ٢٥٢، السيوطي: الأوائل (مخطوط) بدار الكتب المصرية برقم ٣٩١ (تاريخ) ص ٥٠، تاريخ الخلفاء ص ٢٥٤، جمال الدين القاسمي: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٣٦ - ٣٧

(٢) الطبري: تاريخ الطبري ج ٨ ص ٢٣٠ وما بعدها، الأشعري: مقالات الإسلاميين ج ١ ص ١٥٤، البغدادي: المصدر السابق ص ٢٣١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٧ ص ٦١، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨١ (الطبعة الرابعة ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان)، ابن المرتضى: المنية والأمل ج ١ ص ٥١، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٨٣ - ٢٨٤، طاش كبري زادة: مفتاح السعادة ج ٢ ص ١٦٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ٩٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٦٣

(٣) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ١٢٨ وما بعدها.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٦٨، زهدي جار الله: المعتزلة ص ٧٨، محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية ص ٦١

(٥) الأشعري: الأبانة عن أصول الديانة ص ٤١ وما بعدها، الأسفراييني: التبصير في الدين ص ٣٧، ابن المرتضى: المصدر السابق ج ٢ ص ١١٧، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٦٥، زهدي جار الله: المعتزلة ص ٧٨، البير نصري نادر: فلسفة المعتزلة ج ١ ص ١١٠، أحمد محمود صبحي: في علم الكلام ج ١ ص ١٢٩ - ١٣٠

وقد خشي المعتزلة أن يقلد المسلمون، حين يعتقدون بقدوم كلام الله المسيحيين، إذ يعتقدون بقدوم كلمة الله - أقنوم الابن - ومن ثم ألوهية المسيح، وتوهموا أن القول بقدوم القرآن يترتب عليه أن يحل القرآن في نفوس المسلمين مكانة المسيح من النصارى، إذ كلاهما: القرآن والمسيح كلمة الله^(١).

ومن ثم فإن قولهم بخلق القرآن جاء رداً على ركن من أركان المسيحية، وهو الاعتقاد بأن المسيح هو كلمة الله الأزلية^(٢)، ولعل مما يؤيد ذلك قول الخليفة المأمون في كتابه الثالث إلى إسحاق بن إبراهيم: (وضاهوا به قول النصارى في ادعائهم في عيسى بن مريم أنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله)^(٣).

تركز الاعتزال زمن المأمون في مسألة خلق القرآن التي أطلق عليها «المحنة» وظلت هذه المسألة موضع اهتمام الدولة من سنة ٢١٨هـ (٨٣٣م) إلى سنة ٢٣٤هـ (٨٤٨م)^(٤). استقر رأى المأمون على حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، فكتب إلى إسحاق بن إبراهيم، نائبه على بغداد كتاباً مطولاً بدأه بالسبب الذي ألجأه إلى حمل الناس على ذلك، وفيه يأمره بامتحان القضاة في القرآن، وأعلمه أن أمير المؤمنين غير مستعين في عملة ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه

(١) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٢٩١، البير نصري نادر: أهم الفرق الإسلامية

السياسية والكلامية ص ٥١ - ٥٢، أحمد محمود صبحي: في علم الكلام، ج ١، ص ١٢٩ - ١٣٠

(٢) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة، البير نصري نادر: فلسفة المعتزلة ج ١، ص ١١٠،

محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية ص ٦١، الإسلام في المستقبل ص ٧٧

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ج ٨ ص ٦٣٥، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١١، أحمد أمين: ضحى

الإسلام ج ٣ ص ١٦٣، البير نصري نادر: المرجع السابق، ص ٥٦

(٤) استعمل اسم المحنة فيما لقيه الأنبياء من العذاب فصبروا، وفيما لقيه الشيعة من العذاب أيضاً، ثم

اشتهر استعماله في اختبار العلماء بالقول بخلق القرآن وما لقوه من عذاب في ذلك. انظر: (الطبري:

المصدر السابق والجزء ص ٦٣١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٤٤، ابن الأثير:

الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ (دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م / ١٣٩٨هـ)، جمال الدين القاسمي: تاريخ

الجهمية والمعتزلة ص ٦٩

وخلوص توحيده وبقينه^(١).

كانت خطوة المأمون الأولى مقصورة على امتحان القضاة في القرآن فلا يتولى أحكامه إلا من وثق به، وهو لا يثق إلا بمن قال «القرآن مخلوق» لأنه في نظره برهان صحة عقله وصحة إيمانه^(٢).

وقد أرسلت صورة من هذا الكتاب الى الولايات الإسلامية، وأمر الولاة أن يفعلوا بقضائهم كما فعل والى بغداد بقضائهم^(٣).

وكان المأمون يرى أن الواجب عليه تصحيح عقائد الناس الفاسدة، ولا سيما إذا تغلغل الفساد إلى أصل من أصول الدين، كالإشراك مع الله في القدم شيئا آخر مثل القرآن^(٤). وأن القاضى أو الشاهد لا يوثق بقضائه ولا بشهائنه إذا كانت عقيدته غير صحيحة، فمن اعتقد قدم القرآن قد ضعف توحيده، وساءت عقيدته، وصار لا يؤمن على شهادة ولا حكم^(٥).

وكانت خطوة المأمون الأولى مقصورة على هذا، فلا تعذيب، ولكن لا يتولى أحكامه إلا من وثق به، وهو لا يثق إلا بمن قال: إن القرآن مخلوق. لأنه في نظره برهان صحة عقله وإيمانه، فمن لم يكن كذلك، يعزل إن كان قاضيا ولا تقبل شهادته أن تقدم للشهادة^(٦).

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٣، تقي الدين المقدسى: «كتاب المحنة» (مخطوط) بدار الكتب المصرية تحت رقم (٣٤٥) (تاريخ) ج ١ ص ٣١ - ٣٢، الدميرى: حياة الحيوان الكبرى ج ١ ص ٧٢ (المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٩ هـ)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٨ - ٣٠٩، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٦٥ - ٦٧.

(٢) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ج ٣ ص ١٩٤ (مطبعة الغربى، النجف، العراق ١٣٥٨ هـ)، الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد ابن حنبل والمحنة ص ١٠٠ - ١٠٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣، ص ١٦٩.

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.
(٤) الطبرى: المصدر السابق والجزء ٦٣٢، السبكي: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٨، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٦٨.

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٣٣ - ٦٣٤، السبكي: المصدر السابق والجزء ص ٣٩.
(٦) الطبرى: تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٦٣١ - ٦٣٤، السبكي: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٨ - ٣٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٦٨ - ١٦٩.

ثم كتب المأمون بعد ذلك إلى إسحق بن إبراهيم أن يرسل إليه سبعة من كبار المحدثين وهم: محمد بن سعد الواقدي، وأبى مسلم يزيد بن هارون، ويحيى بن معين، وزهير بن حرب أبو خيثمة، وإسماعيل بن داود، وإسماعيل بن أبى مسعود، وأحمد الدؤرقى، فلما حضروا امتحنهم المأمون، وسألهم جميعاً فى خلق القرآن فأجابوا أن القرآن مخلوق فأعادهم إلى بغداد، وأمر إسحق بن إبراهيم أن يجمع الفقهاء والمشايخ من أهل الحديث فى داره وأن يقول أمامهم هؤلاء السبعة بمثل ما قالوا به أمام المأمون، ففعلوا وأخلى سبيلهم^(١).

وأساءت إجابة هؤلاء السبعة إلى أحمد بن حنبل. لأنه كان يرى أنهم لو ثبتوا وتوقفوا لانقطع أمر المحنة، ولما سمع بها أحد فى بغداد، ولكف المأمون عنهم وهاب ايذاءهم، ولكن الباعث الحقيقى لاجابتهم هو خوفهم من القتل^(٢).

ولاشك أن المأمون أراد بعمله هذا أن يحمل هؤلاء المحدثين على القول بخلق القرآن فينقاد الناس لهم، ويتبعون قولهم وتنقطع الفتنة.

ثم أصدر المأمون بعد ذلك كتاباً ثالثاً لإسحق بن إبراهيم يتضمن الأمر بالتوسع فى امتحان الناس وتقرير أن من لا يقول بخلق القرآن لا يصلح لتولى عمل ما^(٣).

جمع إسحق بن إبراهيم كثيراً من الفقهاء والحكام والمحدثين منهم أبا حسان الزيايدى، وبشر بن الوليد الكندى، وعلى بن أبى مقاتل، والفضل بن غانم، والذئال بن الهيثم، والحسن بن حماد (سجادة) وعبيد الله بن عمر (القواريرى)، وأحمد بن حنبل، وغيرهم،

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٣٤، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٢ - ٢٢٣، السبكى: المصدر السابق والجزء ص ٣٩، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصحفة، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٠٩ - ٣١٠، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٠٨ - ١٠٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٧٠

(٣) السبكى: المصدر السابق والجزء والصحفة، السيوطى: المصدر السابق ص ٣١٠، باتون: المرجع السابق ص ١٠٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٧٠ - ١٧١

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى ج ٨ ص ٦٣٤ - ٦٣٧، السبكى: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٩، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١١٠ - ١١٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧١ - ١٧٥

وقرأ عليهم كتاب المأمون هذا مرتين حتى فهموه^(١). وامتحنهم رجلاً رجلاً، فقال لبشر بن الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال بشر: القرآن كلام الله، قال إسحق: لم أسألك عن هذا، أمخلوق هو؟ قال بشر: الله خالق كل شيء، قال إسحق: هل القرآن شيء؟ قال: هو شيء، قال إسحق: فمخلوق هو؟ قال: ليس بخالق، قال إسحق: لم أسألك عن هذا، هل هو مخلوق؟ قال بشر: هو كلام الله وإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعنا وأطعنا^(٢).

ثم قال إسحق لأبي حسان الزبدي: هل القرآن مخلوق؟ قال أبو حسان: القرآن كلام الله، والله خالق كل شيء، وما دون الله مخلوق، وأمير المؤمنين إمامنا، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وإن أمرنا أطعنا، وإن نهانا انتهينا وإن دعانا أجبنا، قال إسحق: هل القرآن مخلوق؟ قال أبو حسان: أن أخبرتنى أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول: قلت ما أمرتنى، فإنك الثقة المأمون. قال إسحق: ما أمرنى أن أبلغك شيئاً، وإنما أمرنى أن أمتحنك^(٣).

ثم قال إسحق لأحمد بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال أحمد: هو كلام الله. قال إسحق: أمخلوق هو؟ قال أحمد: هو كلام الله لا أزيد عليها. قال: ما معنى أنه تعالى سميع بصير؟ قال أحمد: هو كما وصف نفسه^(٤).

ثم قال إسحق بن إبراهيم لابن البكاء الأكبر: ما تقول في القرآن؟ قال: القرآن مجعول، لقوله تعالى: (أنا جعلناه قرآناً عربياً)^(٥)، والقرآن محدث لقوله: (ما يأتيهم من

(١) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٣٧، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: المرجع السابق ص ١١٣ - ١١٤

(٢) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٣٨، السبكي: المصدر السابق والجزء ص ٤٠، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص ٢٢٠، باتون: المرجع السابق، ص ١١٥، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٧٣ - ١٧٤

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٦٣٨، السبكي: طبقات الشافعية، ج ٢، ص ٤٠، باتون: المرجع السابق ص ١١٥ - ١١٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧٤

(٤) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٣٩، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢١، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣١٠، باتون: المرجع السابق ص ١١٦ - ١١٧، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٧٤ - ١٧٥

(٥) سورة الزخرف، آية: ٣

ذكر من ربهم محدث^(١)، قال إسحق: فالمجوعول مخلوق؟ قال: نعم، قال إسحق: فالقرآن مخلوق؟ قال: لا أقول مخلوق، ولكنه مجعول^(٢).

ولما فرغ إسحق من امتحانهم كتب مقالة كل رجل منهم إلى المأمون، فجاءه الجواب - هو الكتاب الرابع - وكله عنف وتقريع لهؤلاء المحدثين والفقههاء، فقد رأى المأمون أن أجوبتهم لا تدل على عقل، لا تقر في صراحة، ولا تنكر في صراحة، وبعضهم يسلم بالمقدمات وينكر النتائج، فيقول: القرآن مجعول، والمجوعول مخلوق، ولا يرضى أن يقول القرآن مخلوق^(٣).

وأمر المأمون إسحق بن إبراهيم أن يستدعى بشر بن الوليد، فإن أصر على عدم القول بخلق القرآن، يضرب عنقه ويرسل برأسه إليه، وإن تاب يشهر توبته ويمسك عنه، وأمره أيضا أن يفعل ذلك مع إبراهيم بن المهدي، أما غير هذين فلم يأمر بضرب أعناقهم^(٤)، ولكنه عرض بهم، وذكر أفعالهم ومخازيهم ليبين أن امتناعهم ليس عن دين ولكن عن تصنع^(٥).

وقال المأمون عن «الذئال بن الهيثم» أنه كان يسرق الطعام من الأنبار، ووصف «أحمد بن يزيد المعروف بأبى العوام» بأنه صبي في عقله لا في سنه، وأنه سيحسن الجواب في القرآن إذا أخذه التأديب، ثم إن لم يفعل كان السيف من وراء ذلك، أما «أحمد بن حنبل» اجابته تدل على جهله، وعاب على «الفضل بن غانم» أنه اغتنى في مصر من منصبه في أقل من سنة، ومحمد بن حاتم وابن نوح وأبو معمر فأنهم مشاغيل بأكل الربا عن الوقوف على حقيقة التوحيد، واستمر المأمون يعدد لكل رجل عيوبه^(٦).

(١) سورة الانبياء، آية: ٢

(٢) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون:

أحمد بن حنبل والمحنة ص ١١٧ - ١١٨، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٧٥

(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٦٣٧ - ٦٤٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٧٥

(٤) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٤١ - ٦٤٢، السبكي: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٤١ - ٤٢، أبو

المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢١

(٥) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٤٠ - ٦٤١، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٧٦

(٦) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٤١ - ٦٤٤، أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ج ٩ ص ١٩٢ -

١٩٤ (دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م)، السبكي: المصدر

السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء ص ٢٢١ - ٢٢٢، أحمد أمين: المرجع

السابق والجزء والصفحة.

ولم يكتف المأمون بذلك، بل طلب إلى إسحق إعادة امتحانهم فمن تاب منهم أشهر أمره وأمسك عنه، ومن أصر على عدم القول بخلق القرآن منهم حمله إليه مع من يقوم بحفظه وحراسته في طريقه حتى يسلمه إلى أمير المؤمنين ليمتحنه بنفسه^(١).

ومما يذكر أن المأمون أسرع بإرسال هذا الكتاب غير منتظر اجتماع البريد، فجمعهم إسحق مرة ثانية، وكانوا نحو ثلاثين قاضياً ومحدثاً وفقياً، فأعاد امتحانهم وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين، فأقروا جميعاً بأن القرآن مخلوق إلا أربعة أصرروا على موقفهم السابق وهم: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، والحسن بن حماد (سجادة)، وعبيد الله بن عمر (القواريري)^(٢). فأمر بهم إسحق بن إبراهيم فشدوا في الحديد، فلما أصبحوا أعاد امتحانهم فاعترف «سجادة» بخلق القرآن فأطلقه، وبعد يوم آخر أجاب «القواريري» بأن القرآن مخلوق فأخلي سبيله^(٣). أما الأثنان الباقيان: أحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، فقد أصرّا على رأيهما فُشِّدَا في الحديد ووجهها إلى طرسوس^(٤)، للمأمون^(٥)، وكتب إسحق كتاباً إلى المأمون يخبره بأشخاصهما، وكتب كتاباً آخرأ يذكر فيه أن القوم الذين أجابوا لم يجيبوا عن عقيدة، وإنما أجابوا عن تأويل، وقد تأولوا أنهم مكرهون وليس على المكره حرج^(٦).

- (١) الطبري: تاريخ الطبري جـ ٨ ص ٦٤٤، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد ابن حنبل ص ٣١٠ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٤٩ هـ)، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى جـ ٢ ص ٤٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ ٢ ص ٢٢٢، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣١١ - ٣١٢
- (٢) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: المصدر السابق والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطي: المصدر السابق ص ٣١٢، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٢٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٧٦
- (٣) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة.
- (٤) طرسوس: هي مدينة بشغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم، (ياقون معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٨، طبعة دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان).
- (٥) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: المصدر السابق والصفحة، تقي الدين المقدسي: كتاب المحنة (مخطوط) جـ ١ ص ٣٤، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطي: المصدر السابق، ص ٣١٢
- (٦) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣١٢، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٧٧

بعث المأمون كتاباً خامساً، وقد أنكر فيه دعوى التقية^(١) التي تعلل بها الفقهاء فى القول بخلق القرآن، وأعلن أن هؤلاء أخطأوا التأويل، وليس الآية: (الا من أكره وقبله مطمئن بالإيمان)^(٢) منطبقة عليهم، إنما عنى الله بهذه الآية من كان معتقداً الكفر مظهر الإيمان، فأما من كان معتقداً الشرك مظهر الإيمان فليست الآية له^(٣).

كما أرسل إسحق بن إبراهيم واحداً وعشرين كانوا قد امتنعوا عن الأقرار بخلق القرآن فبلغهم وهم بالرقّة^(٤) وفاة المأمون، فأعادهم وإليها إلى والى بغداد، فأخلى سبيل أكثرهم^(٥).

فأما محمد بن نوح فقد مات وهو عائد إلى بغداد بعد موت المأمون، ففك عنه قيده وصلى عليه ابن حنبل^(٦).

وكان ممن ثبت على مذهبه فى الامتحان أثناء خلافة المأمون: عفان بن مسلم أبو عثمان (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م) الذى قطع عنه كل من الخليفة المأمون وإسحق ابن إبراهيم، عامله فى العراق، الرزق الذى كان يجرى عليه، حيث كان يعطى ألف درهم فى كل شهر، وقد عرض عليه القول بخلق القرآن فامتنع، وكان من أصحاب أحمد بن حنبل المقررين إليه النافذى الكلمة عنده^(٧).

(١) التقية: لغة الخوف والحذر والكتمان، وهى كتمان وستر الاعتقاد وترك مظاهره المخالفين بما يعقب ضرراً فى الدين والدنيا، وترك فرائض الدين فى حالة الأكره أو التهديد بالأذى، وهى إحدى عقائد الشيعة الرئيسية، (محمد أحمد الخطيب: الحركات الباطنية فى العالم الإسلامى ص ٤٦ مكتبة الأقصى، عمان - الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، عبد الله سلوم السامرائى: الغلو والفرق الغالية فى الحضارة الإسلامية ج ٣ ص ١٦٧ (طبع الدار العربية، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م).

(٢) سورة النحل، آية ١٠٦

(٣) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٤٤ - ٦٤٥، باتون: المرجع السابق ص ١٢٣ - ١٢٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧٧

(٤) الرقة: مدينة مشهورة على الفرات فى الجانب الشرقى منه (باتون: معجم البلدان ج ٣ ص ٥٩).

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٤٥، باتون: المرجع السابق، ص ١٢٨، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصحفة.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٤٣، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٢٢، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج ٢ ص ٢٩، باتون: المرجع السابق والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصحفة.

(٧) السبكي: المصدر السابق والجزء والصحفة، باتون: المرجع السابق ص ١٢٩ - ١٣٠

تركزت رئاسة المعارضة فى أحمد بن حنبل فكان زعيمها، ولذلك لم يخل المأمون سبيله كما أخلى غيره^(١)، وكان أن مات المأمون سنة (٢١٨هـ-٨٣٣م) وانتهى دوره فى المحنة^(٢).

ومما يجدر ذكره أن المأمون ركز اهتمامه فى مسألة خلق القرآن على امتحان القضاة والمحدثين وسائر العلماء دون النظر إلى العامة^(٣)، لأن العامة لا نظر لهم ولا استدلال، أما العلماء فهم أرباب النظر والاستدلال، وفى مقدورهم أن يفرقوا بين الله وبين خلقه^(٤). ولقد أصبح هذا الامتحان الدينى أداة سياسية فى يد الخلافة العباسية، استخدمتها فى جميع الولايات، لإظهار من يدينون بالطاعة والولاء للمخليفة العباسي^(٥).

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٤٨، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٠ ص ٣٣٠، الدميري: حياة الحيوان ج١ ص ٧٣، أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون ج١ ص ٣٩٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج٣ ص ١٧٧

(٢) الطبرى: تاريخ الطبرى ج٨ ص ٦٥٠، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣١٣، القرمانى: أخبار الدول ص ١٥٣ (عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ).

(٣) العامة هى خلاف الخاصة، وتعود تسميتهم بهذا الاسم إلى كثرتهم وعدم إحاطة البصر بهم، وأهم فئات العامة: الخدم والجند والعمال والتجار والباعة والدلالون واللصوص والفلاحون (بدرى محمد فهد: العامة فى بغداد فى القرن الخامس الهجرى ص ١١ - ٩٤، مطبعة الإرشاد ببغداد ١٩٦٧م).

(٤) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ٦٣١ - ٦٤٥، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٦٥ - ٦٦، زهدى جار الله: المعتزلة ص ٧٨ - ٧٩

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء والصفحة، عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول ج١ ص ٣٦٧

محنة خلق القرآن في عهد المعتصم

اقتدى المعتصم (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ) (٨٣٣م - ٨٤١م) بأخيه في حمل الناس على القول بخلق القرآن وتقريب المعتزلة عملاً بوصية أخيه المأمون الذي أوصاه بحمل الناس بعده على القول بخلق القرآن، وأن يعتمد على أحمد بن أبي دؤاد في جميع أموره، فكان مما أوصاه به «وخذ بسيرة أخيك في القرآن، وأبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد لا يفارقك، أشركه معك في المشورة في كل أمرك فإنه موضع ذلك»^(١).

وقد بدأ المعتصم خلافته بأن أسند إلى المعتزلة بعض مناصب الدولة واعتمد عليهم في إدارة شئونهم، فعين أحمد بن أبي دؤاد قاضياً للقضاة^(٢)، وأصبح تأثير هذا القاضي على المعتصم يفوق ما كان له من تأثير على المأمون، وكان من نتيجة ذلك أن حرص المعتصم على تأييد الاعتزال والاستمرار في المحنة^(٣).

وهنا نلاحظ أن القاضي أحمد بن أبي دؤاد بذل جهده في نشر الاعتزال فهو الذي كان يمتحن العلماء ويدعوهم إلى القول بخلق القرآن^(٤). وعلاوة على ذلك فقد استغل السلطة التي تمتع بها في عهد المعتصم في الترغيب تارة والترهيب أخرى. حتى قيل إنه كتب إلى أحد رجال المدينة يقول: «إن بايعت أمير المؤمنين في مقالته - يعني خلق القرآن - استوجبت منه المكافأة وإن امتنعت لم تأمن مكروهه»^(٥).

(١) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ٦٤٨ - ٦٤٩، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٢٦، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٢٨٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧٧، زهدى جار الله: المعتزلة ص ٢٧١، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢١٦، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسى ج ٣ ص ٢٤٠ (الطبعة الحادية عشرة ١٩٨٤م، مكتبة النهضة المصرية).

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج ١ ص ٦٧.

(٣) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣١٩، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ٩٨، زهدى جار الله: المرجع السابق ص ١٧١، محمد الخضرى: المرجع السابق ص ٢٣٤.

(٤) الخطيب البغدادي: المصدر السابق ج ٣ ص ٣٤٣، الخضرى: زهر الآداب ج ٢ ص ٦٩٧، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء ص ٦٣ - ٦٨، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة

ص ٦٤، باتون: المرجع السابق، ص ٦٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٥٩.

(٥) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق ص ١٧٢.

كانت رسائل المأمون في خلق القرآن نابعة من علمه وثقافته واقتناعه، أما المعتصم فكان جنديا عازفا عن العلم منذ صغره. حتى أنه كان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة، وقد نفذ الامتحان بخلق القرآن لأن أخاه المأمون أوصاه بذلك، ومن ثم اقتدى به. لكنه لم يصدر منشورات جديدة كما كان يفعل أخوه^(١).

وعلى أية حال كتب المعتصم إلى الولايات يطلب الاستمرار في امتحان الناس بخلق القرآن، وأمر الولاة أن يعلموا الصبيان ذلك، وقاسى الناس معه مشقة كبيرة^(٢)، وأصبح كل عالم أو قاض معرضا للضرب بالسياط والتعذيب إذا لم يأخذ برأى المعتزلة في القول بخلق القرآن^(٣)، ومن الأمثلة على ذلك ما حدث مع نعيم بن حماد الذي أحضر من مصر للامتحان وسئل عن خلق القرآن فامتنع فحبسه^(٤). بسامرا^(٥).

على أن أهم وقائع المحنة في عهد المعتصم كانت محنة الإمام أحمد بن حنبل، وتفيض المصادر في ذكرها، وهي تعطى فكرة واضحة عن أعمال المحنة وكيفية سيرها^(٦) ويشبه

(١) الحصري: المصدر السابق والجزء ص ٨٨٥، ابن شاکر الکتبی: فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٣٥ (تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٩٧٤)، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٣٤، أحمد أمين: المصدر السابق والجزء ص ١٧٧ - ١٧٨، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي ج ٢ ص ٦٤، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية ص ١٤١ (الناشر: مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة ١٩٨٥، المطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة).

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٣٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧٨

(٣) زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٢، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام ج ٢ ص ٦٤، ١٤٣

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٩٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٦٦ - ١٦٧، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٥) بلد شرق نهر دجلة يقال لها سر من رأى فخففها الناس وقالوا: سامرا (ياقون معجم البلدان ج ٣ ص ١٧٣).

(٦) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ١٩٨ (مطبعة الغرى، النجف ١٣٥٨هـ)، السعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٦١، أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ج ٩ ص ١٩٥ - ٢٠٢، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣١٩ - ٣٤٠، تقى الدين المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط ج ١ ص ٥٧ - ٧٨، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا ج ٢ ص ٣٣ (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، بدون تاريخ)، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ٢٣٢ (تحقيق: أحمد رفعت البدرأوى، الناشر: دار المعرفة، بيروت لبنان، المطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٩٧م)، ابن شاکر الکتبی: فوات الوفيات ج ٤ ص ٨٤٩، ابن كثير: البداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٣٣، السبكي: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٤٥ - ٥٠، الدميري: حياة الحيوان ج ١ ص ٧٣، القرمانى: أخبار الدول ص ١٥٥ - ١٥٦

بعض الباحثين المحدثين هذه المحنة بمحاكم التفتيش التي قامت في أوروبا في العصور الوسطى، وأن كانت أخف من هذه المحاكم وطأة وأضيق نطاقاً وأقصر أمداً^(١).

وتروى المصادر أن الإمام أحمد ظل محبوساً من آخر عهد المأمون وكان يتسلل إليه قوم يطلبون منه أن يقول بخلق القرآن تقية كما قال غيره من العلماء فيرفض فيشسوا منه^(٢)، ثم نقل الإمام أحمد من السجن إلى دار إسحق بن إبراهيم وهو مقيد بقيد واحد، ثم وجه إليه كل يوم رجلان هما: أحمد بن رياح، وأبو شعيب الحجاج وكان يكلمانه وينظرانه في القول بخلق القرآن، فإذا أراد الانصراف دعى بقيد فقيد به أحمد بن حنبل، واستمر ثلاثاً أيام حتى صار في رجله أربعة أقياد^(٣).

وفي الليلة الرابعة أدخل الأمام أحمد على إسحق بن إبراهيم فقال له: يا أحمد إننا والله نفسك، إنه قد حلف ألا يقتلك بالسيف، وأن يضربك ضرباً بعد ضرب، وأن يلقيك في موضع لا ترى فيه الشمس، أليس الله تعالى هو القائل: (أنا جعلناه قرآناً عربياً)^(٤)، أفيكون مجعولاً إلا وهو مخلوق؟ وعندئذ قال أحمد: (فجعلهم كعصف مأكول)^(٥)، أفخلقهم^(٦). وفي صباح اليوم التالي، استدعى المعتصم ابن حنبل للامتحان سنة ٢٢٠هـ/ ٨٣٥م في دار غاصة بالقضاة والفقهاء، وفي صحبة المعتصم ابن أبي دؤاد وأصحابه فأمرهم المعتصم أن يناظروه، فقال أحمد بن حنبل للمعتصم: إلام دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال المعتصم: إلى شهادة ألا اله إلا الله، فقال أحمد بن حنبل: أنا أشهد ألا اله إلا الله، اعطوني شيئاً من كتاب الله أو سنة رسوله أقول به، فقال ابن أبي دؤاد: هو والله يا أمير المؤمنين ضال مضل مبتدع، وهؤلاء قضاتك والفقهاء،

(١) أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون ج١ ص ٣٩٧، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٢

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ج٩ ص ١٩٧ (طبعة دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).

(٣) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٤) سورة الزخرف، آية: ٣

(٥) سورة الفيل، آية: ٥

(٦) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء ص ١٩٧ - ١٩٨، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى

ج٢ ص ٤٥

فسلّمهم، فقال الخليفة: ما تقولون؟ فيقولون: يا أمير المؤمنين هو ضال مضل مبتدع^(١). فقال أحد الحاضرين: قال الله تعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)^(٢)، أفيكون محدث إلا مخلوق؟ قال ابن حنبل: قال الله تعالى: (والقرآن ذى الذكر)^(٣)، فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولا لام، وقال آخر: ألم يقل الله تعالى: (خالق كل شيء)^(٤)، قال أحمد بن حنبل: قال تعالى: (تدمر كل شيء بأمر ربها)^(٥)، فهل دمرت إلا ما أراد الله؟ فقال ثالث: ما تقول فى حديث عمران بن حصين: ان الله خلق الذكر؟ قال ابن حنبل: هذا خطأ. ان الرواية (ان الله كتب الذكر)^(٦).. وهكذا انفض المجلس وأعيد أحمد بن حنبل إلى الحبس، واستمرت المناظرات ثلاثة أيام^(٧).

وفى اليوم الثانى أدخل أحمد بن حنبل على المعتصم، وبدأت المناظرة مع أحمد بن حنبل، فأذا جاءوا بشئ من الكلام مما ليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ولا فيه خبر ولا أثر، يرد عليهم أحمد بن حنبل: ما أدري ما هذا؟ وكلما استشهدوا بآية قرآنية أو حديث قوى الأسناد، أظهر أحمد بن حنبل استعداداً لمناظرتهم^(٨).

وفى اليوم الثالث بدأت المناظرة بمجلس الخليفة، وتناقش العلماء والفقهاء مع أحمد بن حنبل، وطلب منه الخليفة أن يذعن ويجيب، حتى يرد إليه حريته، وكان رد أحمد لا يتغير، وهو أنه يلتمس بعض السند من المصادر التى يقر بها كأصول يعتمد عليها^(٩)، ولما ظن

(١) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء ص ١٩٨، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٤٢ -

١٤٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧٩

(٢) سورة الزخرف، آية: ٣

(٣) سورة ص، آية: ١

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٢

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٢٥

(٦) أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء ج ٩ ص ١٩٨، السبكي: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٤٧، باتون:

أحمد بن حنبل ص ١٤٣ - ١٤٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٧٩

(٧) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة،

باتون: المرجع السابق ص ١٤٢، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٧٩ - ١٨٠

(٨) أبو نعيم: المصدر السابق والجزء ص ٢٠٠ وما بعدها، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ج ٢

ص ١٧٢، باتون: المرجع السابق ص ١٤٥ - ١٤٦

(٩) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء ٢٠١، السبكي: المصدر السابق والجزء، ص ٤٨، باتون:

المرجع السابق، ص ١٤٨ - ١٤٩

أحمد بن أبي دؤاد أن الخليفة قد يلين إعجاباً بشبات أحمد بن حنبل وشجاعته، وتأثراً بقوة حجته، قال له: أن تركته سيقول الناس: إنك تركت مذهب المأمون وكرهت قوله، وسيرون أن أحمد بن حنبل قد أحرز نصراً على خليفتي^(١).

ولما مل العلماء والفقهاء من مناظرة أحمد بن حنبل، فقد الخليفة المعتصم صبره، وأمر بضربه بالسياط^(٢)، كما قال المسعودي^(٣): «ثمانية وثلاثين سوطاً»، حتى سال الدم منه، وتعددت فيه الجراحات وأرسل بعد ذلك إلى السجن^(٤)، وكان أن أمر المعتصم بإخلاء سبيله بعد أن قضى في السجن ثمانية وعشرين شهراً^(٥).

ولاشك أن المعتصم أعجب بشجاعة أحمد بن حنبل، وليس أدل على ذلك من قول المعتصم له: «لولا أنك كنت في يد من كان قبلي ما عرضت لك»^(٦)، وفي أثناء المناظرة كان الخليفة يتلطف معه ويقول له: «أجبنى بشئ لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك، وأركب إليك بخيلي»^(٧)، وما يذكر أن الخليفة المعتصم ندم على ضرب الإمام أحمد^(٨).

(١) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة جـ ٢ ص ١٧٣، باتون: المرجع السابق ص ١٤٩ - ١٥٠، أحمد أمين:

ضحى الإسلام جـ ٣ ص ١٨٠

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ ٣ ص ١٩٨، أبو النعيم الأصبهاني: حلية الأولياء جـ ٩ ص ٢٠١، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا جـ ٢ ص ٣٣، ابن كثير: البداية والنهاية جـ ١٠ ص ٣٣٤، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، الدميري: حياة الحيوان الكبرى جـ ١ ص ٧٣، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة جـ ٢ ص ١٧٣، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ ٢ ص ٣٩

(٣) مروج الذهب جـ ٢ ص ٣٦١

(٤) أبو الفدا: المصدر السابق والجزء ص ٣٣، ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي جـ ١ ص ٢٣٢، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٨٠، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٤ - ١٧٥

(٥) الدميري: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) الجاحظ: رسائل الجاحظ جـ ٣ ص ٩٢٢، أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق جـ ٩ ص ١٩٨، السبكي: المصدر السابق والجزء ص ٤٦

(٧) أبو نعيم الأصبهاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٢١، المقدسي: «كتاب المحنة» مخطوط جـ ٢ ص ٦٠، عصام الدين عبد الرؤوف: الحواضر الإسلامية ص ٢٦٦ (دار الفكر العربي، الطبعة الأولى ١٩٧٦م).

(٨) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ ٢ ص ٦٩٩ (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)

محنة خلق القرآن في عهد الواثق

مات الخليفة المعتصم (٢٢٧هـ / ٨٤١م) وخلفه الخليفة الواثق (٢٢٧هـ - ٢٣٢هـ) (٨٣٥م - ٨٤٦م)، وقد عرف بثقافته الواسعة حتى أطلق عليه المأمون الأصغر لأدبه وفضله، وكان المأمون يعظمه ويقدمه على ولده، فتعصب للقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة^(١).

اقتدى الواثق بكل من المأمون والمعتصم في القول بخلق القرآن، وكان المعتزلة حينذاك قد بلغوا أوج قوتهم فحملوا الخليفة على الاستمرار والتشدد في المحنة^(٢)، وعلى رأسهم القاضي أحمد بن أبي دؤاد الذي كان يمتحن العلماء ويدعو إلى القول بخلق القرآن^(٣). كتب الواثق إلى القضاة في سائر البلدان أن يمتحنوا الناس في القرآن، وأمرهم ألا يجيزوا شهادة إلا من قال بالتوحيد^(٤)، والعمل على امتحان الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن^(٥).

وفي سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م أمر الخليفة الواثق بامتحان أهل الثغور في القرآن فأقروا جميعاً بخلق القرآن إلا أربعة نفر، فأمر الواثق بضرب أعناقهم أن لم يوافقوا على القول

(١) ابن شاکر الکتبی: فوات الوفيات ج٤ ص ٢٢٨، السيوطی: تاریخ الخلفاء ص ٣٤٢ - ٣٤٣، أحمد أمين: ضحی الإسلام ج٣ ص ١٨١

(٢) المسعودی: مروج الذهب ج٢ ص ٣٧٥، التنبيه والأشراف ص ٣١٣، (تصحیح: عبد الله إسماعیل الصاوی، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٣م، دار الصاوی للطبع والنشر والتألیف)، ابن الجوزی: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٤٨، أبو الفدا: تاریخ أبو الفدا ج٢ ص ٣٦، الدمیری: حیاة الحیوان ج١ ص ٧٣، القرمانی: أخبار الدول ص ١٥٦

(٣) الخطیب البغدادی: تاریخ بغداد ج٤ ص ١٤٢، ج١٤، ص ١٨، ابن الجوزی: المصدر السابق والصفحة، ابن شاکر الکتبی: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطی: المصدر السابق ص ٣٤١، الديار بکری: تاریخ الخميس ص ٣٣٧ (المطبعة الوهبة، القاهرة، ١٢٨٣هـ).

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٧، عبد العزيز الدوري: دراسات في العصور العباسية المتأخرة ص ٣٥ (مطبعة السريان، بغداد، ص ١٩٤٥م).

(٥) السيوطی: تاریخ الخلفاء ص ٣٤٥، ابن العماد الحنبل: شذرات الذهب ج٢ ص ٦٩

بخلق القرآن^(١).

بالغ الواثق في التشدد في المحنة حتى أنه حمل البويطي^(٢) من مصر إلى العراق للامتحان فامتنع عن الجواب، وكان يقول إنما خلق الله كل شيء بـ «كن»، فإن كانت «كن» مخلوقة، فمخلوق خلق مخلوقا، وقد انتهى مصيره بالسجن في بغداد حيث مات^(٣).

غير أن الواثق لم يتعرض «لأحمد بن حنبل» فلم يمتحنه، لكنه أرسل إليه يقول «لا تساكني بأرض» فاستخفى الأمام بقية حياة الواثق، وصار لا يخرج إلى صلاة ولا لغيرها، ولم يزل ينتقل في الأماكن ثم عاد إلى منزله فأقام به إلى أن مات الواثق^(٤).

بلغ من تشدد الواثق في حمل الناس على القول بخلق القرآن أنه لما اتفق مع الإمبراطور البيزنطي (ميخائيل ثيوفلس) على فداء كل أسير بمثله سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م أرسل مع الجيش الذي حضر الفداء اثنين من رجاله فوقفا على قنطرة النهر، وكلما مر رجل من الأسرى امتحناه فمن أقر بخلق القرآن، وأن الله عز وجل لا يرى في الآخرة فودى به ومن لم يُقر بذلك ترك أسيراً في يد البيزنطيين (الروم)^(٥).

(١) الطبري: تاريخ الطبري ج٩ ص ١٤١، مسكوية: تجارب الأمم ج٦ ص ٥٣٢ (القاهرة ١٩١٥م)، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٧، عبد العزيز الدوري: المرجع السابق والصفحة.

(٢) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م) نسبة إلى بويط بالصعيد، وهي قرية في كورة سيوط، وهو صاحب الإمام الشافعي، قال عنه الشافعي: البويطي لسانى، وما رأيت أحداً أبرع بحجة من كتاب الله مثل البويطي، وهو أحق بملجسى من غيره. (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٤ ص ٢٩٩-٣٠٣، ياقوت: معجم البلدان ج١ ص ٥١٣ (دار صادر، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م)، الديار بكري: تاريخ الخميس ص ٣٣٧، ابن العماد الحنبلي: المصدر السابق، ج٢ ص ٧١، الزركلى: الأعلام ج٩ ص ٣٣٨).

(٣) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء ص ٣٠٢، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٠ ص ٣٠٨، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٤) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٤٨، تقى الدين المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط، بدار الكتب المصرية ج٣ ص ١٣٥، الدميرى: حياة الحيوان الكبرى ج١ ص ٧٣، القرماني: أخبار الدول ص ١٥٦، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٧، عبد المتعال الصعیدی: المجددون في الإسلام ص ١٢٨، (المطبعة النموذجية، مصر، بدون تاريخ).

(٥) اليعقوبى: تاريخ اليعقوبى ج٣ ص ٢٠٧، الطبري: تاريخ الطبري ج٩ ص ١٤٢، مسكوية: تجارب الأمم ج٢ ص ٥٣٢، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٥٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٤١، السيد الباز العربى: الدولة البيزنطية ص ٢٥٠ (دار النهضة العربية ١٩٦٠م)، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى في العصر العباسى ص ١٧٤-١٧٥.

وقد أدى تشدد الواثق في المحنة واقتدائه بكل من المأمون والمعتصم في اضطهاد كل من لا يقول بخلق القرآن إلى إثارة أهل بغداد وتآمرهم عليه، وفي هذا الصدد يقول المسعودي^(١) عن الخليفة الواثق: «وشغل نفسه بمحنة الناس في الدين فأفسد قلوبهم، وأوجد السبيل إلى الطعن عليه». ويروى ابن الأثير^(٢) أن العامة كانوا يتهمونهم بالكفر. ولما تزايد نفور الناس من المحنة وعظم حنقهم عليها اتجهوا إلى الفتنة فدبروا مؤامرة تزعمها أحمد بن نصر الخزاعي^(٣)، للخروج على الخليفة والقضاء على الحكومة، وكان أحمد بن نصر يخالف من يقول بخلق القرآن ولا يتورع في مجلسه عن التهجم على الخليفة الواثق فيقول: «هذا الخنزير وهذا الكافر»^(٤)، وكان أصحاب الحديث يحضرون مجلسه من أمثال: يحيى بن معين، والدورقي، وابن خيثمة^(٥)، وتجمع حوله كل من ينكر القول بخلق القرآن من أهل بغداد، وحملوه على الحركة لإنكار ذلك القول^(٦)، وبايعوه وعينوا ليلة لخروجهم وجمعوا الناس، ولكن أمرهم ظهر قبل تنفيذ ما اتفقوا عليه فقبض عليهم والى بغداد وسيقوا إلى الواثق في سامرا حاضرة الخلافة سنة (٢٣١هـ / ٨٤٥م)^(٧).

(١) التبية والإشراف ص ٣١٣

(٢) ابن الأثير: الكامل ج ٧ ص ٨

(٣) هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم، أبو عبد الله الخزاعي (ت ٢٣١هـ / ٨٤٥م)، من أشراف بغداد، وجده مالك أحد نقباء بني العباس في ابتداء الدولة، وكان أحمد يخالف من يقول بخلق القرآن، ومن شيوخه مالك بن أنس، ومن تلامذته الآخذين عنه: يحيى بن معين، وكان يكره الخليفة الواثق وأحمد بن أبي دؤاد (الطبري: المصدر السابق والجزء ص ١٣٥ - ١٣٧٧، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٧٢) منشورات مؤسسة الأعلمی للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٢ ص ٦٩، الزركلي: الأعلام ج ١ ص ٢٥٠، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٦٣ - ١٦٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٨١ - ١٨٢، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٧ - ١٧٩

(٤) الطبري: تاريخ الطبري ج ٩ ص ١٣٥، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٨

(٥) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٦٣، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٦) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ١٣٦، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٧) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ١٣٥ - ١٣٦، مسكوية: تجارب الأمم ج ٦ ص ٥٢٩، زهدى جار الله: المرجع السابق ص ١٧٧ - ١٧٨

وهناك عقد الخليفة الواثق لأحمد بن نصر الخزاعي وأتباعه مجلساً للمناظرة، ولم يسأله في الشغب الذي أحدثه ولا في الخروج عليه، وإنما سأله في مسألة خلق القرآن، فقال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال له: أفمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، وامتنع أن يقره على قوله في خلقه، وسأله الواثق عن رؤية الله يوم القيامة، قال يا أمير المؤمنين: جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته)^(١).

فقال الواثق لمن حوله: ما تقولون فيه؟ فقال عبد الرحمن بن إسحق: يا أمير المؤمنين هو حلال الدم، وقال أبو عبد الله الأرمني صاحب بن أبي دؤاد: أسقنى دمه يا أمير المؤمنين، وقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين كافر يستتاب، لعل به عاهة أو تغير عقل^(٢). وعندئذ قال الخليفة الواثق: إذا رأيتموني قد قمت إليه، فلا يقوم أحد معي، فأني أحسب خطأي إلى هذا الكافر الذي يتبد رباً لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التي وصفه بها، ودعا بالصمصامة - سيف عمرو بن معد يكرب الزبيدي - فمشى إليه وقتله^(٣).

صلب أحمد بن نصر الخزاعي وحمل رأسه إلى بغداد، فنصب في الجانب الشرقي أياماً، وفي الجانب الغربي أياماً، وكتب الخليفة الواثق ورقة عقلت برأسه نصها «هذا رأس أحمد بن نصر الخزاعي، الكافر المشرك الضال، دعاه عبد الله الإمام هارون (وهو الواثق) إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه، فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره»، ووكّل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة^(٤)، ولم يلبث الواثق أن تتبّع أصحاب أحمد بن نصر

(١) الطبري: المصدر السابق والجزء ص ١٣٨، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج ٢ ص ٥١، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤١

(٢) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطي: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٦٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٨٢

(٣) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، السيوطي: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٧٨

(٤) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج ٣ ص ٢٠٧، الطبري: المصدر السابق والجزء ص ١٣٩، المسعودي: مروج الذهب ج ٢ ص ٣٨٣، مسكوية: تجارب الأمم ج ٦ ص ٥٢٩، البغدادى: الفرق بين الفرق ص ١٥٩، ابن الأثير: الكامل ج ٥ ص ٢٧٣، السبكي: المصدر السابق والجزء ص ٥٢، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ج ٣ ص ٢٧٢، السيوطي: المصدر السابق والصفحة ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج ٢ ص ٦٩

الخزاعي ووضعه في السجن مكبلين بالحديد ومنعوا من الصدقة التي توزع عادة على المساجين^(١).

ومع أن الواثق كان يتبع تعاليم المعتزلة، إلا أنه رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته^(٢)، وذلك بسبب مناظرة جرت أمامه رأى بها ترك الامتحان، وقد ذكرها الكثير من المؤرخين^(٣)، فقد أتى بشيخ مقيد^(٤)، وأدخل على الخليفة الواثق فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال الواثق: لا سلم الله عليك، قال الشيخ: يا أمير المؤمنين بش ما أدبك به مؤدبك، قال تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)، وأمر الخليفة الواثق ابن أبي دؤاد أن يكلم الشيخ، فقال ابن أبي دؤاد: ما تقول في القرآن؟ قال الشيخ: لم تنصفني ولي السؤال، فقال له ابن أبي دؤاد: سل، قال الشيخ: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. فقال الشيخ: هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه؟ قال: شيء لم يعلموه! فقال الشيخ: شيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وعلمته أنت! فحجل ابن أبي دؤاد، ثم قال له الشيخ ثانيا: ما تقول في القرآن قال: مخلوق، قال الشيخ: هذا شيء علمه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون أم شيء لم يعلموه؟ فقال: علموه ولم يدعوا الناس إليه. فقال الشيخ: أفلا وسعك ما

(١) الطبري: المصدر السابق والجزء والصفحة، مسكوية: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكي:

المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المرجع السابق، ١٧٩

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٤ ص ١٤٨، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل

ص ٣٥٦، تقي الدين المقدسي: «كتاب المحنة» مخطوط ج٣ ص ١٤٥، ابن شاکر الكتبي: فوات

الوفيات ج٤ ص ٢٢٩، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٦٦ - ٢٦٧، السيوطي: تاريخ

الخلفاء ص ٣٤١، الديار بكرى: تاريخ الخميس ص ٣٣٧، القرمانى: أخبار الدول ص ١٥٧

(٣) الخطيب البغدادي: المصدر السابق ج٤ ص ١٥٢، ابن الجوزي: المصدر السابق ص ٣٥٠ - ٣٥١،

السبكي: المصدر السابق والجزء ص ٥٥، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٠ ص ٣٢١، الدميري: حياة

الحيوان الكبرى ج١ ص ٧٥ - ٧٦، السيوطي: المصدر السابق ص ٣٤١ - ٣٤٢، الديار بكرى:

المصدر السابق والصفحة، القرمانى: المصدر السابق ص ١٥٨

(٤) الشيخ المذكور: هو أبو عبد الرحمن عبد الله محمد الأذرمي، شيخ أبي داود والنسائي (السيوطي:

المصدر السابق ص ٣٤٢)

وسعهم، فقام الواصل ودخل إلى مجلسه وهو يقول لنفسه: هذا شيء لم يعلمه النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون ولم يدعوا الناس إليه أفلا وسعك ما وسعهم!، ونتيجة لذلك دعا الواصل حاجبه وأمره أن يرفع عن الشيخ القيود، وأن يعطى مالا، ويسمح له في الرجوع وسقط من عينه ابن أبي دؤاد ولم يمتحن أحداً بعد ذلك^(١).

(١) ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٥٠ - ٣٥١، ابن كثير: البداية والنهاية ج- ١٠ ص ٣٢١، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٢، القرمانى: أخبار الدول ص ١٥٨

نهاية الحنة في خلافة المتوكل على الله

توفي الخليفة الواثق سنة (٢٣٢هـ/ ٨٤٦م) وبويع المتوكل بالخلافة سنة ٢٣٢هـ (٨٤٦م) - ٢٤٧هـ (٨٦١م)، فلم يتحمس للقول بخلق القرآن، وبالتالي فترت حركة الامتحان، وأبطل المتوكل القول بخلق القرآن، ونهى عن الجدل فيه وفي غيره، وأظهر السنة^(١).

وقد أوضح المسعودي^(٢) موقف المتوكل من المعتزلة في قوله: «لما أفضت الخلافة إلى المتوكل أمر بترك النظر والمباحثة في الجدل، والترك لما عليه الناس في أيام المعتصم والواثق وأمر الناس بالتسليم والتقليد، وأمر الشيوخ المحدثين بالتحديث وإظهار السنة والجماعة». كذلك أطلق المتوكل من كان في السجون من أهل البلدان، ومن أخذ في خلافة الواثق فخلاهم جميعاً وكساهم، وكتب إلى الآفاق كتباً ينهى عن المناظرة والجدل فأمسك الناس^(٣). كانت هذه هي الخطوة الأولى في حركة الخليفة المتوكل ضد المعتزلة. إذ منعهم النقاش في خلق القرآن في الوقت الذي لم يتعرض لأحد منهم بالأذى في هذه المرحلة من ناحية، ووقف منهم موقف التسامح من ناحية أخرى.

ثم جاءت الخطوة الثانية سنة ٢٣٤هـ/ ٨٤٨م، ففي تلك السنة تظهر بوضوح تطور سياسة المتوكل تجاه المعتزلة فأظهر السنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وهدد من أثار هذه المسألة^(٤)، واستقدم العلماء والفقهاء والمحدثين إلى سامرا وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم أن يجلسوا للناس ويحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية للرد على المعتزلة^(٥).

(١) الدميري: حياة الحيوان الكبرى ج١ ص ٧٧، الديار بكرى: تاريخ الخميس ص ٣٣٨، القاسمي

الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة ص ٦٩

(٢) مروج الذهب ج٢ ص ٣٩١

(٣) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ج٣ ص ٢٠٩

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج٢ ص ٣٤٤، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٥٧ -

٣٥٨، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢ ص ٢٧٥

(٥) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الجوزي: المصدر السابق والصفحة،

السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٦

وجلس أبوبكر بن أبى شيبة فى جامع الرصافة^(١)، فاجتمع اليه نحو ثلاثين ألف نفس، وجلس أخوه عثمان فى جامع المنصور، فاجتمع إليه أيضاً نحو ثلاثين ألف نفس^(٢).

وأخيراً خطا المتوكل الخطوة النهائية سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م فأعلن سخطه وغضبه على المعتزلة، وعمد إلى سياسة التشدد تجاههم، فعزل ابن أبى دؤاد عن المظالم، واستدعى يحيى بن أكثم فولاه القضاة والمظالم، كما حبس أبا الوليد ابن أبى دؤاد وإخوته ولم يخل سبيلهم إلا بعد المصالحة على دفع مبلغ ضخيم من المال، ثم أبعدها إلى بغداد، فأقاموا فيها حتى توفى أبو الوليد سنة (٢٤٠هـ / ٨٥٤م)، ثم لحقه أبوه أحمد بن أبى دؤاد بعد عشرين يوماً^(٣)، كذلك كتب المتوكل إلى الآفاق بالمنع من الكلام والكف عن القول بخلق القرآن، وأن من تكلم فى علم الكلام فسيكون مصيره السجن، وعلاوة على ذلك أمر الناس ألا يشتغل أحد إلا بالكتاب والسنة^(٤).

وفى نفس العام أمر المتوكل بإزالة جثة أحمد بن نصر الخزاعى، فأُنزلت وضم رأسه إلى جسده، ودفعت إلى أوليائه فى يوم عيد الفطر فدفت^(٥).

كذلك أرسل المتوكل إلى الإمام أحمد بن حنبل فاستدعاه من بغداد، وقربه وأكرمه حتى كان لا يولى أحد إلا بعد مشورة الإمام^(٦)، ورفض المتوكل الوشايات التى كانت

(١) رصافة بغداد فى الجانب الشرقى، لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربى وأتم بناءها أمر ابنه المهدي أن يعسكر فى الجانب الشرقى، وعمل المهدي بها جامعا أكبر من جامع المنصور وأحسن، وكان فراغ المهدي من بناء الرصافة والجامع بها فى سنة ١٥٩هـ / ٧٧٥م وهى السنة الثانية من خلافته، (ياقوت: معجم البلدان ج٣ ص ٤٦).

(٢) السيوطى: المصدر السابق والصفحة، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٨٣

(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى ج٩ ص ١٨٨ - ١٨٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٧٢ - ٧٣، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٠ ص ٣١٥، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب ج٢ ص ٨٧، محمد الحضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص ٢٥٨

(٤) أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا ج٢ ص ٣٨، ابن كثير: المصدر السابق والجزء ص ٣١٦، القرمانى: أخبار الدول ص ١٥٩

(٥) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص ١٩٠

(٦) ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٥٨ - ٣٧٩، المقدسى: «كتاب المحنة» مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٣٤٥) ج٣ ص ١٦٠ - ١٦١، ابن كثير: البداية والنهاية ج١٠ ص ٣٣٥ - ٣٤٠، الزركلى: الأعلام ج١ ص ١٩٢ - ١٩٣

تهدف إلى الوقية بينه وبين الإمام أحمد بن حنبل^(١).

لما رفع المتوكل المحنة وأقصى المعتزلة انفجر بركان غيظ الشعب وظهرت كراهيتهم الشديدة للاعتزال^(٢)، وقد ظهر ذلك واضحا في كثير من المناسبات، من ذلك ما حدث في جنازة أحمد بن نصر التي مشى فيها جماهير العامة في بغداد، وأخذوا يتمسحون بالنعش حتى أن المتوكل تخوف من اجتماع العامة وتجمهرهم على هذا النحو فكتب إلى عامله يأمره بمنعهم من الحركة في مثل هذا الأمر^(٣).

وكذلك ما حدث في جنازة الإمام أحمد بن حنبل الذي حضر جنازته جمع هائل من الناس^(٤).

اتجه الخليفة المتوكل إلى التصدي للمعتزلة لما رآه من قوة الرأي العام ضد الاعتزال، وما سببته هذه المسألة للدولة، فرأى أن يخلص من هذه المشاكل، فأتجه إلى المذهب الذي يضمن له سلامة خلافته وينأى به عن المشاكل ويجعله موضع تقدير المسلمين وإجلالهم، خاصة أن المعتزلة كانوا قد تعرضوا في أواخر عهد الخليفة الواثق لموجة من الكراهية^(٥)، وكان المتوكل يميل إلى أهل السنة، ويعمل على نصرتهم، ولهذا اعتمد إعادة المذاهب السنية إلى سابق عهدها، وكان أول من اتبع مذهب الإمام الشافعي من الخلفاء^(٦).

وفضلا عما تقدم، فإن المتوكل كانت لديه رغبة في اكتساب تأييد الفقهاء ورجال الدين الذين لهم تأثير على الناس ضد العناصر المناوئة له، وبخاصة قواد الأتراك الذين كانوا

(١) كتب رجل إلى المتوكل يقول: يا أمير المؤمنين أن أحمد بن حنبل يشتم آباءك ويرميهم بالزندقة، فكتب المتوكل يقول: أما المأمون فإنه خلط فسلط الناس على نفسه، وأما المعتصم فإنه استحق ما قيل فيه. ثم أمر أن يضرب الرجل الذي رفع إليه الرسالة مائتي سوط (ابن كثير: المصدر السابق ج١ ص ٣٤٠).

(٢) زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٨٤

(٣) الطبري: تاريخ الطبري ج٩ ص ١٩٠ - ١٩١

(٤) يقول ابن خلكان: حضر جنازته ثمانمائة ألف من الرجال وستين ألف من النساء، وقيل إنه أسلم يوم مات عشرون ألفا من النصاري واليهود والمجوس (وفيات الأعيان ج١ ص ٤٨).

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج٣ ص ١٩٨

(٦) الدميري: حياة الحيوان الكبرى ج١ ص ٧٨، السيوطي: الأوائل (مخطوط) بدار الكتب المصرية (٢٩١) (تاريخ) ص ٣٧، تاريخ الخلفاء ص ٣٥٢

يطمحون إلى الاستئثار بالسلطة دون الخليفة^(١).

وليس من شك أن الخليفة المتوكل حظى بتقدير الناس بعد القضاء على هذه المحنة التي شغلت الناس فترة طويلة، وإحياء مذهب السنة، فبالغوا في الثناء عليه والدعاء له حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق يوم الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم^(٢) والمتوكل في إحياء السنة^(٣).

ويرى البعض أن المعتزلة قد أخطأوا في المحنة، لأنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو القول بحرية الفرد في اختيار أفعاله، ودفاعهم عن تلك الحرية، وفي الوقت نفسه فرضوا مذهب خلق القرآن على الناس فرضاً وأرغموهم عليه، وامتنحوهم فيها، فناقضوا بذلك أنفسهم^(٤).

وقد ترتب على هذا أن انتصر المحدثون، وأخذوا يتقمون من المعتزلة بأيديهم وعلمهم ودأبوا على تجريخ المعتزلة تجريخاً شنيعاً، ووصل الأمر بهم إلى تجريخ من جرى امتحانه وأقر بخلق القرآن، وأخذ أحمد بن حنبل رئيس المحدثين يحكم على هذا بالضعف وهذا بالقوة، وكان من أكبر أدواته في الميزان القول بخلق القرآن^(٥)، وسمى المتوكل «محيى

(١) فاروق عمر: الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية ص ٦٣ (مكتبة المشني، بغداد، العراق، الطبعة الثانية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م)، على حبيبة: العباسيون في التاريخ ص ١٥٧ (مطبعة الإرشاد، القاهرة ١٩٨٠م).

(٢) المقصود برد مظالم بني أمية، أن عمر بن عبد العزيز حاول تحويل الصورة التي ارتسمت عند العامة عن أعمال بني أمية فسمى أعمالهم وأموالهم مظالم وكتب إلى عمالة برفعها، وأمرهم أن يحصنوا سياستهم بالعدل بين الناس، وأن يمتنعوا الظلم، ويلغوا الجزية عمن أسلم، كما أَرْضَى العلويين بأن منع شتم الإمام على ورد أرض فذلك، وكان معاوية قد أقطعها مروان بن الحكم فوهبها لابنه عبد العزيز فورثها عمر وحاول مساواة العرب بالموالي. (السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٢٢٨ - ٢٤٤).

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٧٠، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل ص ٣٥٦، ابن السبكي: طبقات الشافعية ج ٢ ص ٥٤، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٧٥، السيوطي: المصدر السابق ص ٣٤٦، طاش كبرى زادة. مصباح السعادة ج ٢ ص ١٧٦.

(٤) الشهرستاني: الملل والنحل ج ١ ص ٥٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣ ص ١٩٨، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٩١ - ١٩٢.

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٥٣، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٩٩ - ٢٠٠.

السنة)، وقالوا أيضا: إنه أطفأ نيران البدعة وأوقد مصابيح السنة^(١).
أما خلفاء المتوكل حتى عهد المعتمد على الله (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) فقد واجهوا من
المشكلات الداخلية وأعباء الحكم ما جعلهم يتناسون الخلافات المذهبية وينصرفون إلى
تدبير شئون الخلافة، وقد تمثلت أهم المشاكل التي واجهت خلفاء المتوكل في استبداد
الأثرak وثورات العلويين وثورة الزنج ثم حركة القرامطة^(٢).

(٣) الخطيب البغدادي: المصدر السابق ج٧ ص ١٧٠، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن
حنبل ص ١٥٧
(٤) الطبري: تاريخ الطبري ج٩ ص ٢٢٢ وما بعدها، السيوطي: تاريخ الخلفاء ص ٣٥٦ وما بعدها.

أثر المعتزلة في الفكر السياسي

نشأ المعتزلة في زمن كان فيه المسلمون حديثي عهد بالأحداث التي طرأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، مثل قضية الخلافة والإمامة والبيعة، وينبغي علينا أن ننظر إلى المعتزلة على أنهم فرقة «دينية» أولا، ثم «سياسية» ثانيا، ذلك لأن أحد أصولهم الخمسة التي يقال إن المرء لا يصلح أن يسمى معتزليا إلا إذا قبلها جميعا - وهو الأمر المعروف والنهي عن المنكر - يعتبر مبدأ سياسيا^(١).

وهناك آراء متعددة في نشأة المعتزلة - كما أسلفنا - منها ما يشير في صراحة إلى أن بداية هذه النشأة كانت سياسية، من ذلك ما يرويه التوبختي قائلا: «من الفرق التي افرقت بعد ولاية علي فرقة اعتزلت مع سعد بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر ابن الخطاب، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وزيد بن حارثة، فإن هؤلاء اعتزلوا عن علي، وامتنعوا عن محاربتة والمحاربة معه بعد دخولهم بيعته والرضا به، فسموا المعتزلة، وقالوا: لا يحل قتال علي، ولا القتال معه، والأحنف بن قيس قالها لقومه: اعتزلوا الفتنة أصلح لكم^(٢)». ويقول الملطي: «عندما بايع الحسن بن علي عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر، اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس، وذلك أنهم كانوا من أصحاب علي، ولزموا منازلهم ومساجدهم^(٣)».

ويتضح لنا من هذه النصوص أن السبب في نشأة المعتزلة هو عدم موافقتهم الحسن بن عليّ على تسليم الخلافة إلى معاوية، فرأوا الاعتزال عنه وعن باقي المسلمين والانقطاع إلى العلم والعبادة، وأن المعتزلة قد انتموا إلى جانب علي بن أبي طالب وذريته، ثم اعتزلوا عنهم.

(١) محمد ضياء الدين الريس: النظريات السياسية الإسلامية ص ٧٩ (منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان - الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م).

(٢) فرق الشيعة ص ٥

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ٤١ (تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة ١٩٤٩ م).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن ذلك يدل على أن المعتزلة كانوا ينتمون فى بادئ الأمر إلى الشيعة^(١)، ومما يؤكد ذلك قول الشهرستاني: «أن واصل بن عطاء أخذ الاعتزال عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية^(٢)، والمعتزلة أنفسهم يؤكدون أنهم أخذوا مذهب الاعتزال عن أبى هاشم عبد الله، وأخذ هذا عن أبيه محمد بن الحنفية، وهذا عن والده على بن أبى طالب^(٣)».

ويربط البغدادي اعتزال واصل وقوله بالمنزلة بين المنزلتين، بحركة الخوارج السياسية فى البصرة، فيقول^(٤): «فلما ظهرت فتنة الأزارقة بالبصرة والأهواز، واختلف الناس عند ذلك فى أصحاب الذنوب، خرج واصل بن عطاء عن قول جميع الفرق المتقدمة، وزعم أن الفاسق فى هذه الأمة لا مؤمن ولا كافر، وجعل الفسق منزلة بين منزلة الكفر والإيمان. وأبدى المعتزلة آراءهم السياسية فى أكثر المسائل التى كانت موضع بحث فى هذا العصر^(٥)، فقال واصل بن عطاء فى عثمان وقاتليه وخاذليه: «أن أحد الفريقين فاسق لا محالة، وأنه لا يعرف هل كان عثمان هو المخطئ أم قاتلوه وخاذلوه؟»، وقال أبو الهذيل العلاف: لا ندري قتل عثمان ظالماً أو مظلوماً^(٦)، وكذلك فى الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين، قال واصل: أن أحدهما مخطئ لا بعينه^(٧)».

(١) أبو الوفاء التفناراني: علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٤٦

(٢) الملل والنحل ج ١ ص ٥٧

(٣) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال ص ٦٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد ج ١، تحقيق محمد عمارة، طبعة مؤسسة دار الهلال ١٩٧١م)، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ١٣٨، المحيط بالتكليف، المجلد الأول ص ٤٢٣، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى ج ١ ص ١٦٣، ١٦٥، ابن المرتضى: المنية والأمل ج ١ ص ١٢

(٤) الفرق بين الفرق ص ٩٨

(٥) محمد ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية ص ٧٩

(٦) الخياط: الانتصار ص ٩٧، الأشعري: مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ١٤٣، البغدادي: الفرق بين الفرق ص ٩٩ - ١٠٠، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء ص ٥٦، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٩

(٧) البغدادي: المصدر السابق ص ١٠٠، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء ص ٦٥، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٤٠، ابن المرتضى: المنية والأمل ج ٢ ص ١٥٤، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية ج ١ ص ٦، الذهبي: ميزان الاعتدال ج ٤ ص ٣٢٩ (تحقيق: على محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م).

واستمر المعتزلة بعد واصل في نظر هذه المسألة، فيقول عمرو بن عبيد: لا أقبل شهادة الجماعة منهم. سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب علي وبعضهم من حزب الجمل، وقال بتفسيق الفريقين^(١).

ويضيف الخياط قوله في علي وأصحاب الجمل: «لقد علمنا أنهم ليسوا بمحققين جميعاً، وجائز أن تكون إحدى الفرقتين محقة، والأخرى مبطلّة، ولم يتبين لنا من المحق منهم ومن المبطل»^(٢).

أما ضرار بن عمرو، وأبو الهذيل العلاف، ومعمار بن عباد السلمي، فقالوا في خصوص المتحاربين في موقعة الجمل «نعلم أن أحدهما مصيب والآخر مخطئ، فنحن نتولى كل واحد من الفريقين على الانفراد»^(٣)، وأما معاوية بن أبي سفيان فهم له مخطئون غير قائلين بإمامته^(٤).

واعتقد النظام وبشر بن المعتمر في صواب علي في حروبه وخطأ من قاتله: طلحة والزبير وعائشة ومعاوية^(٥).

وقد وصف القاضي عبد الجبار كلا من عائشة وطلحة والزبير بأنهم من المخطئين التائبين^(٦)، واتهم معاوية بأنه أول من قال بالجبر، وأظهره ليجعله عذراً فيما يأتيه، ويوهم الناس أنه مصيب وأن الله جعله اماماً وولاه الأمر، وانتشر ذلك في ملوك بني أمية^(٧)، وقد استثنى المعتزلة من هذا الحكم السابق في ملوك بني أمية، يزيد بن الوليد الملقب بالناقص، وعمر بن عبد العزيز^(٨).

(١) البغدادى: المصدر السابق ص ١٠١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٧٨، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء ص ٥٦ - ٥٧، الرازي: المصدر السابق والصفحة، الذهبي: المصدر السابق ج ٣ ص ٢٧٥، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

(٢) الانتصار ص ٩٧ - ٩٨

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ١٤٥

(٤) الأشعري: المصدر السابق والجزء والصفحة، القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ١٤٣

(٥) التوبختي: فرق الشيعة ص ٤، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢ ص ١٤٥

(٦) المغنى ج ٢٠ قسم ٢ ص ٧٨ وما بعدها.

(٧) القاضي عبد الجبار: المغنى ج ٨ ص ٤

(٨) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق ج ٢٠ قسم ٢ ص ١٥٠

وتكلم المعتزلة فى الإمامة وشروطها، فذكروا أنها تنعقد باختيار الأمة، وحجتهم فى ذلك أن الله عز وجل لم ينص على رجل بعينه، ولا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا اجتمع المسلمون على رجل بعينه^(١).

وقد ذهب عامة المعتزلة إلى «أن الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم على عليه السلام، ثم من اختارته الأمة، وعقدت له ممن تخلق بأخلاقهم وسار بسيرتهم»^(٢).

وقال بعض المعتزلة: إن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر، ثم عمر، ثم على، ثم عثمان، وقال البعض الآخر منهم: أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثم أبوبكر^(٣).

والواقع أن المعتزلة لم يتقيدوا بشرط القرشية فى الإمامة، إنما اشترطوا فقط أن يكون الإمام قائما بالكتاب والسنة مؤمنا عادلا^(٤)، ولكنهم يفضلون القرشى للإمامة عن غيره، يقول النوبختى: «قالت المعتزلة: إذا اجتمع قرشى ونبطى وهما قائمان بالكتاب والسنة ولينا القرشى»^(٥).

وقد غلا بعضهم مثل «ضرار بن عمرو الغطفانى» رأى الفرقة الضارية، فقال بتفضيل غير القرشى^(٦). وقد روى الشهرستانى رأيه فقال: «وزعم ضرار أن الإمامة تصلح فى غير قریش، حتى إذا اجتمع قرشى ونبطى قدمنا النبطى، إذ هو أقل عدداً وأضعف وسيلة، فيمكننا خلفه إذا خالف الشريعة»^(٧).

أما ابن حزم فقد روى رأى ضرار على هذا النحو «وقال ضرار: إذا اجتمع حبشى

(١) النوبختى: فرق الشيعة ص ١٠، الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٩ - ١٥٥، المسعودى:

مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٥، زهدى جار الله: المعتزلة ص ١٩ - ٢٠

(٢) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٧٥٨

(٣) الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٧، ابن حزم: الفصل ج ٤ ص ٩٠ - ٩١

(٤) النوبختى: فرق الشيعة ص ١٠ - ١١، المسعودى: مروج الذهب ج ٢ ص ١٧٥

(٥) النوبختى: المصدر السابق ص ١٠

(٦) الأشعرى: مقالات الإسلاميين ج ٢ ص ١٥٣

(٧) الشهرستانى: الملل والنحل ج ١ ص ٩٥

وقرشى، كلاهما قائم بالكتاب والسنة فالواجب أن يقدم الحبشى لأنه أسهل لخلعه اذا حاد عن الطريقة»^(١).

ومال بعض المعتزلة الى قول النجدات من الخوارج بأن الإمامة غير واجب نصبها، ومن الذين ذهبوا إلى عدم وجوب نصب الإمامة هشام بن عمر الغوطى (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، اذ قال بأن الإمامة لا تنعقد فى أيام الفتنة واختلاف الناس، وإنما يجوز عقدها فى حال الاتفاق والسلامة^(٢).

ومال البعض الآخر من المعتزلة فى مسألة الإمامة إلى آراء الشيعة^(٣)، وقد مال بعض المعتزلة أيضا إلى رأى الزيدية من الشيعة القائل بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل، فيقول ابن حزم: «ذهبت طوائف من الخوارج، وطوائف من المعتزلة، وطوائف من المرجئة.. وجميع الرافضة من الشيعة إلى أنه لا يجوز إمامة من يوجد فى الناس أفضل منه، وذهبت طائفة من الخوارج وطائفة من المعتزلة، وطائفة من المرجئة، وجميع الزيدية من الشيعة، وجميع أهل السنة الى أن الإمامة جائزة لمن غيره أفضل منه»^(٤).

ومن المعتزلة الذين جوزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل متابعين الزيدية من الشيعة جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب^(٥).

وإذا كان فريق من المعتزلة قد مال إلى آراء الخوارج فى الإمامة، وفريق ثان قد مال إلى آراء الشيعة فيها، فإن فريقاً ثالثاً قد مال فى الإمامة إلى رأى أهل السنة ومن هؤلاء أبو على الجبائى (ت ٢٩٥هـ / ٩٠٧م)، وابنه أبو هاشم (ت ٣٢١هـ / ٩٣٣م)، وهما رئيسا معتزلة البصرة فى عصرهما، وقالوا: إن الإمامة تكون بالاختيار، وإن الصحابة مترتبون فى الفضل ترتبهم فى الإمامة^(٦).

وقد كان المعتزلة يأملون من الخلفاء العباسيين خيراً بعد إسقاطهم لبنى أمية، فأسدوا

(١) الفصل جـ ٤ ص ٧٤

(٢) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص ٧٩

(٣) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء ص ٦٤، زهدى جار الله: المعتزلة ص ٢٠٦

(٤) الفصل جـ ٤ ص ١٢٦

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ ٧ ص ١٦٢ - ١٦٣

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل جـ ١ ص ٨٩، أبو الوفاء التفازاني: علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٥٨

إليهم النصيحة، ومن ذلك أن عمرو بن عبيد كان يعظ الخليفة المنصور قائلاً: «إن هذا الأمر الذى أصبح فى يدك لو بقى فى يد غيرك ممن كان قبلك لم يصل إليك، فاحذر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده»^(١)، وكثيراً ما كان ينبهه إلى جور عماله وفسادهم، فيقول: «اتق الله فإن من وراء بابك نيراناً تأجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله، ولا بسنة رسول الله»^(٢).

ومن مبادئ المعتزلة السياسية أن الإمام اذا جار ولم نجد معه النصيحة فإنه يجب على الناس الخروج عليه إذا توفر لهم الإمكان والقدرة^(٣)، وقد خرج المعتزلة مع يزيد بن الوليد (ت ١٢٦هـ/ ٧٤٣م) ضد الوليد بن يزيد لما ظهر فسقه وجوره^(٤)، وناصروا محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى خروجهما على أبى جعفر المنصور^(٥).

وقد كان رأى المعتزلة فى الإمامة ينعقد لصالح بنى العباس وحدهم، فهذه الفرقة قد اعتبرت الأمة فى فتنة منذ مقتل عثمان إلى أن تولاها العباسيون، وبالتالي كانت فى عداء مع الأمويين^(٦).

وكيفما كان الأمر فإن المعتزلة لم يعملوا على تأسيس دولة لهم كما كان ذلك بالنسبة للخوارج والشيعة، ولكنهم كانوا يدافعون عن العقيدة الإسلامية ضد التيارات والعقائد التى تهدف إلى إفسادها، وكان لهم رأى فى أكثر المسائل السياسية المعاصرة لها، وفى نصيحة الحكام.

(١) ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار جـ ٢ ص ٣٣٧، الخطيب البغدادي: المصدر السابق جـ ٢ ص ١٦٦ -

١٩٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٤٦١

(٢) الشريف المرتضى: أمالى المرتضى جـ ١ ص ١٧٤ - ١٧٥

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين جـ ٢ ص ١٥٧

(٤) المسعودي: مروج الذهب جـ ٢ ص ١٧٦ - ١٧٧

(٥) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال ص ١٧، الأشعري: المصدر السابق جـ ١ ص ١٥٤، البغدادي:

الفرق بين الفرق ص ٢٣١، الشريف المرتضى: أمالى المرتضى، جـ ١، ص ١٦٩، ابن المرتضى: النية

والأمل جـ ١ ص ٤١ - ٤٢

(٦) النوبختي: فرق الشيعة ص ٥ - ٦، عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول جـ ١ ص ٣٦٠

الفصل الثالث

(أثر المعتزلة في الحياة الفكرية)

- ١- موقف المعتزلة من الكتاب والسنة
- ٢- المعتزلة والفقهاء
- ٣- المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقي
- ٤- المعتزلة والحياة الأدبية
- ٥- أشهر علماء المعتزلة في بغداد

١. موقف المعتزلة من الكتاب والسنة

خالف المعتزلة السلف في فهم العقائد، وكانت طريقتهم في فهمها عقلية خالصة، وعملوا على تطبيق الأحكام العقلية على العقائد الدينية^(١)، وكانت مدرستهم من أكبر المدارس العقلية في الإسلام، واعتبروا حجة العقل مصدر المعرفة^(٢).

كانت أصول المعتزلة الخمسة وما تفرع عنها من آراء القاعدة الأساسية في محاوراتهم مع النصوص. سواء كان قرآناً أو سنة، فكان ما يعارض مبادئهم من آيات يؤولونها، وما يعارضها من أحاديث ينكرونها^(٣) ويوضح القاضي عبد الجبار في تصنيفه للأدلة أنه: (أولها العقل. لأنه يميز بين الحسن والقبيح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة وكذلك السنة والإجماع)^(٤).

وحمل المعتزلة العقل مسئولية معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود السمع^(٥)، ويعنى المعتزلة بالسمع: الكتاب والسنة^(٦).

موقف المعتزلة من القرآن وأعجازه

قال النظام: إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي - صلى الله عليه

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١ ص ٢٣٥ - ٢٣٦، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج٣ ص ١٤٨ - ١٤٩ (الفكر العربي ١٩٧١م) جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣ ص ١٥٨ (مراجعة وتعليق: د. حسين مؤنس، مطابع دار الهلال، ١٩٥٨م) الموسوعة الفلسفية المختصرة، ص ٣٢٨

(٢) يقول القاسم الرسى: ثلاث حجج احتج بها المعبود على العباد وهي العقل، والكتاب والرسول، والعقل أصل الحجتين الأخيرتين لأنهما عرفا به ولم يعرف بهما (أصول العدل والتوحيد، ص ٦٩ ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج١).

(٣) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢١٢ وما بعدها، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٨٥، زهدى جبار الله: المعتزلة، ص ٢٩

(٤) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ١٣٩

(٥) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٥٩

(٦) القاضي عبد الجبار: المعنى، ج١، ص ١٥١ (تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة ١٩٦٥)، شرح الأصول الخمسة، ص ١٤٢

وسلم، ولا دلالة على صدق دعواه النبوة، وإنما أوجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، وأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله، لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم، وهو ما عرف عندهم بالصرفة^(١).

وقال عيسى المرداد: إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة^(٢)، ويتحدث الجاحظ عن معجزة الرسول، وأنها قائمة في القرآن الكريم الذي هو معجزته الكبرى الخالدة، ويقيم الدليل على هذا بما عرف من تحدى القرآن للعرب^(٣).

ويقرر القاضي عبد الجبار صحة القرآن وتواتر نقله، وأنه لم يطرأ عليه أى تحريف أو تبديل^(٤)، وأن إنزاله بلغة العرب يدل على أن أهل اللغة يمكنهم الوصول إلى معرفته^(٥)، وأن العرب تركت معارضة القرآن حين أحسوا من أنفسهم العجز عن الإتيان بمثله^(٦)، وأنه صلى الله عليه وسلم قد تحدى بالقرآن من حيث تضمن الإخبار عن الغيوب^(٧)، وأن الإعجاز قد ذكر في القرآن على وجهين: أحدهما اعجاز متعلق بفصاحته، والثانى بصرف الناس عن معارضته^(٨).

ويوضح الزمخشري أن الله أنزل كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة^(٩).

(١) أبو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ٧٠، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٩٦، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٢٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٦٤

(٢) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص ٧٦

(٣) رسائل الجاحظ، ج ٣، ص ٢٢٣ - ٢٨١، ٢٩٠ - ٢٩١ (تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م).

(٤) يتحدث القاضي عبد الجبار عن النسخ في القرآن، والأحكام التي يصح فيها النسخ أو لا يصح أن تقع فيها نسخ، ثم يتعرض لإعجاز القرآن (المختصر في أصول الدين، ص ٢٣٩ ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١).

(٥) القاضي عبد الجبار: المغنى، ج ١٦، ص ٣٦٥ (تحقيق: أمين الخولي، القاهرة، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م)، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٦ (المطبعة الجمالية بمصر، ١٣٢٩هـ).

(٦) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين، ص ٢٣٩، شرح الأصول الخمسة، ص ٥٨٨ - ٥٩١ (٧) القاضي عبد الجبار: المغنى، الجزء السابق، ص ٢٢٠

(٨) القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٤٢٩، شرح الأصول الخمسة، ص ٥٨٦

(٩) مقدمة كتاب أساس البلاغة، (مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م).

تأويل المعتزلة للقرآن

قسم المعتزلة آيات القرآن إلى محكم ومتشابه، واختلفوا في تفسير محكم القرآن ومتشابهه^(١)، وفسروا المتشابهة على ضوء المحكم من الأصول التي جاء بها القرآن^(٢)، وأولوا القرآن حتى يناسب مذهبهم ونحلته^(٣).

كانت نظرته في توحيد الله نظرة في غاية السمو والرفعة، فطبقوا قوله تعالى (ليس كمثله شيء)^(٤)، وأولوا ما يخالف هذا المبدأ، وهم أمام النقل يسلمون بما يوافق البرهان العقلي ويؤولون ما يخالفه، فالعقل هو الحكم بين الآيات المتشابهات^(٥).

فعند الامام القاسم الرسي أن منزلة المحكم من المتشابه هي منزلة الأصل من الفرع، ومن ثم فإن مرجع الفروع إلى الأصول، ومرجع المتشابه إلى المحكم، فيجب الرجوع إلى المحكمات من الآيات والإيمان بالمتشابهات^(٦)، أما الإمام يحيى بن الحسين^(٧)، فإنه يقول:

(١) فسر كل من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد المحكم والمتشابهة من خلال نظر عقلي في مشكلة (العقاب للفاسق)، وفسر أبو بكر الأصم المحكمات بأنها الحجج الواضحة التي لا حاجة لمن يعتمد إلى طلب معانيها كنحو ما أخبر الله سبحانه عن الأمم التي مضت من عاقبها، أما المتشابهات هو ما أنزل الله من أنه يبعث الأموات ويأتي بالساعة وينتقم ممن عصاه. (الأشعري، مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، النشر: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص ٤٢٩ - ٤٣٠). ويقول القاضي عبد الجبار: المحكم هو ما أحكم المراد بظاهره، والمتشابه ما لم يحكم المراد بظاهره (شرح الأصول الخمسة، ص ٦٠٠).

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٢٩٣، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٦٩، محمد عمار: مقدمة كتاب رسائل العدل والتوحيد، ج١، ص ٣٣.

(٣) زهدي جار الله: المعتزلة، ص ٢٤٨.

(٤) سورة الشورى: آية ١١.

(٥) الأشعري: المصدر السابق والجزء، ص ٢٣٥ - ٢٣٦، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ٦٨ - ٦٩.

(٦) كتاب أصول العدل والتوحيد (ضمن رسائل العدل والتوحيد) ج١، ص ٩٦ - ٩٧.

(٧) أورد الإمام يحيى بن الحسين عددا من الأمثلة التوضيحية للآيات المحكمة والمتشابهة، فمن الآيات المحكمة قوله تعالى: (ولم يكن له كفوا أحد) سورة الإخلاص، آية ٤، (ليس كمثله شيء) سورة الشورى آية ١١، (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) سورة الأنعام آية ١٠٣، ومن الآيات المتشابهة قوله تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه) الكهف آية ١١٠، (المحكم والمتشابه، ص ١٠٧، ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج٢، تحقيق: محمد عمار).

«ان القرآن محكم ومتشابه، ... فإذا فهم الرجل ذلك أخذ حينئذ بمحكم القرآن وأقر بمتشابهه، أنه من الله».

أ. تأويل الآيات التي تثبت الرؤية:

نفى المعتزلة أن يرى الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، لأن الرؤية تقضى الجسمية، وتوجب مشابهة الله للمخلوقات^(١)، وقالوا: لو كان الله جسما لصح أن يرى^(٢) وقد تأولوا الآيات الواردة في القرآن التي تدل على الرؤية مثل قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة»^(٣)، فقالوا: إن النظرة هنا بمعنى الانتظار، وأن تقديم المفعول به (إلى ربها) يفيد الاختصاص بمعنى أن هذه الوجوه تنظر إلى ربها خاصة ولا تنظر إلى غيره^(٤)، ويذكرون على ذلك شواهد من القرآن مثل قوله تعالى: «فناظرة بهم يرجع المرسلون»^(٥)، وشواهد من كلام العرب^(٦)، ويفرق القاضي عبد الجبار بين النظر والرؤية بقوله: إنا نعلم أن الجماعة ناظرة إلى الهلال ولا نعلمها رائية له، فالنظر غير الرؤية^(٧).

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٢٣٨، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ج١، ص ١٤٧ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ)، محمد أبو زهرة: أحمد ابن حنبل، ص ١٦٣

(٢) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٣٣

(٣) سورة القيامة، آية ٢٢، ٢٣

(٤) الأشعري: الابانة عن أصول الديانة، ص ٢٥ - ٢٦، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٤٥، النيسابوري: ديوان الأصول، ص ٦٠٤ (تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريذة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م)، الزمخشري: الكشاف، ج٤، ص ١٩٢ (مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م)، الإمام القاسم الرسي: كتاب العدل والتوحيد، ص ١٠٥ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج١)، الإمام يحيى بن الحسين: الزكاة، ص ١٠٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج٢).

(٥) سورة النمل، آية ٣٥

(٦) مثل قول الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن يأتي بالخلاص

وعلى ذلك يفهمون الآية كأن الله تعالى قال: وجوه يومئذ ناظرة، نعمة ربها منتظرة (القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٤٥، المختصر في أصول الدين، ص ١٩٠ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج١)، النيسابوري: المصدر السابق، والصفحة.

(٧) المغني، ج٤، ص ١٩٨ (تحقيق: محمد مصطفى حلمي، أبو الوفاء التفتازاني، القاهرة، ١٩٦٥م)، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٤٥

وفى تفسيرهم لقوله تعالى: «فمن كان يرجو لقاء ربه»^(١)، يقولون إن حقيقة اللقاء ليست هي الرؤية، بل ملاقة جسمين، وبأن اللقاء يستعمل فى اللغة حيث لا تستعمل الرؤية، فمثلاً يقال: «رأيت فلاناً وما لقيته، والكفيف يقول لقيت فلاناً ولا يقول رأيته»^(٢)، وأن المراد بلقاء الله، هو لقاء ملائكته ووثابه، وقد ذكر الله نفسه وأراد غيره^(٣).

وهناك دليل آخر يستدل به المعتزلة على عدم جواز الرؤية وهو قوله تعالى: «لن ترانى، ولكن انظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى»^(٤) فنفى أن يراه، وأكد ذلك بأن علقه باستقرار الجبل، فظاهر الآية يدل على أن الله لا يرى فى الدنيا ولا فى الآخرة^(٥).

ويرى الجاحظ^(٦) أن الله استعظم الرؤية استعظماً شديداً، وغضب على من طلب ذلك واراده، ثم عذب عليه.

ويقول الزمخشري فى تفسير الآية: «رب أرنى أنظر إليك»^(٧)، أى بمعنى أعرفك معرفة اضطرار كأنى انظر إليك^(٨)، وحين تعلق مشبته الرؤية بقوله تعالى: «كلا إنهم عن ربهم

(١) سورة الكهف، آية ١١٠

(٢) الإمام يحيى بن الحسين: المحكم والمتشابه، ص ١٠٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ٢)، النيسابورى: ديوان الأصول، ص ٦١١، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٥
(٣) يقول القاضى عبد الجبار: ولو كان اللقاء بمعنى الرؤية، لم يختلف الحال فيه بالمؤمنين والمنافقين، وقد قال الله تعالى: «فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقىونه» (سورة التوبة آية ٧٧)، فيجب أن يدل على أن المنافقين يرونه (شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٦).

(٤) سورة الأعراف، آية ١٤٣

(٥) النيسابورى: المصدر السابق والصفحة، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، المغنى، ج ٤، ص ١٦١ - ١٦٢

(٦) قال الله تعالى: «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا: أرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة» (سورة النساء، آية ١٥٣)، ويتساءل الجاحظ: إذا كان الله تعالى يجوز أن يكون مريئاً، وبيعض الحواس مدركاً، وكان ذلك جائزاً فالقوم إنما سألوا أمراً ممكناً، فلماذا غضب الله هذا الغضب، واستعظم سؤالهم هذا الاستعظام، وضرب به المثل، وجعله غاية فى الجرأة وفى الاستخفاف بالربوبية؟ (رسائل الجاحظ، ج ٤، ص ١٠) (الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، مصر) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٣١

(٧) سورة الأعراف، آية ١٤٣

(٨) الكشف، ج ٤، ص ١١٦ (مطبعة البابى الحلبي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦ م)

يومئذ لمحجوبون»^(١)، وقالوا: إذا كان الكفار محجوبين عن الله، وجب في المؤمنين أن يكونوا غير محجوبين، ووجب أن يروا الله، قالت المعتزلة: إن المراد: كلا إنهم عن ثواب ربهم لمحجوبون^(٢).

ب. تأويل آيات التجسيم والتشبيه:

تأول المعتزلة قوله تعالى وجاء ربك^(٣) فقالوا: أى جاء رسل ربك، ومتحملو أمره للمحاسبة والفصل، على ما يقال في اللغة عند التنازع في الأمر الذي يرجع فيه إلى بعض الكتب: (إذا جاء الشافعي فقد كفانا، ويراد بذلك كتابه، وإذا جاء الخليل في العروض انقطع الكلام، والمراد كلامه في ذلك)^(٤).

وقد نفى المعتزلة التجسيم والتشبيه عن الله تعالى، فتأولوا الآيات التي تثبت أن لله وجه، وقالوا: بذلك ذاته، وقد يذكر الوجه ويراد به نفس الشيء كما يقال: هذا وجه الطريق، ووجه الرأي^(٥)، وقد أورد المعتزلة عدة آيات من كتاب الله تعالى تتضمن كلمة (الوجه) منها قوله تعالى: «كل شيء هالك إلا وجهه»^(٦)، وقالوا: إن المراد بذلك إلا هو، فليس للمشبّهة تعلق بذلك، ويلزمهم إن أثبتوا لله وجهاً وبدأ أن يقولوا إن سائرته يفنى ويبقى وجهه، وليس ذلك مما يعتقده مسلم^(٧).

وقالوا في تفسير قوله تعالى: «وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم ولعنوا بما

(١) سورة المطففين، آية ١٥

(٢) النيسابوري: ديوان الأصول، ص ٦١٢ - ٦١٣، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٧

(٣) سورة الفجر، آية ٢٢

(٤) الجاحظ: رسائل الجاحظ، ج ٤، ص ١٥، القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٤٨

(دار النهضة الحديثة، بيروت، بدون تاريخ)، متشابه القرآن، ص ٦٨٩ (تحقيق: عدنان محمد

زرزور، دار التراث، القاهرة، ١٩٦٦م)، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٩٩، المغني، ج ١،

ص ٣٨٠، القاسم الرسي: كتاب العدل والتوحيد ص ١٠٨ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١)

(٥) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٧٨ وما بعدها، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٦٦،

القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن ص ١٠٥، المغني، ج ٤، ص ٢٠٤

(٦) سورة القصص، آية ٨٨

(٧) القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٣١٢، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٧، القاسم

الرسي: المصدر السابق والجزء ص ١١٠

قالوا، بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء»^(١)، والمراد بذلك أن: نعمتيه مبسوطتان على العباد، وأراد به نعمة الدين والدنيا، والنعمة الظاهرة والباطنة، وقد يعبر باليدين عن النعمة، فيقال: لفلان عندي يد وأياد جسيمة^(٢)، وامتنع المعتزلة عن القول بأن لله يداً كالأيدي، وقالوا إن تأويل هذه الآية وأشباهاها إما القدرة أو النعمة^(٣)، وأوضحوا أن تأويل قوله تعالى: «الرحمن على العرش استوى»^(٤) أى أنه استولى واقتدر، وأن الاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة، ولم يرد أنه تمكن على العرش جالسا، وهكذا كما يقال فى اللغة: استوى البلد للأمير، واستوت المملكة لفلان^(٥).

ج. تأويل الآيات التى تقول بالجبر والقدر

امتنع المعتزلة عن القول بأن الله خالق أفعال العباد لينفوا عنه تعالى الظلم والقيح^(٦)، وأنه تعالى يريد من عباده جميعا الطاعات ويكره المعاصي^(٧) وتأولوا الآيات التى تقول بذلك مثل قوله تعالى: «صنع الله الذى أتقن كل شئ»^(٨)، فقالوا: لم يكن الكفر بمقتن ولا

(١) سورة المائدة، آية ٦٤

(٦) ذكر المعتزلة عدة آيات من هذا القبيل، دفعوا فيها شبهة التجسيم، وأرادوا من اليد القدرة والقوة، لأنها أقوى آلات العمل وسبب فيها. (القاضى عبد الجبار: متشابه القرآن، ص ٢٣٠، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٨، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٣٥٠، المختصر فى أصول الدين، ص ١٨٨ ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١)، الزمخشري: الكشف، ج ١، ص ٢٢

(٧) القاسم الرسى: كتاب العدل والتوحيد، ص ١٠٧ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١)، الأشعري: المصدر السابق، ص ٧٩ - ٨٠، مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٧١، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٨، ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ١١٩ (طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠١هـ).

(٤) سورة طه، آية ٥

(٥) الأشعري: الإبانة، ص ٧٠ - ٧٠، أبو رشيد النيسابورى: ديوان الأصول، ص ٥٩٩، القاضى عبد الجبار: متشابه القرآن، ص ٧٤، تنزيه القرآن عن المطاعن، ص ٢٥٣، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٢٦، المختصر فى أصول الدين، ص ١٨٦، الزمخشري: الكشف، ج ١، ص ١٢٦، ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ١١٧

(٦) ابن حزم: الفصل، ج ٣، ص ٥٦

(٧) الأشعري: المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٢، البغدادى: أصول الدين، ص ١٤٧ (القاهرة، ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م) الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص ٢٥٤ (اكسفورد، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م).

(٨) سورة النمل، آية ٨٨

بمحكم، فعلمنا أنه ليس من صنعه، وقال عز وجل: «ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت»^(١)، فلما كان الكفر متفاوتاً متناقضاً، علمنا أنه ليس من خلقه^(٢).

وتأول المعتزلة قوله تعالى: «خالق كل شيء»^(٣)، و«خلق كل شيء»^(٤)، بقولهم: إنما أراد به خلق السموات والأرض والليل والنهار والجن والإنس وما أشبه ذلك، ولم يرد أنه خلق الكفر والظلم والكذب، أو لم يجز أن يكون ظالماً ولا كاذباً عز وجل^(٥)، وأن المتعارف في استعمال هذه اللفظة قد جرى بمعنى التكثير والمبالغة، كقوله تعالى: «وأوتيت من كل شيء»^(٦)، و«ما فرطنا في الكتاب من شيء»^(٧)، و«تدمر كل شيء»^(٨)، و«يجبى إليه ثمرات كل شيء»^(٩)، وكقول الرجل: «أكلنا كل شيء»، وعندنا كل خير، وعلى هذا خاطب الله عز وجل العرب^(١٠)، وكقول القائل أثنى الناس، ولعله لا يكون أثناه إلا خمسة فاستكثرهم، وبالع في العبارة^(١١).

وفى قوله تعالى: «والله خلقكم وما تعملون»^(١٢)، قالوا: إنما أخبر الله عن إبراهيم عليه السلام، فيقول: نحتّم خشباً ثم عبدتموه، فالله خلقكم وخلق الخشب الذي عملتموه صنماً، فسمى الصنم الذي عملوه عملاً لهم، على نحو ما يقول أهل اللغة: فلان يعمل الأثواب

(١) سورة الملك، آية ٣

(٢) القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن، ص ٦٦١، شرح الأصول الخمسة، ص ٣٥٨، الشريف المرتضى إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٧٤ (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١).

(٣) سورة الأنعام، آية ١٠٢

(٤) سورة الفرقان، آية ٢

(٥) القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٣٥٨، الشريف المرتضى: إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٩٣

(٦) سورة النمل، آية ٢٣

(٧) سورة الأنعام، آية ٣٨

(٨) سورة الأحقاف، آية ٢٥

(٩) سورة القصص، آية ٥٧

(١٠) القاضي عبد الجبار: متشابه القرآن، ص ٢٥١ - ٢٥٢، القسم الأول.

(١١) الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص ١٠٤ (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر، ١٩٦٨).

(١٢) سورة الصافات، آية ٩٦

والحصر، وإنما أراد الأصنام التي عملوا فيها النحت^(١).

ويذكر المعتزلة، أدلتهم التي تثبت مسئولية الانسان عن فعله^(٢)، مثل قوله تعالى: «كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم»^(٣)، وقوله تعالى: «فما لهم لا يؤمنون»^(٤)، وقوله تعالى: «هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن»^(٥)، يقول القاضى عبد الجبار: وقد أورد الله الآيات على وجه التوبيخ، وذلك لا يحسن الا بعد تعلق الكفر والإيمان بنا، وإلا كان ذلك بمنزلة أن يوبخ أحدنا على طول قامته وقصرها، فيقال قد أنعمنا عليك، فقصرت قامتك أو طالت^(٦).

يستدل المعتزلة على نفى إرادة الله للقبائح والكفر بقوله تعالى: «ما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون»^(٧)، ويقول الزمخشري: «إنما أراد الله منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها، لأنه خلقهم ممكنين فاختر بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها، ولو أرادها على القصر والإلجاء لوجدت من جميعهم»^(٨)، وتبرأ الله من المشركين فى قوله تعالى: «إن الله برئ من المشركين ورسوله»^(٩)، يدل عند المعتزلة على تعلق الشرك بفاعله ومسؤوليته عنه لأنه لا يجوز أن يتبرأ منهم لأجل شركهم إلا وهم فاعلون له»^(١٠).

موقف المعتزلة من السنة:

ذهب المعتزلة فى تقدير العقل بعيدا، فقالوا: إذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم العقل لأنه أساس النقل^(١١)، وكان موقفهم من الحديث كثيراً ما يكون موقف التشكك فى

(١) القاضى عبد الجبار: المغنى، ج ٨، ص ٣٠٨، شرح الأصول الخمسة ص ٣٨٢، الشريف المرتضى: إنقاذ البشر من الجبر والقدر، ص ٢٩٤، (ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١).

(٢) القاضى عبد الجبار: المغنى، ج ٨، ص ٢٦١

(٣) سورة البقرة، آية ٢٨

(٤) سورة الانشقاق، آية ٢٠

(٥) سورة النعابن، آية ٢

(٦) شرح الأصول الخمسة، ص ٣٦٢

(٧) سورة الذاريات، آية ٥٦

(٨) الكشاف، ج ٤، ص ٢١ (مطبعة مصطفى البابى الحلبي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م).

(٩) سورة التوبة، آية ٣

(١٠) القاضى عبد الجبار، المغنى، ج ٨، ص ٢٦٣

(١١) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، ج ١، ص ١٣٣، محمد عمارة: الإسلام والمستقبل، ص ٢٥٠ (طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).

صحته، وأحياناً موقف المنكر له.. لأنهم يحكمون العقل فى الحديث. لا الحديث فى العقل^(١).

شن المعتزلة على الحديث والمحدثين هجوماً عنيفاً، وكذبوا رواية الأحاديث التى لا توافقهم، ولا سيما أحاديث الرؤية والصفات والقدر^(٢)، وطعنوا فى هؤلاء الرواة^(٣)، وتمثلت كتب المعتزلة بأحاديث توحى بالاختيار^(٤)، أما الأحاديث التى توحى بالجبر فإن المعتزلة حكموا بعدم الأخذ بها باعتبارها رواية آحاد^(٥)، وقالوا إن خبر الواحد لا يؤخذ به فى أصول العلم^(٦)، وحين يقبلوا خبر الواحد فلا يروونه بصيغة الجزم، وإنما يروونه بصيغة التمرىض^(٧)، ويرى القاضى عبد الجبار أنه لا يحسن أن يقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الواجب أن يقال: روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٨). وذهب المعتزلة الى جواز وقوع الكذب فى خبر المتواتر من الحديث^(٩)، وكذلك يؤول

(١) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٨٥

(٢) زهدى جابر الله: المعتزلة، ص ٢٤٨

(٣) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج ٢، ص ١٠٣ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

(٤) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٧٧٥، المغنى، ج ٨، ص ٢٦٣ - ٢٦٤

(٥) خبر الآحاد هو ما رواه واحداً أو اثنين أو ثلاثة فأكثر دون بلوغ عدد التواتر، وقد اشترط العلماء فى رآويه لقبولة العدالة والضبط، وتقوم به الحجة على أهل العلم، ويوجب العمل عند جماعة علماء الأمة (الشافعى: الرسالة، ص ١٥٩ - ١٦٠) (الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى الحلبي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م، تحقيق: محمد سيد كيلانى)، القاضى عبد الجبار: المغنى، ج ٨، ص ٣٣٢، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٦٥، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٣٣ (المطبعة المنيرية بمصر، ١٣٤٦هـ)، ابن حجر العسقلانى: فتح البارى، ج ١٦، ص ٣٦٠

(٦) الخياط: الانتصار، ص ٦٨، النيسابورى: ديوان الأصول، ص ٦١٣، القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٢٦٩، ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، ج ٢، ص ٤٠٦

(٧) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٧١، ١٨٦

(٨) القاضى عبد الجبار: المغنى، ج ٧، ص ٣٨٣ - ٣٨٥ (تحقيق: أمين الخولى، القاهرة، ١٩٦٢م).

(٩) المتواتر: هو ما نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة، وهو إجماع تنقله الكافة عن الكافة، وهو من الحجج القاطعة للأعداء إذا لم يوجد هناك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استنابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون، وسلوكه غير سبيل جميعهم. (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٢٨، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٣٣ - ٣٤، السيوطى: تدريب الراوى، ج ٢، ص ١٥٩ (دار الكتاب العربى، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد عمر هاشم، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).

المعتزلة الأحاديث التي وردت ويفيد ظاهرها الرؤية على أن الرؤية بمعنى العلم^(١)، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انكم سترون ربكم عياناً)^(٢)، ويقول القاضي عبد الجبار: إن الرسول أراد بقوله (ترون ربكم)، تعلمون ربكم، ويوضح ذلك قوله جل وعز: «ألم ترى كيف فعل ربك بعاد»^(٣)، و«ألم ترى كيف فعل ربك بأصحاب الفيل»^(٤)، ويكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم (ترون ربكم)، تعلمون ربكم^(٥)، وقالوا إن رؤية الله ممتنعة ولا يراه كافر ولا مؤمن^(٦).

وقد أنكر المعتزلة شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة لأهل الكبائر من الأمة الإسلامية، وقالوا: يشفع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل في أن يزيد المؤمنين من فضله لا في أن يدخلهم جناته^(٧)، وجعل القاضي عبد الجبار^(٨) الشفاعة لأهل الثواب دون أهل العقاب، ولأولياء الله دون أعدائه، مستدلاً على ما ذهب إليه بقوله تعالى: «ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع»^(٩)، ومن حق الشافع أن يكون محباً لمن يشفع له راضياً عنه^(١٠)، وبوقفهم هذا يكونون قد أنكروا أمراً أثبت بالسنة الصحيحة^(١١).

(١) الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٣١، ابن فورك: مشكل الحديث وبيانه، ص ٨٩ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، الزمخشري: الكشاف، ج ٢، ص ١٦٦
(٢) البخاري: صحيح البخاري، ج ٢، ص ١٧٢، ١٩٢، ج ١٧، ص ١٩٩٦ (على هامش فتح الباري العسقلاني، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨هـ).

(٣) سورة الفجر، آية ٦

(٤) سورة الفيل، آية ١

(٥) القاضي عبد الجبار: المغني، ج ٤، ص ٢٣١، شرح الأصول الخمسة، ص ٢٧٠ - ٢٧١، النيسابوري: ديوان الأصول، ص ٦١٦

(٦) ابن فورك: مشكل الحديث، وبيانه، ص ٢٥٠

(٧) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ١٦٦، الإبانة عن أصول الديانة، ص ١٣٩، القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٦٩٠، ابن حزم، الفصل، ج ٤، ص ٥٣

(٨) فضل الاعتزال، ص ٢٠٧

(٩) سورة غافر، آية ١٨

(١٠) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة.

(١١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتي» (مسلم: صحيح مسلم، ج ١، ص ١٩٥، الطبعة الأولى، عيسى الحلبي، ١٣٧٤)، البخاري: صحيح البخاري، ج ٨، ص ١٩٥

واختلف المعتزلة فى تصورهم للنبوة، فقال بعضهم: هى ثواب وجزاء، وقال آخرون: ليست بجزاء ولا ثواب^(١).

وأنكر النظام ما روى عن معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم^(٢)، وأنكر المعتزلة عذاب القبر^(٣)، ويورد القاضى عبد الجبار حجة المنكرين لعذاب القبر فيقول: «ان الميت لما يدفن لا يسمع ولا يبصر ولا يدرك فكيف يجوز عليه المسألة والمعاقبة مع الموت، وأنكر مشايخنا عذاب القبر فى كل حالة»^(٤). وهذا مخالف صراحة لما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥).

وأنكر المعتزلة أيضا الخوض والميزان^(٦)، وقالوا: ان الصراط هو الأدلة على الطاعات التى من تمسك بها نجأ وأفضى الى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصى التى من ركبها هلك واستحق من الله النار^(٧).

واستهزأ الجاحظ بما روى أن الحجر الأسود كان أبيض فسوده المشركون، فقال: كان يجب أن يبيضه المسلمون حين أسلموا^(٨).

(١) ممن قال بأنها جزاء على عمل، عباد بن سليمان، وعن قال: إنها ابتداء أبو على الجبائى (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٢٩٧، ج٢، ص ١٣٧).

(٢) أنكر النظام انشقاق القمر، وتسبيح الحصا فى يد الرسول، ونبوع الماء بين أصابعه (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١١٤)، وقد ثبت حديث انشقاق القمر، عن ابن مسعود قال: (انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله: اشهدوا) (مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص ١٥٨).

(٣) الأشعرى: المصدر السابق، ج٢، ص ١١٦، الإبانة عن أصول الديانة، ص ١٤٣، ابن حزم: الفصل، ج٤، ص ٥٣، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٣٢.

(٤) فضل الاعتزال، ص ٢٠٢.

(٥) عقد البخارى بابا فى كتاب الجنائز ترجم له بقوله: باب ما جاء فى عذاب القبر (صحيح البخارى، ج٣، ص ٤٧٣).

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ١٤١، ابن حزم: الفصل، ج٤، ص ٥٣.

(٧) القاضى عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، ص ٦٣٨.

(٨) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص ٧٢ (دار الجبل، بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م، تحقيق: محمد زهدى النجار)، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٨٦.

وخالف المعتزلة سنة الرسول في موقفهم من حدود السارق^(١)، فهذا أبو الهذيل العلاف والجبائي يفسقان سارق الدرهم من حرز^(٢)، أما جعفرين مبشر فيزعم أن من سرق حبة أو مادونها فهو فاسق منخلع من الإيمان مخلد في النار^(٣)، ويذهب النظام إلى أن من غصب أو سرق مائة وتسعة وتسعين درهما لم يفسق بذلك حتى يكون ما سرقه أو عصبه وخان فيه مائتي درهم فصاعدا^(٤).

وقال العلاف بفناء نعيم أهل الجنة وفناء عذاب أهل النار، مما جعل عددا من زعماء المعتزلة يردون عليه ويوبخونه^(٥)، وكان بعض زعمائهم متهاونا في أداء الفرائض^(٦). وكان المعتزلة يرون اغتيال المخالفين لهم في الرأي^(٧).

وللمعتزلة رأى في الإجماع^(٨) والقياس^(٩)، وقد أنكر النظام الإجماع والقياس، وقال:

(١) قالت عائشة رضي الله عنها: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: تقطع اليد في ربع دينار فصاعدا، على أن يكون المسروق حرزا والسارق مستغنيا عن السرقة (البخاري: صحيح البخاري، جـ ١٥، ص ١٠٧)

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، جـ ١، ص ٣٣٣ - ٣٣٤

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٢٩

(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، جـ ١، ص ٣٣٤

(٥) ألف كل من الجبائي وأبي موسى المردار كتابا ذكرا فيهما فضائح أبي الهذيل، ولجعفر بن حرب أحد زعماء المعتزلة كتاب سماه «توبيخ أبي الهذيل» (البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٠٢).

(٦) قال خادم ثمامة بن الأشرس له يوما: قم صل فتغافل، فقال له: قد ضاق الوقت، فقم صل واسترح، فقال ثمامة: أنا مستريح إن تركتني (البغدادي: المصدر السابق، ص ١٥٨ - ١٥٩، الأسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤٩).

(٧) قالوا: إذا كنا جماعة وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفتنا، عقدنا للإمام، ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا، فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد، وفي قولنا في القدر، والا قتلناهم. (الأشعري: المصدر السابق، جـ ٢، ص ١٥٧).

(٨) الإجماع: هو إجماع علماء الأمة الإسلامية على أمر ما فيصبح بذلك حكما شرعيا، ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم. (الشافعي: الرسالة، ص ٢٠٥، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ ٢، ص ٣٣ - ٣٤).

(٩) القياس: الحاق أمر منصوص على حكمه بأمر غير منصوص على حكمه لاشتراكهما في علة الحكم (الشافعي: المصدر السابق، ص ٢٠٦، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، جـ ٢، ص ١٥٤).

أنهما ليسا حجة في الأحكام الشرعية^(١)، وقد تصدى بعض المعتزلة للرد على النظام من أمثال بشر بن المعتمر، وأبى الهذيل العلاف^(٢). والقاضى عبد الجبار يقر الإجماع، ولكنه لا يرتبط بالعدد، بقدر ما يرتبط بطاعة الله، فهو عنده ينطبق حتى على الفرد الواحد^(٣). وكانت للمعتزلة بحوث كثيرة مجافية للعقل ومخالفة للسنة^(٤).

رأى المعتزلة فى الصحابة:

أجمع المسلمون على عدالة الصحابة، وصار استنقاصهم آية من آيات الزندقة والخروج عن الإسلام^(٥)، ولكن المعتزلة وضعوا الصحابة وكبار التابعين فى موضع عامة الناس، يخطئون ويصيبون، ويصدر عنهم ما يمدح وما يذم، وقد نسب النظام الى الصحابة إيثار الهوى على الدين، ووقوع الفاحشة فيهم^(٦).

(١) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٢٩، الغزالى: الاقتصاد فى الاعتقاد، ص ١١٣ (الطبعة الأولى، مطبعة حجازى، القاهرة، بدون تاريخ)، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٦٤، الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٤١، مصطفى السباعى: السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى، ص ٢٠٦ (الطبعة الأولى، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٣٨٠ هـ).

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، ج ٢، ص ٧٧ - ٧٨.

(٣) يستشهد القاضى عبد الجبار على رأيه بما ينسبه لابن مسعود: (الجماعة ما وافق طاعه الله وإن كان رجلا واحدا) (فضل الاعتزال، ص ١٨٦).

(٤) بحث المعتزلة فى مصير اليد المقطوعة لرجل مؤمن كفر بعد القطع، أو لرجل كافر آمن بعد القطع، كما نظروا فى عقول البهائم هل سيكلمها الله أم تبقى على حالها فى الدنيا، وبحثوا مسألة اقتصاص الله من بعضها البعض. (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣١٧، ٢١٩ - ٣٢٠)، ومن أبحاثهم أيضا: نظرهم فى الصلاح والأصلح، جعل النظام يحده من قدرة الله حيث قال: إن الله لا يقدر أن يزيد فى عذاب أهل النار ذرة، ولا أن ينقص من أهل الجنة شيئا، أما المردار فينزل بالله الى مستوى الكذب والظلم قياسا على حياة البشر فيجعله قادرا على ذلك، وإن فعل كان الها كاذبا ظالما، فى حين ينفى أبو الهذيل العلاف عن الله القدرة على رؤية بعض الأجزاء التى لا تتجزأ. (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١١٣، ١١٦، الشهرستانى: الملل والنحل، ح ١، ص ٦١، ٧٥ - ٧٦).

(٥) الخطيب البغدادى: الكفاية فى علم الرواية، ص ٧ (الطبعة الأولى، دار الكتب الحديثة، القاهرة).

(٦) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٣٤، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٦٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٧٥.

تعرض المعتزلة لمسألة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، هل خلافتهم صحيحة وأيهم أفضل؟^(١)، وانتقد النظام الخلفاء الراشدين وطعن في آرائهم^(٢)

وأما موقف المعتزلة من عثمان بن عفان وقتلته فإن كثيرا منهم يقفون في ذلك دون إبداء رأي^(٣) كذلك كان موقفهم من أصحاب الجمل^(٤)، وقد خطأ بعض المعتزلة معاوية بن أبي

(١) قال بعضهم: كان علي إماما في أيام أبي بكر وعمر، وإن الأمر كان له بنص النبي، وإن الأمة ضلت حين بايعت غيره، وقال البعض الآخر، كان أبو بكر الإمام بعد النبي صلى الله عليه وسلم، ثم عمر ثم عثمان، ثم علي، وإن الخلافة بعد النبي ثلاثون سنة. (الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ١٤٣ - ١٤٤).

(٢) اتهم النظام أبا بكر وعمر بالتناقض في أقوالهما، واعتبر من مطاعن عمر بن الخطاب إحياءه لسنة التراويح، ونفيه لشاعر المدينة الوسيم نصير بن حجاج إلى البصرة مخافة فتنة النساء، وطعن في فتاوى عثمان وعلي. (ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص ٢٠، ٢٤، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٣٣ - ١٣٥، ٣٠٤ - ٣٠٥، الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٦٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ٨٨ - ٨٩).

(٣) قال واصل بن عطاء: إنه لا يعرف هل كان عثمان هو المخطئ أم قاتلوه وخاذلوه، وقد أرجأ واصل ذلك إلى الله، وقال أبو الهذيل العلاف: «لاندوى قتل عثمان ظالما أو مظلوما» (الخصايط: الانتصار، ص ٩٧، الأشعري: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٣، البغدادى: المصدر السابق، ص ٩٩ - ١٠٠، المرجع السابق والجزء، ص ٢٧٨).

(٤) قال واصل بن عطاء: أحد الفريقين، المتخاصمين في الجمل وفي صفين مخطئ لا بعينه تماما كالتلاعنين، فإن أحدهما فاسق لا محالة، وأقل درجات الفريقين أنه لا تقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين، وبناء على ذلك فإنه لم يحكم بشهادة رجلين أحدهما من أصحاب الجمل، وقال: لو شهدت عندي عائشة وعلي وطلحة والزبير على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم، وقبل شهادة رجلين من أصحاب علي وشهادة رجلين من أصحاب طلحة والزبير. (البغدادى: المصدر السابق، ص ١٠٠، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص ٤٠، ابن المرتضى: المنية والامل، ج٢، ص ١٥٤، ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج١، ص ٦، الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٤، ص ٣٢٩ (تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٢٨هـ/ ١٩٦٣م)، وقال عمرو بن عبيد: لا أقبل شهادة الجماعة منهم. سواء كانوا من أحد الفريقين أو كان بعضهم من حزب علي وبعضهم من حزب الجمل، وبلغ من امتناعتهم إلى القول: لو شهد عندي علي وطلحة والزبير على شراك نعل ما أجزت شهادتهم. (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٠١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص ١٧٨، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين، ص ٤٠، الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٣، ص ١٧٥)، أما ضرار بن عمرو وأبو الهذيل العلاف ومعمّر بن عباد السلمى، فقد قالوا: نحن نتولى كل واحد من الفريقين على انفراد (الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ١٤٥).

سفيان ولم يقولوا بإمامته^(١).

ولم يسلم بعض الصحابة من سب المعتزلة^(٢)، وهم بذلك قد خالفوا الكتاب^(٣) والسنة الصحيحة^(٤) بطعنهم في الصحابة^(٥).

-
- (١) الأشعري: المصدر السابق والجزء والصفحة، القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ١٤٣.
- (٢) سأل أحدهم عمرو بن عبيد عن حديث للصحابي سمرة بن جندب فقال له: ما تصنع بسمرة؟، فيجيبه الله سمرة. (الخطيب البغدادي: المصدر السابق، والجزء، ص ١٧٦، الذهبي: المصدر السابق والجزء، ص ٢٧٤). ونال النظام من الصحابي حذيفة بن اليمان واتهمه بالكذب، وزعم أنه حلف لعثمان على أشياء ما قالها، وقد سمعوه قالها (ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص ٢٠)، وطعن النظام أيضا في أبي هريرة، وقال عنه: كان أكذب الناس، وأدعى أن عمرا وعثمان وعليا وعائشة رضى الله عنهم أكذبوه. (ابن قتيبة: المصدر السابق والجزء والصفحة، البغدادي: المصدر السابق، ص ١٣٣، وقالوا عن أبي موسى الأشعري: إنه من أصحاب الكبار وحكمه حكم أمثاله ممن واقع كبيرة ومات عليها. (ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج ١٣، ص ٣١٥ - ٣١٦، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي) الطبعة الثانية، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- (٣) قال الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم). سورة الفتح، آية: ٢٩).
- (٤) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) البخاري: صحيح البخاري، ج ٨، ص ٥، ٨).
- (٥) الشيباني: كتاب السنة، ج ٢، ص ٦٢٧ - ٦٢٨ (الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت) الفراء: شرح السنة، ج ١٤، ص ٧٠ (الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دار بدر، القاهرة)، البيهقي: الاعتقاد على مذهب السلف، ص ١٥٩ (صححه ونشره: أحمد محمد مرسى، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م).

٢. المعتزلة والفقهاء

اتهم المعتزلة الفقهاء والمحدثين في دينهم في وقت أن صارت لهم قوة في الدولة العباسية، واستغلوا نفوذهم في بلاط الخلافة، فأنزلوا بالفقهاء والمحدثين الاضطهاد والحبس، زمن الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق، وحملوهم على الأخذ بآرائهم وأقوالهم بالقوة^(١).

ولم يلق علم الكلام قبولا عند الفقهاء والمحدثين من السلف. فالغزالي يذكر أن الإمام الشافعي ومالك وأحمد وسفيان الثوري وجميع أهل الحديث من السلف ذهبوا الى حد تحريم الاشتغال بهذا العلم^(٢) والنفور منه^(٣)، وكانت حجتهم في ذلك أن هذا العلم لو كان من الدين لتكلم به الرسول، وأمر به وندب اليه ولما سكنت عنه الصحابة^(٤)، وكثيرا ما نرى المعتزلة يرومون بعض المحدثين بالجهل^(٥)، والكفر والتخشع لغير الله، والتقشف لغير الدين^(٦).

وإذا كان المعتزلة قد أسرفوا أيام سلطانهم في حرب الفقهاء والمحدثين، فإنه من الطبيعي أن يتخذ الفقهاء نفس الموقف، وأن يكيلو لهم الصاع صاعين حين تهيأت لهم الفرصة بعد زوال نفوذهم، وأفول نجمهم في عصر الخليفة المتوكل^(٧)، حيث أظهر

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٦٣٣ - ٦٤٩، القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٦٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٦٣ وما بعدها، محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١، ص ١٥٢، عبد الفتاح السرنجاوي: النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية، ص ٣٤ (القاهرة، ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م).

(٢) إحياء علوم الدين، ج ١، ص ٩٥ (القاهرة، بدون تاريخ).

(٣) قال الشافعي: لأن يلقي الله عبد بكل ذنب، ما خلا الشرك، خير من أن يلقاه بشئ من الكلام، وقال الإمام أحمد رحمه الله: لا يفلح صاحب الكلام أبدا، ولا ترى أحدا ينظر في الكلام إلا وفي قلبه مرض (طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ١٥٦).

(٤) الأشعري: رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام، ص ٨٨ (تحقيق: الأب مكارثي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٥٢م).

(٥) يقول الجاحظ: (وليس هؤلاء ممن يفهم تأويل الاحاديث، وأي ضرب منها يكون متأولا، وأي ضرب منها يقال إن ذلك هو حكاية عن بعض القبائل (الحيوان، ج ٤ ص ٢٧٩).

(٦) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٦٣٢.

(٧) الطبري: المصدر السابق، ج ٩، ص ١٥٤ - ١٥٥، ١٩٠، المسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٩١ (تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج ٧، ص ٢٣ (طبعة دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م).

الخليفة السنة ونهى عن القول بخلق القرآن، وأجرى الأرزاق على الفقهاء والمحدثين^(١).

وشن الفقهاء الغارة على المعتزلة، وحين سئل قاضى القضاة أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبى حنيفة عن المعتزلة قال: هم الزنادقة، ورد الشافعى قبول شهادتهم^(٢).

ويصف ابن عبد البر^(٣) المعتزلة بأنهم أهل البدع، ويقول عن كتبهم: إنها كتب أهل الأهواء.

وقال عبد الله بن المبارك^(٤): (إنا لنحكى كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكى كلام الجهمية^(٥))، وقال ابن كثير^(٦) فيما ذهب اليه المعتزلة إنه: «باطل ومردود».

وقد عرض الصاحب بن عباد^(٧) منصب قاضى القضاة على أحد قضاة الشافعية على

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص ٣٤٤، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٥٧-٣٥٨، تقى الدين المقدسى: المحنة (مخطوط) ج٣، ص ١٦٦، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٧٢، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٩٨-١٩٩.
(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٥١-٣٥٢.
(٣) جامع بيان العلم وفضله، ج٢، ص ١١٦-١١٧ (المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ).

(٤) يكنى أبا عبد الرحمن وهو من الفقهاء (ت ١٨١هـ/٧٩٩م)، وله من الكتب: كتاب السنن فى الفقه، وكتاب التفسير، وكتاب الزهد، وكتاب البر والصلة (ابن النديم: الفهرست، ص ٣١٩، جمال الدين القاسمى: موعظة المؤمنين، ج١ ص ٩٧ (تقديم وتحقيق: عاصم البيطار، دار النفائس بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/١٩٨١م).

(٥) الدارمى: الرد على الجهمية، ص ٨، (طبعة لندن، ١٩٦٠م)، الأشعرى: الابانة عن أصول الديانة، ص ٥٧، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول، ج١، ص ١٤٥.

(٦) الباعث الحثيث، ص ١٧٧ (تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).

(٧) هو إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، وزير غلب عليه الأدب فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتديرا وجوده رأى، استوزره مؤيد الدولة بن بويه ثم أخوه فخر الدولة، ولقب بالصاحب، لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد، فقبل له صاحب بن العميد، ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة. (ابن النديم: الفهرست، ص ١٩٤، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٦، ص ١٦٨ وما بعدها، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٢٠٦ ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٩٤-٩٥، الزركلى: الأعلام، ج١، ص ٣١٢-٣١٣.

شرط القول بالاعتزال، فامتنع وقال: لا أبيع الدين بالدنيا^(١).

وهذا ابن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ (٨٩٩م) يؤلف كتاب «تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء الحديث» ليرد على الشبهات والضلالات التي ارتقى فيها المعتزلة^(٢).

وألّف ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» صور فيه ظلم المعتزلة وضلالاتهم، فيقول: «فاعجبوا لتلاعب إبليس بهذه الفرقة الملعونة وسلوا الله العافية من أن يكلمكم إلى أنفسكم»^(٣).

وكتب أبو الحسن الأشعري^(٤) المتوفى سنة ٣٣٠هـ (٩٤١م) كتاب «مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين»، تناول فيه أصول المعتزلة بالنقد والطعن، ووصفهم في كتابه «الإبانة عن أصول الديانة»^(٥)، بقوله: «فإن الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم.

وهاجمهم البغدادى في كتابه «الفرق بين الفرق» وسماهم «المعتزلة عن الحق»، وسفه رجالهم^(٦)، وتناول الشهرستاني أقوالهم بالنقد^(٧)، أما الاسفرايينى فإنه يفصل مقالاتهم ويبين فضائحتهم في كتاب «التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين»^(٨).

ويصف الخطيب البغدادي أبو الهذيل العلاف بقوله: «كان خبيث القول فارق اجماع

(١) جمال الدين القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٩٢.

(٢) ص ١٣، (دار الجليل، بيروت، تحقيق: محمد ز هدى النجار، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٣م).

(٣) ج ٤، ص ١٥٢ وما بعدها (مطبعة صبيح، القاهرة ١٣٤٨هـ).

(٤) ج ١، ص ٢٤٩، ج ٢، ص ٥٢ وما بعدها.

(٥) ص ١٣.

(٦) عند ذكر البغدادى لواصل بن عطاء يقول: إن واصلا فارق السلف، وقال عن عمرو بن عبيد: إن جده من سبي كابل، وما ظهرت البدع والضلالات في الأديان إلا من أبناء السبابا، ويقول عن النظام: إنه كان ينظم الخرز في سوق البصرة، وخالط بعد كبره قوما من ملحدة الفلاسفة، ثم خالط هشام بن الحكم الرافضى (ص ٩٣، ٩٩ - ١٠١، ١١٣).

(٧) الملل والنحل، ج ١، ص ٤٩ - ٦٥.

(٨) ص ٢٧ وما بعدها.

المسلمين»^(١)، ويقول عن أحمد بن أبي دؤاد: «لولا ما وضع به نفسه من محبة المحنة لاجتمعت الألسن عليه»^(٢) وجاء في مقدمة «صحيح مسلم» أن عمرو بن عبيد كان يكذب في الحديث^(٣)، وقال أبو عبد الله أحمد بن حنبل «ما كان عمرو بن عبيد بأهل أن يحدث عنه»^(٤) ويصفه البستي بقوله: إنه رجل سوء، وصاحب بدعة^(٥)، ويقول عنه الدار قطنى: إنه داعية إلى بدعة^(٦). وحين يرد ذكر الجاحظ، يقول الذهبي: ليس بثقة ولا مأمون، وكان من أهل البدع^(٧).

آراء المعتزلة وموقف الفقهاء منها؛

يقول الفقهاء: قد نفت المعتزلة عن الله الصفات الأزلية، وفي نفى الصفة نفى الموصوف، كما أن فى نفى الفعل نفى الفاعل، وفي نفى الكلام نفى المتكلم^(٨)، ومن نفى صفات الرب عز وجل أو عطلها كذب تعطيله توحيده^(٩)، وأجمع أهل السنة على أن مآخذ أسماء الله تعالى وأوصافه ام من الكتاب أو السنة الصحيحة أو إجماع الأمة^(١٠)، وقالوا بإثبات الصفات وإبطال تعطيل من ذهب إليها^(١١).

(١) تاريخ بغداد، ج٣ ص ٣٦٦.

(٢) الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج٤، ص ١٤٢.

(٣) مسلم: ج١، ص ٢٢ - ٢٣ (الطبعة الأولى، عيسى الحلبي، ١٣٧٤هـ).

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٢، ص ١٨٥.

(٥) كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، ج١، ص ٨١ - ٨٣، ج٢، ص ٧٠ (تحقيق: محمد إبراهيم زايد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ).

(٦) الضعفاء والمتروكون، ص ٣٠٨ (تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، بدون تاريخ).

(٧) ميزان الاعتدال، ج٣ ص ٢٤٧ (تحقيق: على محمد البجاوى، طبعة عيسى الحلبي، مصر، ١٩٦٣م).

(٨) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٢٢، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ج١، ص ١٨٨ (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

(٩) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٢٧ (طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٠١).

(١٠) البغدادي: المصدر السابق، ص ٣٢٦، ابن حزم: الفصل فى الملل والأهواء والنحل، ج٢، ص ٦٥ (مطبعة صبيح، القاهرة، ١٣٤٨هـ).

(١١) الأمدى: غاية المرام فى علم الكلام، ص ٢٥ - ١٢١ (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، مطابع الأهرام التجارية).

ووقف الفقهاء موقف المعارض من قول المعتزلة بأن القرآن مخلوق، واتفقوا على أن كلام الله غير مخلوق^(١)، وقالوا: إن كلام الله الباري سبحانه قديم أزلي موجه بذاته، ليس بمخلوق ولا محدث، ومن قال إنه مخلوق فهو كافر لا محالة، وهو مكتوب في مصاحفنا، محفوظ في قلوبنا، مقروء بالسنننا، متلو في محاربنا، مسموع بأسماعنا^(٢).
وسئل الإمام أحمد بن حنبل عن قول القرآن مخلوق، قال: كافر، فقيل له: فابن أبي دؤاد؟ قال: كافر بالله العظيم^(٣)، وكان يقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق وإنه لم يخلق شيئاً إلا وقد قال له كن فيكون^(٤)، ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع^(٥).

يقول الأشعري: وقد احتجنا لصحة قولنا أن: القرآن غير مخلوق من كتاب الله - عز وجل - وما تضمنه من البرهان وأوضحه من البيان، ولم نجد أحداً ممن تحمل عنه الآثار، وتنقل عنه الأخبار، ويأتم به المؤمنون من أهل العلم يقول بخلق القرآن، وإنما قال ذلك رعاي الناس وجهها لهم^(٦)، ويرى ابن خلدون^(٧) أن البراهين العقلية والأدلة القطعية، شاهدة بطلان القول بأن القرآن مخلوق. وروى هشام بن عبد الله الرازي عن محمد بن الحسن أنه قال فيمن صلى خلف من يقول بخلق القرآن أنه يعيد الصلاة، وأشار الشافعي

(١) الأشعري: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، ص ١٥ (نشر وتصحيح الأب يوسف مكارثي، المطبعة الكاثوليكية بيروت، ١٩٥٢م)، ابن فورك: مشكل الحديث وبيانه، ص ٢٠٢ (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م)، الفراء: شرح السنة، ج ١، ص ١٨١ (تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وزهيرز الشاويس، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، دار بدر، القاهرة)، ابن تيمية: بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) الشافعي: الفقه الأكبر، ص ٢٠٧ (إعداد محمد محمود فرغلي، مؤسسة روز اليوسف، ١٤٠٦هـ)، الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٥٢، (الطبعة الأولى مطبعة حجازي، القاهرة، بدون تاريخ).

(٣) البلخي: البدء والتاريخ، ج ٥، ص ١٤٩ (طبعة ١٨٩٩م، طبع برطرن، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني ببغداد، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٥٣).

(٤) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص ٢٧.

(٥) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، ج ٢، ص ٣٠٧.

(٦) الابانة عن أصول الديانة، ص ٦١.

(٧) المقدمة، ص ٤٦٤ (دار العلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م).

الى بطلان من صلى خلف من يقول بخلق القرآن^(١)، وقال أهل السنة: إن كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل، وأنه غير مخلوق^(٢)، وكتاب الله هو القرآن بإجماع الأمة، فقد سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم المصحف قرآنا، والقرآن كلام الله^(٣)، وقال الشهرستاني: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والمخالفون لنا كالمعتزلة وافقونا على أن الذى فى أيدينا كلام الله وخالفونا فى القدم، وهم معجوبون بإجماع الأمة^(٤).

وحين جهر الزمخشري بالاعتزال، وافتتح كتاب «الكشاف» بقوله: «الحمد لله الذى خلق القرآن»، أصلحه أصحابه فكتبوا: الحمد لله الذى أنزل القرآن^(٥)، ولما أنكر النظام إعجاز القرآن وقال: فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله، ولم يعارضه العرب لأن الله صرفهم عن ذلك^(٦)، رد عليه الفقهاء بقولهم^(٧): إن القرآن معجز، قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الإنس والجن، فى نظمه وما فيه من الإخبار عن الغيوب، ودلالة ذلك قوله تعالى: «قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا»^(٨).

وقد نفى المعتزلة رؤية الله فى الآخرة كما أسلفنا، وسئل الشافعى عن قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة»^(٩)، قال: لما حجب الله قوما بالسخط دل على أن قوما يروونه بالرضا، سأله أحدهم: أو تدين بهذا يا سيدى؟ فقال: والله لو لم يوقن محمد بن إدريس

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٣٥١.

(٢) ابن حزم: الفصل، ج ٣، ص ٤.

(٣) ابن حزم: المصدر السابق، ج ٥، ص ٦، ١٠ - ١١.

(٤) الملل والنحل، ج ١، ص ١١٣ - ١١٤.

(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ١٧٧٠ (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان)، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، ج ٣، ص ١٦ (دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، بدون تاريخ).

(٦) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٢٨، القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٧٠، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٦٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٢٥.

(٧) البغدادى: المصدر السابق والصفحة، ابن حزم: الفصل، ج ٣، ص ١٠ - ١١، ج ٥، ص ١٠ - ١١ - ٦٠.

(٨) سورة الإسراء، آية: ٨٨.

(٩) سورة القيامة، آية ٢٢، ٢٣.

«الشافعى» أنه يرى ربه فى الميعاد لما عبده فى الدنيا، وهذا ابن حجر العسقلانى^(١) يورد ما عدده البيهقى من الأوجه اللغوية التى تفيد عبارة ناظرة فى كلام العرب منتهيا الى أن أولها بالقبول فى الآية هو نظر الرؤية^(٢)، ويقول الدارمى^(٣): نعم تنتظر ثواب ربها ولا ثواب أعظم من النظر الى وجهه تبارك وتعالى، ويوضح البيهقى أنه «لا يجوز أن يكون عنى نظر، الانتظار لأنه ليس فى شئ من أمر الجنة انتظارا لأن الانتظار فيه تنغيص وتكدير، والآية خرجت مخرج البشارة، وأهل الجنة فيما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(٤).

وأجاز الشافعى رؤية الله يوم القيامة^(٥)، ويتساءل مالك بن أنس: أين هم عن قوله تعالى: «كلا أنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون»^(٦)، فلو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الله الكفار بالحجاب^(٧).

ويقول البغدادى^(٨): «وأجمع أهل السنة على أن الله تعالى يكون مرئيا للمؤمنين فى الآخرة، وقالوا بجواز رؤيته على كل حال»، فالنظر لآى الثواب ليس بشواب ولا إنعام، ويكون فيه إبطال فائدة الإنعام^(٩).

ويقول ابن حزم: ذهب المعتزلة الى أن الله لا يرى فى الآخرة واحتج بقول الله تعالى: «لا تدركه الأبصار»^(١٠)، وأن الله تعالى إنما نفى الإدراك، والإدراك غير الرؤية، فهو

(١) البيهقى: مناقب الإمام الشافعى، ج١، ص ٤١٩ (دار التراث، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٩١هـ).

(٢) فتح البارى، ج١٧، ص ١٩٤ (مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة ١٣٧٨هـ).

(٣) الرد على الجهمية، ص ٥٧.

(٤) الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة، ص ٤٦ (صححه ونشره: أحمد محمد مرسى، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م).

(٥) يقول الشافعى: إن النظر المقرون بذكر الوجه بعد حرف الجر لا يجوز أن يراد به فى اللغة إلا النظر الذى هو الرؤية بالبصر. (الفقه الأكبر، ص ٢٨ - ٢٩، إعداد: محمد محمود فرغلى، مؤسسة روز اليوسف، ١٤٠٦هـ).

(٦) سورة المطففين، آية: ١٥.

(٧) الفراء: شرح السنة، ج٥، ص ٢٢٩.

(٨) الفرق بين الفرق، ص ٣٢٤.

(٩) الأمدى: غاية المرام، ص ١٧٧٦.

(١٠) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

بمعنى الإحاطة، والإدراك منفى عن الله على كل حال فى الدنيا والآخرة^(١). ويرى ابن تيمية أن هذه الآية تدل على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها^(٢).
وقد عقد الإمام البخارى فى كتاب التوحيد بابا ترجم له بقوله: «باب قوله الله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة»^(٣)، وقد أورد عددا من الأحاديث التى تثبت الرؤية^(٤)، ويقول الأشعرى: إن رؤية الله تعالى بالأبصار جائزة من باب القياس وليس فى اثبات الرؤية إثبات حدوثه^(٥).

وقال المعتزلة: إن استواء الله على العرش بمعنى استولى وملك وقهر^(٦)، وقد سأل مالك بن أنس عن الاستواء على العرش فقال: الاستواء معقول، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة^(٧)، وقال أحمد بن حنبل: نحن نؤمن أن الله تعالى على العرش استوى كيف شاء وكما يشاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصفون أو يحدها أحد^(٨).

وحين أنكر المعتزلة شفاعة النبى لأهل الكبائر^(٩)، تصدى البغدادى لهم بقوله: «والمنكرون للشفاعة يحرمون من الشفاعة»^(١٠)، وقد جاء عن أنس ابن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم، قال: «شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى»^(١١)، ويقول الأمدى: أما

(١) الفصل، ج٣، ص٢.

(٢) موافقة صريح المعقول، ج١، ص٢٣٢.

(٣) سورة القيامة، آية: ٢٢، ٢٣.

(٤) صحيح البخارى، ج٧، ص١٩٣.

(٥) الأشعرى: اللمع، ص٣٢.

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص٧٠، ابن حزم: الفصل، ج٢، ص٩٧.

(٧) الدارمى: الرد على الجهمية، ص١٤، ٢٧، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص٩٢، (تحقيق: مفيد

محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، البيهقى:

الاعتقاد على مذهب السلف، ص٤٣.

(٨) ابن قيم الجوزية: اجتماع الجيوش الإسلامية، ص٨٢.

الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص١٦٦.

(٩) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص١٦٦.

(١٠) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص٣٣٩ - ٣٤٠.

(١١) البخارى: المصدر السابق، ج٨، ص١٥٩، مسلم: صحيح مسلم، ج١، ص١٩٥.

انكار الشفاعة للمذنبين العصاة من المسلمين فذلك إنما هو فرع مذهب أهل الضلال^(١). وقد نفى المعتزلة عذاب القبر^(٢)، وقال أهل السنة بإثبات السؤال، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقطعوا بأن المنكرين لعذاب لقبر بعدون في القبر^(٣)، ويقول الشافعي: «واعلموا أن عذاب القبر لمن يكون من أهل العذاب، والدليل قوله تعالى: «النار يعرضون عليها غدوا وعشيا»^(٤)، ومعلوم أنهم لا يعرضون على النار قبل الموت وهم على ظهر الأرض، وفي القيامة لا غدو ولا عشي»^(٥). وهذا يبطل اعتقاد المعتزلة أن الجنة والنار ليستا مخلوقتين الآن، إذ لا فائدة وجودهما وهما جميعا خاليتان ممن ينتفع بهما^(٦)، فلا سبيل الى إنكار عذاب القبر، واستبعاد ذلك على أنه غير محسوس من الميت، فمن أدرك بعقله حال النائم في منامه، ما يناله من اللذة والألم بسبب ما يشاهده من حسن أو قبيح، مع ما هو عليه من سكون ظاهر جسمه وخمود جوارحه^(٧).

وقد أنكر المعتزلة حد شارب الخمر، وزعم جعفر بن مبشر أن إجماع الصحابة على حد شارب الخمر كان خطأ^(٨)، ويقول ابن حجر: استقر الإجماع على ثبوت حد الخمر^(٩).

فضائل المعتزلة ودفاعهم عن الإسلام:

لا شك في أن المعتزلة بعثوا في القرن الثاني الهجري حركة فكرية، تقبلها كثير من الباحثين، لا في البصرة ويغداد وحدهما، بل في بعض العواصم الإسلامية الأخرى^(١٠).

(١) غاية المرام، ص ٣٠٦.

(٢) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢ ص ١١٦.

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٣٩، البيهقي: الاعتقاد على مذهب السلف، ص ١١١، الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد، ص ٩٧.

(٤) سورة غافر، آية: ٤٦.

(٥) الفقه الأكبر، ص ٦٢ - ٦٤.

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٩.

(٧) الأمدى: غاية المرام، ص ٣٠٤.

(٨) البغدادي: المصدر السابق، ص ١٥٣، ابن المرتضى: النية والأمل، ج ٢، ص ١٦٢.

(٩) فتح الباري: ج ٥، ص ٨٠.

(١٠) إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج ٢ ص ٣ (دار المعارف، ١٩٨٣ م).

وتصدى علماء الكلام لتسفيه الزنادقة والرد عليهم^(١). وكثيرا من التهم التى وجهت الى المعتزلة لم تصدر عن إنصاف، بل كان التحيز رائد المتهمين، فالمعتزلة فيهم خير كثير، ولو انتمى اليهم بعض المتهمين فى دينهم^(٢). تفرق اتباع واصل بت عطاء فى الأقطار الإسلامية رادين على أهل الأهواء، ولم يكن أحد أعلم بكلام غالبية الشيعة، ومشاركة الخوارج، وكلام الزنادقة، والدهرية والمرجئة وسائر المخالفين منه^(٣)، وقد وقف واصل موفق المعارض لإلحاد بشار بن برد^(٤). وكان واصل بن عطاء بقضى الليل يتعبد ويقرأ القرآن، وكان يجلس فى سوق الغزالين ليتصدق على من يغشاه من النساء المتعففات^(٥)، وقد قال عمرو بن عبيد عن واصل، رحم الله واصلًا: كان رأسا وكنت له ذنبا، والله ما رأيت أعبد ولا أزهى ولا أعلم من واصل، ولقد صحبت واصلًا بن عطاء ثلاثين سنة، ما رأيته عصى الله قط^(٦). أما عمرو بن عبيد فقد كان حربا على الزنادقة والملحد^(٧)، وكان صديقا لبشار بن برد فلما علم منه الزندقة سعى فى نفيه من بغداد، ولم يعد إليها الا بعد موت عمرو بن عبيد^(٨)، وكان أعلم الناس بأمور الدين والدنيا^(٩)، وقد كان الخليفة المنصور يطلب منه

(١) الخياط: الانتصار، ص ٨١، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى فى العصر العباسى، ص ٩١.

(٢) محمد ابو زهرة: أبو حنيفة، ص ١٧٢.

(٣) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٣٤، ٢٣٧٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٤، ٣٥.

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٦، المبرد: الكامل فى اللغة والأدب، ج ٢، ص ١٤٤، الأصفهاني: الأغاني، ج ٣، ص ٩٩٢، الشريف المرتضى: الأمالى، ج ١، ص ١٤٠، الحصرى: زهر الآداب، وثمرة الألباب، ج ٢، ص ٤٧٣، ياقوت: معجم البلدان، ج ١٩، ص ٢٤٥.

(٥) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٣٦، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٣، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٢٢٥، طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج ٢، ص ١٦٣، محمد عمارة: المعتزلة: (مقالة بمجلة الكويت، العدد، ١٨، ص ٣٠).

(٦) ابو القاسم البلخى: فضل الاعتزال، ص ٦٧.

(٧) الأصفهاني: الأغاني، ج ٣، ص ٩٩٣، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ١١٥ - ١١٧.

(٨) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٦٧.

(٩) حج عمرو بن عبيد أربعين سنة ماشيا، وبغيره يقاد معه يركبه الفقير والمنقطع به، وكان يحبى الليل فى ركعة، فعل ذلك غير مرة فى المسجد الحرام. (ابو اقسام البلخى: المصدر السابق، ص ٦٨، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٦٨، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٣٨ - ٣٩).

الموعظة فيعظه^(١)، قال له المنصور يوما: يا أبا عثمان أعنى بأصحابك. قال يا أمير المؤمنين، أظهر الحق يتبعك أهله^(٢)، قال الخليفة المنصور بعد موت عمرو بن عبيد: ما بقى على الأرض أحد يستحى منه^(٣).

وهذا أبو الهذيل العلاف أسلم على يديه أكثر من ثلاثة آلاف رجل من المجوس والثنوية ببراغته في المناظرة^(٤)، وكان أكثر المعتزلة يميلون الى الزهد، وقد شاع ذلك عنهم حتى أطلق على المعتزلة البغداديين اسم «نساك بغداد»^(٥).

وكان المقدسى ينظر الى الاعتزال كمذهب من مذاهب الكلام غير منفصل عن السنة^(٦)، والغزالي يعد المعتزلة من أرباب الاجتهاد فى الدين، وكل مجتهد مأجور^(٧).

ويروى أن الإمام أبا حنيفة كان يقول بخلق القرآن^(٨)، وقد سئل الكرابيسى^(٩) عن لفظ

(٦) ابن قتيبة الدينورى: عيون الأخبار، ج٢، ص ٣٣٧ (طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص ١٦٦، ابن خلكان: المصدر السابق، ج٣، ص ١٣١.

(٧) الحصرى: زهر الآداب، ج١، ص ١٠٣.

(١) ابو القاسم البلخي: فضل الاعتزال، ص ٦٧.

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٤٤.

(٣) سمى المراد، (راهب المعتزلة) لورعه، وضرب المثل بالجعفرين (جعفر بن مبشر، وجعفر بن حرب) كما يضرب فى حسن السيرة بسيرة العمرين، ومنهم موسى الأسوارى الذى فسر القرآن ثلاثين سنة، ومنهم أبو الحسن على بن عيسى، صاحب التفسير والعلم الكثير، وكان يقال له: على الجامع، لأنه جمع علوم الكلام والفقه والقرآن والنحو واللغة (الخطيب: الانتصار، ص ٨١-٨٢، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١ ص ٥٤، ٦٠، ٦٢، ٩٢).

(٤) أحسن التقاسيم، ص ٣٧ (ليدن، ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م).

(٥) المنقذ من الضلال، ص ٣٨ (دمشق ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م).

(٦) الأشعرى: الإبانة عن أصول الديانة، ص ٥٧.

(١) هو ابو على الحسين الكرابيسى (ت ٢٤٨هـ) صاحب الإمام الشافعى، ونسبته الى الكرابيس، وهى الثياب الغليظة التى كان يبيعها، وكان عارفا بالحديث والفقه، ومن كتبه: كتاب المدلسين فى الحديث، وكتاب الإمامة (ابن النديم: الفهرست، ص ٢٥٦ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٣، ص ٤٤١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ٣٩٩، الصفدى: الوافى بالوفيات، ج١٢، ص ٤٣٠ (تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار النشر فرانز شتايسنر بفسبادن، طبعة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢ ص ٢٧ (طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ/ ١٦٦٣م)، الزركلى: الأعلام، ج٢، ص ٢٦٦.

الانسان بالقرآن فقال إنه مخلوق^(١)، وكان الإمام البخارى أحد كبار الشيوخ فى الحديث يرى رأى الكرايسى فى أن لفظ الإنسان بالقرآن مخلوق^(٢).

طبق المعتزلة الحرية فى بحثهم ودرسهم وفى حوارهم وجد لهم ، فذهبوا إلى آراء جديدة وغريبة، وقالوا بما لم يجرؤ أحد غيرهم أن يقوله^(٣)، وقد أيد الامام محمد عبده المعتزلة تأييدا شديدا فيما ذهبوا اليه من حرية الفرد واختياره^(٤).

وهم رواد وصناع (علم الكلام الإسلامى) وهم الذين أسسوا فلسفة أمتنا على قواعد الدين وأصوله، بينما تناقضت الفلسفة مع الدين فى الحضارة الغربية^(٥)، وقد قاموا بالدفاع عن الإسلام ضد خصومه.

(١) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٢٧١، البلخى: البدء والتاريخ، ج ٥، ص ١٤٩ (مطبعة برطرنند، ١٨٩٩م، اعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد)، الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٦٤ - ٦٥، الصفدى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٢) ابن قيم الجوزية: الصواعق المرسلة، ج ٢، ص ٣٠٦ - ٣٠٨.

(٣) إبراهيم مدكور: فى الفلسفة الإسلامية، ج ٢، ص ١٠٣.

(٤) رسالة التوحيد، ص ٥١ - ٥٦، إبراهيم مدكور: المرجع السابق والجزء ص ٤٥.

(٥) محمد عمارة: الدين والدولة، ص ٢٠٩ (الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٦م).

٣. المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقي

بدأت حركة الترجمة فى عهد الدولة الأموية^(١)، فقد أمر خالد بن يزيد بن معاوية^(٢) بإحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كانوا بمصر واتفقوا العربية، وأمرهم بنقل الكتب من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى، وهذا أول نقل فى الإسلام من لغة الى لغة^(٣) وقد بقيت الترجمة زمن الأمويين محاولات فردية لم تحن منها الثقافة العربية كبير فائدة^(٤). نشطت حركة الترجمة فى عهد الدولة العباسية، ونالت التشجيع من الخلفاء والوزراء والأثرياء^(٥)، وكان الخليفة المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ / ٧٥٣ - ٧٧٤ م) أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والعجمية بالعربية، ككتاب كليلة ودمنة، وإقليدس^(٦)، ومن أهم المترجمين فى أيامه البطريق وابنه أبو زكريا يحيى بن البطريق^(٧)، وقد نقل المنطق الى العربية فى عهد الخليفة المنصور، وذلك راجع الى حاجة المسلمين الملحة اليه. لأن المتكلمين من المسلمين كانوا يرغبون فى التسليح ضد خصومهم ممن كانت لهم دراية بالمنطق وبالفلسفة اليونانية^(٨)، وانبرى المعتزلة المسلمون بالمنطق والفكر الإغريق الى منازلة الفرق الأخرى التى كانت تعتمد على القديم فى فكرها وأسانيدها^(٩).

- (١) مجيد عبد الحميد ناجى: الأثر الإغريقى فى البلاغة العربية من الجاحظ - إلى ابن المعتز، ص ٣٩ (مطبعة الآداب، النجف، ١٩٧٦، العراق).
- (٢) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان (ت ٩٠ هـ / ٧٠٨ م) حكيم قريش وعالمها فى عصره، اشتغل بالكيمياء والطب والنجوم. (ابن النديم: الفهرست، ص ٣٣٨، ٤٩٧، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ١١، ص ٣٥، الزركلى: الأعلام، ج ٢، ص ٣٤٢).
- (٣) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٣٨ - ٣٤٠، ٤٩٧، ياقوت: المصدر السابق والجزء والصفحة.
- (٤) مصطفى عبد الحميد: نظرية الجاحظ فى الترجمة (مقالة بمجلة المورد، العراق، ص ٤٣، المجلد السابع، العدد الرابع، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م).
- (٥) أحمد شلبى: التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج ٣، ص ٢٣١، (الطبعة الرابعة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٣ م).
- (٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦٩.
- (٧) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٤٠، مصطفى الغرابى: تاريخ الفرق الإسلامية، ونشأة علم الكلام عند المسلمين، ص ١٤٥، ١٤٥، (مطبعة السعادة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٨ م).
- (٨) أبو الوفاء التفازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص ٢٣ (طبعة دار الثقافة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٩ م).
- (٩) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ٢٨١.

ويذكر ابن خلدون^(١) أن من الكتب التي أرسلها ملك الروم إلى أبي جعفر المنصور كتاب إقليدس، وبعض كتب الطبيعات، فقرأها المسلمون، واطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها.

ولما كان زمن الخليفة هاورن الرشيد كان لوقوع بعض المدن الرومانية الشرقية في حوزة الخلافة أثر كبير في نشاط حركة الترجمة في عهده، فأمر بترجمة ما وصل إليه من كتب اليونان، كما شجع البرامكة في أيامه المترجمين بإغداق العطايا عليهم^(٢)، وكان البرامكة يرسلون الرسل لشراء مخطوطات إغريقية من الإمبراطورية البيزنطية^(٣)، وزاد نشاط الترجمة بعد تأسيس الرشيد لمدرسة جديدة للترجمة هي بيت الحكمة، ثم تنشيط المأمون لها^(٤)، وكانت تضم خزانة للكتب وداراً للعلم وداراً للترجمة^(٥). وقام المسلمون بتوسيعها وتدعيمها، وكان المأمون يعطي حنين بن إسحق من الذهب وزن ما ينقله من الكتب اليونانية إلى العربية مثلاً بمثل^(٦)، وكانت دار الحكمة مركزاً من أهم مراكز الثقافة اليونانية ونشرها بين العرب الذين أقبلوا عليها في ذلك الحين إقبالاً منقطع النظير، وشجعهم على ذلك إقبال الخليفة نفسه^(٧)، ومنح الرشيد العلماء الكثير من الحرية والتكريم، فقد منح مرة أحد العلماء مائة ألف درهم^(٨).

(١) المقدمة، ص ٤٨٠ (نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة، مصطفى الغرابي: تاريخ الفرق الإسلامية، ونشأة علم الكلام عند المسلمين، ص ٢٦٤)

(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي، ج ٢، ص ٢٧٢ - ٢٧٣، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، ص ٢٠٦ - ٢٠٧، محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٢١٩ (٣) أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص ٢٤٩ (ترجمة: تمام حسان، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، نشر عالم الكتب).

(٤) أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص ١٨١، موافى: التيارات الأجنبية في الشعر العربي، ص ١١٨ (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٣م)، وديعة النجم: الشعر في الحضارة العباسية، ص ٢٦، (الكويت، شركة كاظمة، ١٩٧٧م).

(٥) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص ٢٧٣

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص ٤٠٩ - ٤١٠، أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج ١، ص ٣٧٧ (٧) أوليري: مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب، ص ٢٤٩، بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ج ٢، ص ٢٨ (ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٣م)، ماكس مايرهوف: بحث في تاريخ الفلسفة، ص ٥٨ (ضمن كتاب التراث اليوناني، ترجمة: عبد الرحمن بدوي).

(٨) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٨٥

ويعتبر عصر المأمون هو عصر الأزدهار العلمى الذى نشطت فيه حركة الترجمة نشاطا واسع النطاق^(١)، وترجمت فى هذا العصر كتب الفلسفة الميتافيزيقية، والأخلاقية، والنفسية^(٢)، وكان المأمون أول من فحص علوم الحكمة وحصل كتبها وأمر بنقلها الى العربية^(٣).

وقد كان مجلس المأمون عامرا بأنواع المتكلمين، وأمر بترجمة كتب اليونان، وأحضر لها المترجمين من البلاد فترجمت واشتغل بها الناس^(٤)، وقد ترجم فى عهد المأمون كثير من الكتب اليونانية نذكر منها: الحكم الذهبية. فيثاغورس، وبعض مصنفات لأبقراط وجالينوس، وكتاب السياسة لأفلاطون، وكتاب المقولات والطبيعيات لأرسطو^(٥). ولم يمض وقت طويل حتى وجد الطلاب من العرب أنه قد تيسر لهم الطلاع فى العربية على الشطر الأكبر من مؤلفات جالينوس وأبقراط وبطليموس وإقليدس وأرسطو وغيرهم^(٦).

وكان المأمون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى أيامه ويرغبهم فى تعلمها، ومن ثم تقدمت الحركة العلمية فى عهده، وتنافس أولو النباهة من العلماء والفقهاء والمحدثين والأدباء والشعراء فى تحسين إنتاجهم، فأجزل لهم العطاء^(٧).

كما أن ميل المأمون الى الفلسفة واتساع دائرة معارفه العامة، وتأثره بمذهب الاعتزال دفعه الى ايجاد حركة نقل وتأليف قوية مما أدى الى إقبال العرب وغيرهم على تلك

(١) الديمري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص ٧٢ (المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٩ م)، (على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامى العام، ص ٤١٠ مكتبة النهضة المصرية، بدون تاريخ)، بروكلمان: المرجع السابق، ج٢، ص ٣٩

(٢) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٩٨ وما بعدها، محمد البهى: الجانب الإلهى فى التفكير الإسلامى، ج١، ص ٢٧٥ - ٢٧٦ (طبعة القاهرة، ١٩٤٨ م).

(٣) ابن الطقطقى: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص ٢١٦ (طبعة دار صادر، لبنان، بدون تاريخ).

(٤) ابن قيم الجوزية: مختصر الصواعق المرسلة، ج١، ٢٣١ (مكة المكرمة، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م)، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٦٣

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٤٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج١، ص ٢٧٨، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٨

(٦) أوليرى: علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب، ص ٢٢٧

(٧) جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ٢٠٩

المؤلفات^(١)، أن تولد عندهم علم الكلام، والفلسفة الأفلاطونية الجديدة^(٢)، وكثير الوراقون، وباعة الكتب، وأصبح هم الناس البحث والمطالعة^(٣).
أرسل الخليفة المأمون الى ملك الروم - ليوالأرمني^(٤) - يطلب منه أن يبعث اليه بكتب العلوم المخزونة لديه، وخصص بعثة علمية لذلك^(٥)، وأرسل أيضا الى قبرص يطلب كتباً يونانية من هناك^(٦)، ويبدو أن بعثات الكشف عن كنوز الكتب لم تترك مكاناً أينعت فيه الثقافة الهلينية إلا ذهبت اليه^(٧).

وقد قام بالترجمة في البداية مسيحيون ويهود وغيرهم من دخلوا في الإسلام^(٨)، ولكن العبء الأكبر من الترجمة تحمله السريان^(٩)، وكان نصارى السريان يساهمون في نشر الأفلاطونية الحديثة بالعراق وما حوله، وكانوا يترجمون من اليونانية الى السريانية ثم يقوم آخرون بالترجمة من السريانية للعربية^(١٠)، والترجمة عن طريق السريانية فوتت على

(٩) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص ٧٢، أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج١، ص ٣٧٧
(١٠) تنسب إلى أفلاطون، وقد قامت في القرن الأول قبل الميلاد وفي القرنين الأول والثاني الميلاديين، وتعمل على الفصل التام بين المبدع الأول وبقية الموجودات (عبد الرحمن بدوي: خريف الفكر اليوناني، ص ١٠٩، الطبعة الخامسة، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٩٧٩م).

(٢) جرجي زيدان: التمدن الإسلامي، ج٣، ص ١٦١
(٣) ليو الأرمني (٨١٣ - ٨٢٠م) ينتمي إلى أقاليم آسيا الصغرى التي اشتهرت بمن يخرج منها من العسكريين الذين اشتهروا بالكفاية الحربية والتعصب ضد عبادة الصور المقدسة، وينتمي إلى أصول شرقية (السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص ٢٢٢، دار النهضة المصرية ١٩٦٠م).

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٣٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٢، ص ٦٣، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٧، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص ٢٧٢، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٤٨، محمد الحضري: الأمم الإسلامية، ص ٢٢٠، على إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام، ص ٤١٠

(٥) ابن نباتة: سرح العيون، ص ١٣٣ (طبعة الإسكندرية، المطبعة الوطنية، ١٢٩٠هـ)، سرور: المرجع السابق، ص ٤٦ (طبع ونشر دار الفكر العربي، ١٩٧٨م)، فيليب حتى: تاريخ العرب، ص ٢٧٨ (دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الخامسة، بيروت، ١٩٧٤م).

(٦) حسن أحمد محمود: المرجع السابق والصفحة

(٧) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٧٤، موافى: التيارات الأجنبية، ص ١١٨

(٨) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٢، ماجد: العصر العباسي الأول، ج١، ص ٣٥١، موافى: المرجع السابق والصفحة.

(٩) دي بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ٢٨

العرب الاطلاع على كثير من جوانب الثقافة اليونانية التي لم تكن قد نقلت الى السريانية، واكتفى المترجمون بنقل ما توفر لديهم منها^(١)، وكان الاعتماد تاما على السريانية فى بداية الاهتمام بالترجمة، واستمر ذلك حتى تمكن من دخولوا الإسلام من العربية ثم صارت الترجمة الى العربية مباشرة، فكان حنين بن إسحق مثلاً يترجم فى عهد المتوكل الى السريانى وإلى العربى^(٢)، ويبدو أن هذه الوساطة السريانية فى الترجمة كانت تتم فى النقل عن الاغريقية فقط، فقد ترجم عن الفارسية مباشرة من أجناد اللسانين العربى والفارسى^(٣).

ومن أشهر المترجمين فى عهد المأمون حنين بن إسحق^(٤)، الذى رحل فى بداية حياته الى بلاد الروم حيث تعلم اليونانية ثم عاد الى البصرة ولازم الخليل بن أحمد فأخذ عنه العربية، وكان حنين بن إسحق يجيد أربع لغات وهى الفارسية واليونانية والسريانية، ومن أهم ما أمتاز به الترجمة من اليونانية الى العربية والسريانية^(٥)، وقد أسند المأمون له الإشراف على دار الحكمة^(٦).

ومن أشهر المترجمين أيضاً ثابت بن قرة^(٧)، وقسطا بن لوقا، وكان جيد الترجمة يتقن

(١) ودیعة النجم: الشعر فى الحاضرة العباسية، ص ٢٦
(٢) القفطى: أخبار العلماء، ص ١١٨، ابن أبى أصيبعة: عیون الأنباء، ص ٥٧ (تحقیق: نزار رضا، بیروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاریخ).

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٤١ - ٣٤٢، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ٢٧٣
(٤) هو حنین بن إسحق العبادى (ت ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م)، طیب مترجم أفاد العربية بما نقله إليها من كتب الحكمة وشروحها. (ابن النديم: المصدر السابق، ص ٤٠٩ - ٤١٠، ابن أبى أصيبعة: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠١، الزركلى: الأعلام، ج ١، ص ٢٨٦).

(٥) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٤٠٩، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٧ - ٢٠٨، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٢، أولیری: علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ص ٢٢٤، ماكس مايرهوف: بحث فى تاریخ التعليم الفلسفى، ص ٥٨، (ضمن كتاب التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الرحمن بدوى).

(٦) حسن إبراهيم حسن: تاریخ الإسلام السياسى، ج ٢، ص ٢٧٤، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٨، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ٢٧٣

(٨) ثابت بن قرة الحرانى الصابى (ت ٢٢٨ هـ / ٩٠٠ م) طیب وفيلسوف ولد بحران بين دجلة والفرات، واتصل بالمعتضد الخليفة العباسى، وكانت له عنده منزلة رفيعة، وكان يحسن السريانية فترجم عنها كثيراً إلى العربية. (ابن النديم: الفهرست، ص ٣٨٠، ابن أبى أصيبعة: عیون الأنباء، ج ٢، ص ٣١٥ - ٢٢٠، الزركلى: الأعلام، ج ٢، ص ٨١)

العربية واليونانية والسريانية^(١)، وأبى يعقوب بن إسحق الكندي المسمى فيلسوف العرب، وقد كان أول مسلم أتقن علوم اليونان إلى حد يدعو إلى الدهشة^(٢)، ومن المترجمين عبد المسيح بن ناعمة^(٣)، ومن ترجمته كتاب إقليدس، ثم أصلح هذه الترجمة فيما بعد ثابت بن قرة الحراني^(٤).

ومن أشهر المترجمين أيضا: الحجاج بن مطر، وقد ترجم كتاب الأصول في الهندسة لإقليدس^(٥)، وكتاب المجسطى لبطليموس^(٦).

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين، بل اهتم جماعة من الأثرياء في عهد المأمون بنقل كثير من الكتب إلى العربية، ومن هؤلاء: بنو شاعر المنجم^(٧)، الذين عهدوا إلى حنين بن إسحاق بالذهاب إلى بلاد الروم، فأحضر إليهم كثيرا من طرائف الكتب والمصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب^(٨).

وقد ترجم في عهد المأمون كثير من الكتب اليونانية نذكر منها: الحكم الذهبية لفيثاغورس، وبعض مصنفات لأبقراط وجالينوس، وكتاب السياسة المدنية لأفلاطون،

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٤١٠ - ٤١١

(٢) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٤٠ - ٣٤١، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٣ - ٢٧٤، على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص ٧٣، ماكس مايرهوف: بحث في تاريخ التعليم الفلسفي، ص ٥٩

(٣) هو عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي - كان متوسط النقل والترجمة - وهو من مترجمي الطبقة الثانية عاش سنة (٢٢٠هـ / ٨٣٥م) (ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٤١، ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ج١، ص ٣٨٠، أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج١، ص ٣٧٩)

(٤) ابن النديم: المصدر السابق والصفحة، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٢٧٥

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٧١

(٦) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٧٤، أوليري: علوم اليونان وسبل انتقالها للعرب، ص ٢١٥

(٧) بنو شاعر هم: محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاعر، وكانت لهم همم عالية في تحصيل العلوم القديمة، وكتب الأوائل، وأتعبوا أنفسهم في شأنها، وأنفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها لهم، وأحضروا النقلة من البلاد والأماكن البعيدة وبذلوا لهم المال. (ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٧٨ - ٣٧٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص ٢٤٧) تحقيق محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة، ١٩٤٨م.

(٨) ابن النديم: المصدر السابق، ٣٤٠، جمال الدين سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٠٨، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي ٢٧٢، محمد الخضري: تاريخ الأمم الإسلامية، ص ٢٢٠

وكتاب المقولات والطبيعات لأرسطو^(١).

والحقيقة أن الترجمة والنقل لا تقل أهمية عن الابتكار، إذ لو أن بحوث أرسطو وجالينوس وبطليموس فقدت ولم تصل إلى الناس لأصبح العالم فقيرا في العلم^(٢).

أثر الترجمة عن الإغريقية في الاعتزال؛

لقد فتح المعتزلة النافذة الأولى التي دخل منها فلاسفة المسلمين إلى علوم اليونان، إذ دفعهم الجدال إلى استقراء الكتب اليونانية المترجمة إلى العربية مباشرة أو عن طريق غير مباشر^(٣)، وعمل المعتزلة على التوفيق بين الدين الإسلامي وبين الفلسفة اليونانية وذلك جعلهم يتأثرون بالفلسفة كثيرا، ويصبغون بها معظم أقوالهم^(٤).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن المسلمين لم يقدموا حتى أيام الخليفة المأمون على ترجمة كتب الفلسفة لانهاهم أصحابها بالكفر والزندقة، فلما قال المأمون بالاعتزال، أمر بنقل كتب الفلسفة من اليونانية إلى العربية، فتلقى المعتزلة تلك الفلسفة تلقى الظمان لموارد الماء^(٥)، وقد ساعدتهم هذه الترجمة على مطالعة الفكر اليوناني، وقدمت لهم ما يلزم من براهين للدفاع عن التوحيد كما فهموه^(٦).

وتأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية في آرائهم، وأخذوا عنها كثيرا في استدلالاتهم. فظهرت في أدلتهم ومقدمات أقيستهم^(٧)، ولم يكن تأثير الفكر الإغريقي في الشكل

(١) ابن النديم: المصدر السابق، ص ٣٤٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ١، ص ٢٧٨، جمال الدين سرور: المرجع السابق والصفحة.

(٢) حتى: تاريخ العرب، ص ٤٥٨ (ترجمة مبروك، نافع، القاهرة، ١٩٥٣ م).

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٩٥، إبراهيم أحمد العدوي: تاريخ العالم الإسلامي، ج ١، ص ٢٣٩ (الناشر مكتبة الأنجلو ١٩٨٣ م، مطبعة جامعة القاهرة).

(٤) أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ج ١، ص ٤٦٩، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة العباسية، ص ١٤٨ (مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥، المطبعة التجارية بالقاهرة)، جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، ج ٣، ص ١٦٠ (دار الهلال ١٩٥٨ م).

(٥) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١١١.

(٦) محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ج ١، ص ١٤٥ (دار الفكر العربي، ١٩٧١ م).

فحسب، بل كان تأثيره موضوعيا، فقد أثرت الفلسفة الإغريقية فى تعاليم المتكلمين^(١). وكان المعتزلة أكثر الطوائف الإسلامية تمثلا للفلسفة اليونانية واستخدما لها فى جدلهم الدينى^(٢). قامت المعتزلة بالاستعانة بما استعانت به الأديان المحيطة بها كلها من أسلوب متين، وطريق فلسفى، لإبراز ما كمن فى الدين من الفضائل، فحلت المعتزلة من تاريخ الإسلام محل المدافعين عن حوزة المسيحية فى أول أمرها^(٣)، وقد عرف استخدام الفلسفة فى تفسير الدين وتأنيده باسم علم الكلام، وعرف الذين استخدموا الفلسفة هذا الاستخدام باسم المتكلمين^(٤).

وكان القائمون بعلم الكلام يعملون بأدوات إغريقية، فكانت المصطلحات الإغريقية، ولكنهم كانوا يسلمون بالمقدمات الأساسية الإسلامية، التى كان الفلاسفة يرفضونها^(٥)، وحاول علماء الكلام وهم مؤمنون بالقرآن أن يعبروا بعبارات تتطابق مع مبادئ الفلسفة^(٦).

استطاع المعتزلة بمقدرة فائقة أن يلائموا بين الثقافة الإسلامية الواضحة والثقافة الهلينية المعقدة، وأن يعرضوا العقيدة الإسلامية فى صورة مقبولة لدى المثقفين الأعاجم^(٧).

-
- (١) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ٢٧٦
(٢) حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسى، ج ٣، ص ٢٤٥، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ٩٣، بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج ٤، ص ٢٣ (ترجمة: السيد يعقوب بكر، ورمضان عبد التواب الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٧٧ م).
(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ١، ص ٢٣٦، ٢٦٠، ج ٣، ص ٨، نبيج: مقدمة كتاب الانتصار، ص ٥٨
(٤) عرف الفارابى علم الكلام أنه: صناعة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التى صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل (إحصاء العلوم، ص ٦٩، تحقيق عثمان أمين، القاهرة، ١٩٣١ م) ويعرف الغزالى علم الكلام بأنه: حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة (المنقذ من الضلال، ص ٦، طبعة دار الكتب الحديثة، ١٣٨٥ هـ)، عامر النجار: علم الكلام، ص ٧ - ١٥ (طبعة دار المعارف، الطبعة الأولى، ١٩٨٥ م).
(٥) هاملتون جب: دراسات فى حضارة الإسلام، ص ٢٧٦، ٤١٢ (ترجمة: احسان عباس، محمد نجم، محمود زايد، نشر دار العلم للملايين مع مؤسسة فرانكلين للطباعة، ١٩٦٤ م) ديور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ص ٣١٦ (ترجمة: عبد الهادى أبو ريدة، الطبعة الرابعة، ١٩٥٧ م)
(٦) أولبرى: الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، ص ٢٢١ (ترجمة: تمام حسان، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومى، نشر عالم الكتب).
(٧) عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ١١٦

HANILTON, A. R. MOHAMEDANSIM, P P. 88 - 89 (MENTOR, 1955).

وقد دفع المعتزلة الى دراسة هذه الفلسفة نههم العقلى، وشغفهم الفكرى، ولأن الفلاسفة وغيرهم قد هاجموا بعض المبادئ الإسلامية، فتصدوا للرد عليهم، واستخدموا بعض طرقهم فى النظر والجدل فكانوا بحق فلاسفة المسلمين^(١).

وقد شغف الخليفة المأمون بالفكر الإغريقى شغفا كان يشغله حتى فى نومه^(٢).

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن نصارى المناطقة وفلاسفتهم قد أدركوا فى وقت مبكر أن نقل هذه الفلسفة الى المسلمين هو إحدى وسائلهم لتقويض العقائد الإسلامية^(٣)، وقد تزعم أهل الذمة حركة الترجمة وبرعوا فيها، وأخلصوا لها كل الإخلاص^(٤).

ويبدو أن رأى المعتزلة فى نفى الصفات ونفى الرؤية، ونفى الجهة، والتشبيه، والتجسيم، والحلول فى مكان، والقول بخلق القرآن، كان متأثرا بمذاهب الفلسفة اليونانية ونظرياتها^(٥)، وقد جاء وقت كادت جهودهم فيه تقتصر على البحث فى مواضع الفلسفة البحتة كالحركة والسكون، والجوهر، والعرض، والموجود، والمعدوم، والجزء الذى لا يتجزأ^(٦).

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٤١٥، ٤٩٥ - ٤٩٦ (نشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة)، محمد أبو زهرة: تاريخ الفرق الإسلامية، ج ١، ص ١٤٥، ابن حزم، ص ١٤٥ (دار الفكر العربى، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م).

(٢) رأى المأمون فى منامه كأن رجلا أبيض اللون، مشربا حمرة، واسع الجبهة، مقرون الحاجب، أجلىح الرأس، أشهل العينين، جالسا على سريره. قال المأمون: وكأنى بين يديه قد ملئت له هبة، فقلت من أنت؟ قال أنا أرسططاليس! فسرت به وقلت: أيها الحكيم! أسألك؟ قال: سل، قلت: ما الحسن؟ قال: ما حسن فى العقل! قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن فى الشرع! قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور! قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم لائم! (ابن النديم: الفهرست، ص ٣٣٩، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ٢٧٢).

(٣) على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج ١، ص ٧٧.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص ٣٤٠ - ٣٤١، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامى، ص ٢٧٤.

(٥) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٢٣٨، ٢٨١، ٣٨٤، الإبانة عن أصول الديانة، ص ٨٧، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٥١ وما بعدها، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١١٠، ١١٤، ١١٥، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ١٢٥.

(٦) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٨، ٢٣، ٤٣، النيسابورى: المسائل فى الخلاف بين البصريين والبغداديين، ص ٢٩، ١٧٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١١٦ - ١٢٠، ١٤٢، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٥٠.

يقول «ستينر Stainer» إن الاعتزال فى تطوراته كان متأثرا بالفلسفة الإغريقية^(١)، ويظهر أثر أرسطو واضحا فى تعريف الصلاح والأصلح عند المعتزلة^(٢).

وأخذوا عنه فكرة الهيولى، وهى المادة الأولى للخلق، التى تكتسب صورتها النهائية مع الوجود، وأخذوا عن أفلاطون فكرة المثل^(٣)، وكان أثر أرسطو أقوى من أثر افلاطون وأفلوطين عند المعتزلة، لأن أرسطو قال بالهيولى، وفكرة العدم عند المعتزلة كبيرة الشبه بقول أرسطو^(٤).

وقد أفسح النظام للفلسفة اليونانية مجالا فى علم الكلام، واستعان بكثير من مباحثها فى المسائل الكلامية التى عالجها^(٥)، وهو أول من يمثل الحضارة اليونانية تمثيلا واضحا، واستنبط من كلام الفلاسفة رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة^(٦)، وكان يحفظ كتب أرسططاليس^(٧)، ويناقضها^(٨)، وقد أطلع على كثير من كتب الفلاسفة، وجعل المذهب

(1) NICHOLSON: ALITERARY HISTORY OF ARABS, P. 369 (CAMBRIDGE AT THE UNIVERSITY PRESS 1953).

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢، ص ١١٥
(٣) يقول ابن المرتضى: وهكذا يكون أرسطو وأفلاطون قد ساعدا المعتزلة فى صيانة التوحيد، وفى رد التشبيه، وفى القول بالخلق فى الزمان (المصدر السابق والجزء، ص ١٤٠).

(٤) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤١
(٥) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٥، الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص ٦٠ - ٦١، أبو الوفاء التفتازانى: علم الكلام وبعض مشكلاته، ص ١١٧

(٦) ابن نباتة: سرح العيون على رسالة ابن زيدون، ص ١٢٣ (المطبعة الوطنية، الإسكندرية، ١٢٩٠هـ)، أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام، ص ٦٦ (طبع القاهرة، ١٩٣٠م).

(٧) معناه محب الحكمة، أو الفاضل الكامل، وكان من البلغاء اليونانيين ومن أجل علمائهم، لقب بالمعلم الأول، وهو واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة إلى الفعل، وهو من أهل اسطاخوا باليونان، وكان الإسكندر يستشيريه فى الأمور، وتوفى فى سنة ٦٦ فى أواخر أيام الإسكندر (ابن النديم: الفهرست، ص ٣٤٥ - ٣٤٧، الشهرستانى: المصدر السابق، ج٣، ص ١٠٣ - ١٠٤، القفطى: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص ٢١ - ٢٢).

(٨) يروى القاضى عبد الجبار: (أن جعفر بن يحيى البرمكى ذكر أرسططاليس، فقال النظام له: قد نقضت عليه كتابه، فقال جعفر: كيف؟ وأنت لا تحسن أن تقرأه، فقال: أيما أحب إليك، أن أقرأه من أوله إلى آخره، أم من آخره إلى أوله؟، ثم اندفع يذكر شيئا فشيئا، وينقض عليه، فتعجب منه جعفر) (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٦٤ - ٢٦٥ ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٤٨).

الكلامى فلسفة نظرية صدرت عن أصالة مطلقة وفكر مبدع^(١)، وبحث فى مسألة الجزء الذى لا يتجزأ أو الذرة، وهى قضية دار حولها الجدل طويلا فى الفلسفة اليونانية^(٢)، ومن كتبه الجزء، وحركة الأجسام^(٣).

وأظهر ما كان التأثير الفلسفى فى أبى فى أبى الهذيل العلاف، حيث وافق الفلاسفة فى القول بأن البارى تعالى عليم بعلم وعلمه ذاته^(٤)، ومذهبه فى إثبات الجزء الذى لا يتجزأ مقتبس من الفلسفة اليونانية^(٥)، ويذكر النظام تلميذ العلاف: أنه نظر فى كتب الفلسفة، فلما وصل الى البصرة كان يعتقد أنه قد علم من الفلسفة ما لم يكن يعلمه أبو الهذيل، فلما ناظر أبا الهذيل فى ذلك، خيل اليه أنه لم يكن متشاعلا قط إلا به لتصرفه فيه^(٦).

وقد اقتبس أبو الهذيل مسائل كثيرة من الفلسفة اليونانية طبيعية والهيية، وبحث فى حواس الإنسان وإدراكه، وهذه الموضوعات قد بحثت فى الفلسفة اليونانية، فأخذها وكون له فيها رأيا خاصا عرضه على المسلمين^(٧).

قال الجاحظ: «لا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام، متمكنا من الصناعة يصلح للرياسة، حتى يكون الذى يحسن من كلام الدين فى وزن ما يحسن من كلام الفلسفة، والعالم عندنا هو الذى يجمعها»^(٨)، وقد طالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلسفة^(٩)، وكان

-
- (١) ابن نباتة: سرح العيون، ص ١٢٢ - ١٢٣، على سامى النشار: نشأة الفكر الفلسفى، ج ١، ص ٥٧٨
(٢) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ١٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١٤٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج ٣، ص ١٢٤
(٣) الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص ١٥، ٢٢
(٤) الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٥٧، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٥٥
(٥) الأشعرى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤ البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١١٣
(٦) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٢٥٤، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٩٩
(٧) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٠٣ - ١٠٤
(٨) الحيوان، ج ٢، ص ١٣٤ (تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، مطبعة مصطفى البابى الحلبي).
(٩) الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٨٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١٧٤

ميله الى الفلاسفة الطبيعيين أكثر من الى الإلهيين^(١)، وكان ينقل في مؤلفاته عن أرسطوطاليس^(٢)، كذلك وردت في هذه المؤلفات أسماء كتب يونانية مثل «الآثار العلوية» لأرسطوطاليس، وكتاب «الفصول» لأبقراط، و«المجسطى» و«الفراسة» لأفليمون^(٣). ودخلت الثقافة اليونانية العقل العربي، ودخلت عقل الجاحظ فانفعل بها وتأثر^(٤)، ونرى ذلك في ميل الجاحظ السوفسطائي بالكتابة عن الشيء وضده على أساس جدلي^(٥)، ويبلغ به الاقتدار حتى يعمل الشيء ونقيضه، ويحتج لفضل السودان على البيضان، ونجده يحتج مرة للعثمانية على الرافضة ومرة للزيدية على العثمانية وأهل السنة^(٦). ثم كان تأثير الفلاسفة قويا أيضا في بشر بن المعتمر، الذي أفرط في قوله بالتولد، ومال فيه الى الطبيعيين من الفلاسفة^(٧).

ويعتبر معمر بن عباد السلمى من أكبر فلاسفة المعتزلة، وأكثرهم صلة بالفلسفة^(٨)، يذكر الشهرستاني: أن معمرأ أخذ من الفلاسفة قوله أن الله تعالى محال أن يعلم نفسه، وقولة إن الانسان معنى أو جوهر غير الجسد^(٩).

ونرى أن ثمامة بن الأشرس يقرر أن العالم نشأ عن طبيعة الله، وهذا يؤدي حتما الى

(١) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٧٥

(٢) الجاحظ: المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٣٠ - ٣٧١، وديعة النجم: منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان، ص ٢٩ - ٣٤، ص ٨٦ - ٨٨ (منشورات معهد المخطوطات العربية، ١٩٨٥ م).

(٣) الجاحظ: المصدر السابق، ج ١، ص ٨٠، ١٠٢، ج ٣، ص ١٤٦، وما بعدها، ج ٦، ص ٢٨٠

(٤) وديعة النجم: الجاحظ والحاضرة العباسية، ص ٧ (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥ م) طه الحاجري: مقدمة كتاب البخلاء للجاحظ، ص ٢٣ (مصر، دار المعارف، الطبعة السادسة، ١٩٨١ م)، مجيد عبد الحميد ناجي: البلاغة العربية من الجاحظ إلى ابن المعتز، ص ٨٩ - ٩٠، ١٦١ (العراق، مطبعة الآداب، النجف ١٩٧٦ م).

(٥) محمد عمارة: الشك المنهجي عند الجاحظ، ص ٣٥ (مقالة بمجلة العربي، العدد ٢٢٧، أكتوبر ١٩٧٧ م، الكويت).

(٦) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص ٥٩ - ٦٠ (تحقيق محمد النجار، القاهرة، ١٩٦٦ م).

(٧) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٤٣، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٠ - ٧١، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١٦٦

(٨) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٦٩، على سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ج ١، ص ٥٧٩

(٩) المصدر السابق، والجزء، ص ٧٢ - ٧٤

القول بقدوم العالم، لأن طبيعة الله لا تتغير، وهذا متأثر بآراء أرسطو في قدم العالم وطبيعته^(١).

واتفق كل من أبى الهذيل العلاف والنظام والجبائي مع أرسطو في تعريفهم للحركة^(٢)، ويقول المعتزلة: إن العناصر لا توجد مفارقة، بل الجسم الحقيقي الطبيعي هو المركب من هذه العناصر، فكان نظرية الجسم عند المعتزلة، نتيجة لتأثر نظريات ديموقريطس، وأنباذوقليس، وأرسطو^(٣).

وقد ترك المنطق الاغريقي أثرا كبيرا في الحياة العقلية في العصر العباسي الأول، فقد أثر في طريقة الجدل والبحث والتعبير والتدليل، وكانت أساليب المتكلمين متأثرة الى حد بعيد بمنطق أرسطو^(٤). وقد تناول المعتزلة من كتب اليونان ما واءم عقولهم، وأعجبوا بما نقل اليهم عن فلاسفة اليونان^(٥).

تلك كانت أهم المسائل الفلسفية التي خاض فيها فلاسفة المعتزلة ومتكلموهم.

(١) المصدر السابق والجزء، ص ٧٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٦٠

(٢) لقد أعتبر من أبى الهذيل والنظام والجبائي الحركة كونا، وقال أرسطو: إن الكون هو تحول جوهر أدنى إلى جوهر أعلى (ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٥ - ١٤٦).

(٣) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢، ص ١٤٢

(٤) حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص ٢٧٦

(٥) محمد عبده: رسالة التوحيد، ص ١٥، ١٩ (مطابع دار الشعب، بدون تاريخ).

٤. المعتزلة والحياة الأدبية

يرى بعض الباحثين المحدثين أن المعتزلة يمثلون ظاهرة فكرية وأدبية جديدة، لأن الفكر الجديد يحمل في ثناياه معالم تيارات أدبية تمثل روحه، وتشكل بقيمه وأهدافه^(١)، وأدرك المعتزلة أثر الأدب في إكمال الثقافة وتنوير العقول، فانكبوا عليه يدرسونه ويتزودون منه، وقد رغبهم فيه أنهم كانوا دعاة مقالة ورؤساء نحلة، وذلك يتطلب فصاحة في اللسان ومقدرة على البيان^(٢)، يقول الجاحظ: لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة بكلام العامة^(٣).

ولقد أغنى المعتزلة الأدب من حيث المعاني وقوة العقل، وتوليد الأفكار العقلية وجعلوا من موضوعاته: الحيوان، والبخلاء، والقيان، والتجار، والمعلمون، إلى غير ذلك من موضوعات لم تكن موجودة من قبل في الأدب، وكان النظام يقول: «العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأنت من إعطائه لك البعض على خطر»^(٤)، والجاحظ يقول: «ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي الكلام، عذب ينابيعه، إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى»^(٥).

كان أدب المعتزلة انعكاساً لقضايا كثيرة، انبثقت من خلال ثقافتهم الواسعة العميقة، وكان شغل المعتزلي هو الحديث عن مذهبه، والدفاع عن دينه، مزوداً بما ألم به من ثقافة تعينه على ذلك الدفاع^(٦).

بذل أهل السنة جهودهم لمحاربة آراء المعتزلة، وشنوا الغارة على كتبهم ومصنفاتهم بالإحراق والتدمير، لذلك لا نرى بين أيدينا من هذا التراث الأجزاء يسيراً^(٧)، كان سبباً في

(١) عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ١٧٣ (الطبعة الثالثة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٩م).

(٢) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) الشريف المرتضى: الأمالي، ج ١، ص ١٩٥ - ١٩٦.

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٦٧، ابن نباتة: سرح العيون، ص ١٢٥.

(٥) الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج ١٦، ص ٨٧.

(٦) عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ١٦٦.

(٧) نيرج: مقدمة كتاب الانتصار للخطا، ص ١٠، أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام وأراؤه الكلامية، ص ٧٣.

ضياح كثير من آثارهم، واندثار أكثر مناظراتهم، وما بقى منها يعطينا صورة عن قوة جدلهم^(١).

أولاً: النشر:

يرى شوقي ضيف أن المسألة لم تقف عند احتفاظ المعتزلة بالقوالب العربية، وأوضاعها اللغوية، وتذليلها للمعاني العلمية والفلسفية، بل امتدت إلى أسلوب مولد جديد، قام على هجر كثير من الألفاظ البدوية الجافة مع العناية بفصاحة اللفظ وجزالته^(٢).

قيل لعمر بن عبيد: ما البلاغة؟ قال: هي تخير الألفاظ في حسن إفهام، وتزيين المعاني في قلوب المستفهمين، بالألفاظ الحسنة، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفى الشواغل عن قلوبهم، بالموعظة الناطقة عن الكتاب والسنة^(٣)، وقد عرف الرمانى المعتزلى البلاغة بأنها: «إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ»^(٤)، وقال أحمد بن أبى دؤاد: تلخيص المعانى رفق، والاستعانة بالغريب عجز، والخروج عما بنى عليه الكلام إسهاب^(٥). ويرسم بشر بن المعتمر للكاتب طريقه فيقول: «خذ من نفسك ساعة نشاطك، وفراغ بالك، وإجابتها إياك، فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهرًا، وأشرف حسابًا، وأحسن فى الأسماع، وأجلى فى الصدور»^(٦).

ولقد تهيأت للنشر أسباب كثيرة فى هذا العصر لكى ينمو ويزدهر، فقد أخذ يمتد ليستوعب العلوم والفلسفة.

الخطب والمواظ:

أخذت الخطابة الدينية فى هذا العصر تضعف على لسان الولاة، والخلفاء، ولكنها

(٣) محمد أبو زهرة: أبو حنيفة، ص ١٧٨، تاريخ الجدل، ص ٢١٥، (الطبعة الثانية، دار الفكر العربى، ١٩٨٠م).

(٤) العصر العباسى الأول، ص ٤٤٣ (الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م).

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١١٤، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٩٢، عبد الجبار:

فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٢٤، الحصرى: زهر الآداب، ج ١، ص ١٠٢

(١) النكت فى إعجاز القرآن، ص ٧٥ (ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٨م)

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ١٣٣

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٣٥ - ١٣٦

أينعت في بيئة الوعاظ والنسائك ممن تزخر بهم مساجد بغداد والبصرة والكوفة، وكانوا أخلاطا من الزهاد والفقهاء والمحدثين والمتكلمين^(١)، وكان واصل بن عطاء وأنصاره يجوبون البلاد، داعين إلى الله يخطبون وينظرون^(٢)، وكان ألشغ في حرف الرءاء، يخلص كلامه منها^(٣)، ولا يفتن لذلك لسهولة ألفاظه واقتداره^(٤)، وفي حفل جامع بالعراق، وبين يدي واليه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (١٢٦ - ١٢٩ هـ / ٧٤٣ - ٧٤٦ م) وقف واصل وارتجل خطبته المشهورة التي جانب فيها الرءاء فنال الإعجاب والتقدير^(٥).

وهناك نموذج آخر من خطب واصل، قالها ردا على خطبة لجعفر بن محمد الصادق وكان قد رمى واصل بأنه يفرق الجماعة^(٦).

ويحكى ابن المرتضى أن جعفر بن مبشر كان واعظا وقد رد مال تاجر حتى لا يأخذ أجرا عن الموعدة^(٧)، ودخل عمرو بن عبيد على الخليفة المنصور يوما فقال له الخليفة: عظمي، فقال عمرو: ان الله اعطاك الدنيا بأسرها، فاشتر نفسك ببعضها، واذكر ليلة تمخض عن يوم لا ليلة بعده، فوجم أبو جعفر من قوله^(٨).

(١) شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص ٤٤٩ وما بعدها.

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٥.

(٣) دفع إليه رقعة مضمونها: أمر الأمير الأمراء الكرام أن يحفر بئر على قارعة الطريق فيشرب منه الصادر والوارد، فقرأ على الفور: حكم حاكم الحكام الفخام، أن ينبش جب على جادة المشى فيسقى منه الصادي والغادي، فغير كل لفظ برديقه، وهذا من عجب الاقتدار (ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م).

(٤) المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج ٢، ص ١٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦١، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ١، ص ١٨٢ - ١٨٣، رشيد يوسف عطا الله: تاريخ الآداب العربية، ج ١، ص ٤٥٢.

(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٤، ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج ١٩، ص ٢٤٣ - ٢٤٧، نواذر المخطوطات، ج ٢، ص ١٣٤ وما بعدها (تحقيق: عبد السلام هارون، طبع القاهرة، ١٩٥١ م).

(٦) قال واصل: الحمد لله، العدل في قضائه، الجواد بعطائه، المتعالي عن كل مذموم، والعالم بكل خفي مكتوم.. (ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٦).

(٧) المصدر السابق، الجزء، ص ٦٥.

(٨) ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار، ج ٢، ص ٣٣٧، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ١٦٦ - ١٦٨.

المنظرات والجدل:

المعتزلة هم أول من أبرز ذلك الاتجاه في النثر العربي، وتعتمد المنظرات على البراعة في استخدام الدليل، وعلى المنطق في إفحام الخصم وإلزامه بالحجة، وكانت مظهرا للفصاحة واللسن^(١)، واتسعت في العصر العباسي المنظرات الكلامية، وحمل لواءها المعتزلة من أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد^(٢)، ويشيد الجاحظ بالمتكلمين فيقول: «لولا مكانة المتكلمين لهلكت العوام من جميع الأمم»^(٣).

وكان بالبصرة عدد كبير من المتكلمين^(٤) وقد أرسل واصل بن عطاء أحد أصحابه إلى جهم بن صفوان فناظره وانتصر عليه^(٥)، وقد صحب مجوسى معتزلى فقال: ما بالك لا تسلم؟ فقال: حتى يشاء الله، فقال: قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك، فقال: أنا مع أقواهما^(٦).

ومن أشهر المعتزلة في الجدل والمنظرة، أبو الهذيل العلاف، حيث أفحم وحده ثلاثة آلاف من خصومه وحملهم على الدخول في الاسلام^(٧)، ومن تلك المنظرات ما حكى عن

(١) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة، ج٢، ص ١٥٤، محمد ابو زهرة: تاريخ الجدل، ص ٢١٤، عبد

الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ٢٠٤

(٢) ابن المرتضى: المثنية والأمل، ج١، ص ٣١-٤١، شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص ١٢٧ (الطبعة الثامنة، دار المعارف، ١٩٧٧م).

(٣) الحيوان، ج٤، ص ٢٠٦

(٤) يروى الأصفهاني أنه: كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء، وبشار الأعشى، وصالح بن عبد القدوس، وعبد الكريم بن أبي العوجاء، وجريز بن حازم الأزدي، فكانوا يجتمعون في منزل الأزدي ويختصمون عنده، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة، وأما بشار فبقى متحيرا مغلطا وأما الأزدي فمال إلى السمنية، وهو مذهب من مذاهب الهند (الأغاني، ج٣، ص ٩٩٢ - ٩٣٣، تحقيق: إبراهيم الأبياري، طبعة الشعب، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م).

(٥) القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٦٧، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٣٥

(٦) الراغب الاصفهاني: محاضرات الأدباء، ج٤، ص ٤٢٥ (دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ).

(٧) أتى رجل إلى أبي الهذيل فقال له: أشكل على آيات من القرآن توهمنى أنها متناقضة، وآيات توهمنى أنها ملحونة، قال: فهل أجيبك بالجملة، أو تسألنى آية آية؟ قال: بل تحيىنى بالجملة، فقال أبو الهذيل: هل تعلم أن محمدا كان من أوسط العرب، وغير مطعون عليه في لغته، وأنه كان عند قومه من أعقل العرب فلم يكن مطعونا عليه؟ وأخذ أبو الهذيل يجادل الرجل حتى قال: كفانى هذا (القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٥٤، ابن المرتضى: المثنية والأمل، ج١، ص ٤٤ - ٤٥، أحمد أمين: =

عمرو بن عبيد أنه نازعه رجل في القدر، فانتصر عمرو عليه^(١)، ومن المبرزين في المناظرة من المعتزلة، إبراهيم النظام، فقد ناظر الزنادقة والمجوسية^(٢) والدهرية^(٣)، والثنوية^(٤)، وناقض كثيرا من آراء الفلاسفة^(٥)، وكان ثمامة بن الأشرس من جلة المتكلمين^(٦)، وقد ناظر أبا العتاهية وانتصر عليه في حضرة المأمون^(٧).

= ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٠١، ويروى أن صالح بن عبد القدوس مات له ولد، وكان شديد الجزع عليه فلقي أبا الهذيل العلاف، فقال له: لا أعرف لجزعك عليه وجهها، قال صالح: إنما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، وهو كتاب وضعته من قرأ فيه شك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه كان، قال أبو الهذيل: فشك أنت في موت ابنك وأفرض أنه لم يموت، وأن كان قد مات، وشك أيضا في أنه قرأ الكتاب وأن لم يقرأه (ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢، الشريف المرتضى: آمالي المرتضى، ج ١، ص ١٨١، ابن خلكان: فوات الأعيان، ج ٣، ص ٣٩٦، ابن نباته: سرح العيون، ص ١٢٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٤٥).

(١) قال عمرو: إن الله تعالى قال في كتابه ما يزيل الشك في قلوب المؤمنين في القضاء والقدر، قال تعالى: «فوريك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون» (سورة الحجر، آية: ٩٢ - ٩٣) ولم يقل لنسألهم عما قضيت عليهم، وأقدرته فيهم، أو أردته منهم أو شئت لهم، وليس بعد هذا الأمر إلا الإقرار بالعدل أو السكوت عن الجور (الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٧٧).

(٢) للمجوسية، أثبتوا خالقين اثنين مدبرين قديمين يقسمان الخير والشر والنفع والضر والصلاح والفساد، وزعموا أن الخالقين لا يجوز أن يكونا قديمين أزليين. بل النور أزلي والظلمة محدثة (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٢٦٩، الاسفرايينى: التبصير في الدين، ص ٨٩، الشهرستاني الملل والنحل، ج ٢، ص ٥٩).

(٣) الدهرية: يقولون بقدوم العالم وينكرون الصانع (الاسفرايينى: التبصير في الدين، ص ٨٩)
(٤) الثنوية: هؤلاء أصحاب الاثنين الأزليين يزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان، والنور فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمضار (البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ٢٦٩، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ٢، ص ٦٥).

(٥) الخياط: الانتصار، ص ٣٠ - ٣١

(٦) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢ - ٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥٥
(٧) سأل أبو العتاهية ثمامة بعد أن حرك يده، فقال: من حرك هذه؟ فقال ثمامة: من فعل بأمه فقال أبو العتاهية: يا أمير المؤمنين شتني، فقال ثمامة: يا جاهل، تحرك يدل ثم تقول من حركها؟ فإن كان الله حركها فلم اشتمك، وإن كنت أنت المحرك لها فهذا قولي قال المأمون: عندك زيادة في المسألة؟ (ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٢١، القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧٤، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٤٦ - ١٤٧، ابن نباته: سرح العيون، ص ٢٥٤، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٥٦).

الوصف:

يقول أبو الهذيل العلاف في وصف العشق: «العشق يختم على النواظر، ويطبع على الأفتدة، مرتعه الأجسام، ومشرعه الأكباد، وصاحبه متصرف الظنون، متفنن الأوهام، لا يصفو له مرجو، ولا يسلم له مدعو، تسرع إليه النواذب، وهو جرعة من نقيع الموت»^(١).
سأل الخليل بن أحمد النظام أن يصف له قدحا من الزجاج فقال: أمدح أم بدم؟ قال: بمدح، قال تريك القذى، وتثيك الأذى، وتستمر ما وري، قال: فذمها، قال: سريع كسرهما، بطئ جبرها، قال: فصف هذه النخلة، قال: أمدح أم بدم؟ قال: بمدح. قال: حلو مجتباها، باسق منتهاها، ناضر أعلاها. قال: فذمها. قال: وهي صعبة المرتقى، بعيدة المجتبى، محفوفة بالأذى^(٢).

وقد وصف الجاحظ اللسان فقال: «هو أداة يظهر بها البيان، وشاهد يعبر عن الضمير، وحاكم يفصل الخطاب، وناطق به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة، وواصف تعرف به الأشياء، وواعظ ينهى عن القبيح»^(٣). وقال أيضا في وصف الكتاب «والكتاب وعاء ملئ علما، وظرف حشى ظرفا، وناء شحن مزاحا وجدا، ينطق عن الموتى، ويترجم كلام الأحياء»^(٤)، وقد وصف العتابي^(٥) رجلا بليغا فقال: كان يظهر ما غمض من الحجة، ويصور الباطل في صورة الحق، ويفهمك الحاجة من غير إعادة ولا استعانة، قيل له وما الاستعانة؟

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ٣٩٦ - ٣٩٧

(٢) الشريف المرتضى: الأمالي، ج١، ص ١٨٩، ١٩٥، ابن نباتة: سرح العيون، ص ١٢٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٤٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٠٦ - ١٠٧

(٣) الجاحظ: رسائل الجاحظ، ج١، ص ٣٧٩، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص ٢١٨

(٤) الحصري: زهر الآداب، ج١، ص ١٤٢، الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن الانباري: نزهة الألبا، ص ١٣٢ - ١٣٥ (تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٩م).

(٥) العتابي: هو كلثوم بن عمرو بن الحرب التغلبي (ت ٢٢٠هـ / ٨٣٥م) شاعر مجيد، اجتمع له الخطابة والبيان والشعر الجيد، اختص بالبرامكة ثم صاحب طاهر بن الحسين، شغف بالثقافة الفارسية (الحصري: المصدر السابق، ج٢، ص ٦٠، الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء، ص ٤٦٣، ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج١٧، ص ٢٦ - ٢٨، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٤، ص ٢٢ - ٢٣، الزركلي: الأعلام، ج٦، ص ٨٩ - ٩٠، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص ٢٤٩).

قال: يقول عند مقاطع كلامه، يا هناة، واسمع، وفهمت! وما أشبه ذلك. وهذا من أمارات العجز^(١).

الرسائل الأدبية والإخوانية:

كتب واصل بن عطاء إلى عمرو بن عبيد: «أما بعد فإن استلاب نعمة العبد بيد الله، وتعجيل المعاقبة بيد الله، ومهما يكن ذلك فباستكمال الآثام، والمجاورة للجدال الذي يحول بين المرء وقلبه»^(٢). وكتب الجاحظ الى بعض إخوانه «حفظك الله حفظ من وفقه الله للقناعة، واستعمله بالطاعة»^(٣)، وكتب الى رجل وعده: أما بعد فإن شجرة وعدك قد أورقت فليكن ثمرها سالما من حوائج المظل والسلام^(٤).

وللعتابي كثير من الرسائل الاخوانية^(٥)، وله رسائل لبعض أهل السلطان^(٦). ومن هذا رسالة بعث بها صاحب بن عباد^(٧) الى أحد أصدقائه، وقد شكاه اليه علة

(١) الحصري: زهر الآداب، ج١، ص ١٠٦

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٢٢٤

(٣) ابن عبد ربه: المصدر السابق والجزء، ص ١٨٩

(٤) ابن عبد ربه: المصدر السابق، ج١، ص ٢١٠

(٥) كتب إلى بعض إخوانه قائلا: لو اعتصم شوقي إليك بمثل سلوك عني، لم أبذل وجه الرغبة إليك، ولم أتجشم مرارة تماديك، ولكن استخففتنا صبابتنا، فاحتملنا قسوتك لعظيم قدر مودتك، وأنت أحق من اقتصص لصلتنا من جفائه، ولشوقنا من إبطائه، وله أيضا: كتبت إليك ونفسي رهينة بشكرك، ولساني علق بالثناء عليك، والغالب على ضميري لائمة لنفسي، واستقلال لجهدي من مكافأتك، وأنت - أصلحك الله - في عز الغنى عني، وأنا تحت ذل الفاقة إلى عطفك (الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٣، ص ٤٢ «طبع القاهرة، ١٩٣٤م»، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ٢٧٠ - ٢٧١)، وكتب إلى صديق فقال: أما بعد أظال الله بقاءك، وجعله يمتد بك إلى رضوانه والجنة، فإنك كنت عندنا روضة من رياض الكرم، تبتهج النفوس بها، وتستريح القلوب إليها (الشريف المرتضى: الأمالي، ج٢، ص ١٣٧، شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، ص ٤٩٦).

(٦) قال: أما بعد، فإن كاتب وعدك قد أبرقت، فليكن وبلها سالما من علل المظل (ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص ٢١٠)

(٧) هو إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم، وزير غلب عليه الأدب. فكان من نوادر الدهر علما وفضلا وتديرا وجوده رأى، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه ثم أخوة فخر الدولة، (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م) (ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج٦، ص ١٦٨ - ٢١٨، ابن المرتضى: السمنية والأمل، ج١، ص ٩٤، الزركلي: الأعلام، ج١، ص ٣١٢ - ٣١٣).

ألمت به فقال: قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره، وأنبأ عنه أحوال جسمه، فدلتنى جملته على بقايا في البدن، يحتاج معها الى الصبر على التنقية والرفق بالتصفية^(١). وقد وقع صاحب على رقعة بقوله: من نظر لدينه نظرنا لدنياء، فإن أثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد. وإن أقمت على الجبر لفليس لكسرك من جبر^(٢).

التهكم والسخرية والمرح:

إن السمو العقلي الذي اختص به المعتزلة، قد عكس على نفوسهم طائفة من الصفات الخلقية التي من أبرزها الحرية العقلية، والنظر الى عامة الناس نظرة تشوبها روح التهكم والسخرية، ومن هذا ما قاله ثمامة بن أشرس للمأمون وهما بصدد الحديث عن العامة^(٣). ويروى الخطيب البغدادي أن: لصا لقي أبا الهذيل العلاف فأمسك بمجامع جيبه وقال له: انزع ثيابك. فقال أبو الهذيل: استحالة المسألة. قال كيف؟ قال: تمسك بموضع النزاع وتقول له انزع، أنزع من ذيلة أم من جيبه؟ قال: أنت أبو الهذيل؟ قال نعم، فتركه^(٤). وكان قول المعتزلة بخلق القرآن مبعثا للتهكم والسخرية من بعض الظرفاء^(٥) وللجاحظ في ميدان السخرية نواذر كثيرة، فنراه يسخر من بعض المعلمين الذي يعلم الصبيان القرآن

(١) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٣، ص٢٠٤، عبد الحكيم بلع: أدب المعتزلة، ص٢٧٠ - ٢٧١
(٢) الثعالبي: المصدر السابق، والجزء، ص٢٠١، بدوى طبانه: الصاحب بن عباد، ص٢١٠ (سلسلة أعلام العرب رقم ٢٧)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
(٣) قال ثمامة: «... إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا، والله يا أمير المؤمنين لقد مرت على إنسان قد بسط كساءه والقي عليه أدوية وهو ينادي: هذا الدواء ليباض العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر، وإن إحدى عينيه لمطموسة، والناس قد اجتمعوا عليه يستوصفونه (ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص٥٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام ج٣، ص١٥٢).

(٤) تاريخ بغداد، ج٣، ص٣٦٨

(٥) يروى أنه دخل عبادة المضحك على الخليفة الواثق، فقال: يا أمير المؤمنين أعظم الله أجرك في القرآن، قال: ويلك، القرآن يموت؟ قال: يا أمير المؤمنين، كل مخلوق يموت، بالله يا أمير المؤمنين بم يصلى الناس التراويح؟ فضحك الخليفة الواثق، وقال: قاتلك الله أمسك. (السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٦٠ (تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناحي، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م)، محمد الخضرى: تاريخ الأمم الإسلامية ص٢١٧، وسمع أحدهم رجلا يقرأ القرآن قراءة غير صحيحة فقال: أظن هذا القرآن الذي يزعم ابن أبي دؤاد أنه مخلوق (الراغب الاصفهاني: محاضرات الأدباء، ج٤، ص٤٢٧).

والصبايا الغناء، ومن يحب من لم يرها ولا يعرف أوصافها ولا شئ عنها أكثر من كنيها (أم عمرو)، ويطير فرحا بهذا الحب، ثم يهتم ويموت كمدا لسماعه خبر موتها^(١)، ومن ينبح نباح الكلاب ليجتذب تلميذا اختفى منه، وكان يعرف مقدار حبه لكلبه، ومن يجلس وحده في الكتاب وقد هرب منه الصبيان يتصارعون، ولرهبته من بطشهم خاف إرجاعهم إليه^(٢)، ومن يجلس يبكي لأن الصبيان سرقوا خبزه^(٣)، وقال الجاحظ: إن بعض الفقهاء لا يقبل شهادة المعلمين، وأن النساء أعدل شهادة منهم^(٤).

وأصبح الجاحظ محل سخرية وتنكيت الآخرين^(٥)، وكثيرا ما كان يتفكه بنفسه في حكاياته قبل أن يتفكه الناس به^(٦)، وقد حكى بعض القصص الساخرة عن الآخرين^(٧). وربما كانت هذه القصص حقيقية، وربما كانت من ابتكار الجاحظ كما فعل مع بخلائه^(٨).

(١) الإبيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، ج١، ص ٢٤٢ (طبعة الحلبي ١٩٩٥م)، ابن حجة الحموي: ثمرات الأوراق، ج٢، ص ١٥٧ - ١٥٨، ص ١٨٠ (هامش المستظرف، طبعة الحلبي ١٩٥٢م)، ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٣٧ (مطبعة القدسي، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م، نشأت العناني: فن السخرية في أدب الجاحظ، ص ١٥٧ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

(٢) الإبيهي: المستظرف من كل فن مستظرف، ج١، ص ١٤١ - ١٤٢، نشأت العناني: المرجع السابق والصفحة.

(٣) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص ١٣٧ - ١٣٨.

(٤) ابن الجوزي: المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٥) قرع عليه أحد أصدقائه الباب فخرج إليه غلام الجاحظ، فسأل الصديق عن الجاحظ، فأجابه الغلام: ها هو يكذب على ربه، قيل له كيف ذلك؟ قال: نظر في المرأة وجهه فقال: الحمد لله الذي خلقتي فأحسن صورتى (الوطواط: غرر الخصائص، ص ١٨٧ - ١٨٨، بيروت، دار صعب، بدون تاريخ).

(٦) قال الجاحظ عن نفسه: «أتنتى امرأة وأنا على باب دارى فقالت: لى إليك حاجة، وأريد أن تمشى معى، فقمتم معها إلى أن أتت بى إلى صائغ يهودى فقالت له: مثل هذا وانصرفت. فسألت الصائغ عن قولها فقال: إنها أتت إلى بفص وأمرتنى أن أنقش لها عليه صورة شيطان، فقلت ما رأيت الشيطان، فأتت بك وقال ما سمعت. (ابن نباتة: سرح العيون، ص ١٣٧).

(٧) قال: أخبرنى يحيى بن جعفر قال: كان لى جار بلحية ما رأيت أطول منها قط، وكان طول الليل يبكى ويشق ويضرب على رأسه وصدرة ويردد آية من كتاب الله، فلما رأيت ما نزل به قلت لأسمعن هذه الآية التى قلت هذا وأذهب نومي فتسمعت عليه فإذا الآية: (يسألونك عن المحيض قل هو

أذى) (سورة البقرة، آية ٢٢٢) ابن الجوزي: المصدر السابق ص ١٣٢

(٨) أحمد الحوفي: الفكاهة في الأدب - أصولها وأنواعها، ج١، ص ١٠٣ (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٦م).

ومما يؤكد هذه النزعة الفلسفية الساخرة عند المعتزلة «رسالة التربيع والتدوير» التي كتبها الجاحظ في التهكم بأحمد بن عبد الوهاب أحد أصحاب محمد بن عبد الملك الزيات^(١)، فهو يهجو هجاء مغلفا بثياب المديح، فقد كان قصيرا مفرطا في القصر، وإلحساسه بالنقص من هذه الناحية كان يدعى أن العرض مقدما على الطول^(٢)، وقد استطاع الجاحظ أن ينفذ من ذلك الى تشويه أحمد بن عبد الوهاب تشويها ربما كان يتفوق فيه على أصحاب فن التصوير الساخر (الكاريكاتورى) فى العصر الحديث^(٣).

ومهما يكن من أمر، فقد برزت فى أدب المعتزلة ظاهرة المرح والتفكه، ولكنها لم تكن ساذجة، بل كانت فى معظم أمرها مرتبطة بنزعتهم الفلسفية الساخرة وإحساسهم بالسمو العقلى.

ثانيا: الشعر:

تأثر كثير من شعراء بيئة المعتزلة، واستخدموا فى أشعارهم بعض ألفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم، وكثير من الشعراء خصصوا شعرهم للدفاع عن آراء المعتزلة مثل صفوان الأنصارى، تلميذ واصل بن عطاء^(٤)، وكان بشر بن المعتز شيخ معتزلة بغداد ورئيسهم شاعرا، وروى له الجاحظ بعض قصائده^(٥).

وكان المعتزلة شعراء يردون فى شعرهم على خصومهم من أصحاب النحل المختلفة، وأشهر هؤلاء العتাবى^(٦)، وقد نظم المعتزلة الشعر فى الاحتجاج لأرائهم الكلامية، فيقول

(١) رسائل الجاحظ، ج٣، ص ٥٥ - ١٠٩ (تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).

(٢) يقول الجاحظ: لولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله تعالى وعز الجنة بالعرض دون الطول، حيث يقول الله تعالى: «وجنة عرضها كعرض السماء والأرض» (سورة الحديد، آية ٢١) (رسائل الجاحظ، الجزء السابق، ص ٦٣).

(٣) شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص ١٧٩ (دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٧٧م).

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥ وما بعدها، شوقى ضيف: العصر العباسى الأول، ص ٤١٥، محمد عويس: المجتمع العباسى من خلال كتابات الجاحظ، ص ٣١٩ - ٣٢٠ (القاهرة، ١٩٧٧م).

(٥) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص ١٢٠، ٢٢٠، ج٣، ص ٥٣، ج٤، ص ٥٦، الحيوان، ج٣، ص ٦٣، ٤٤٣، الشريف المرتضى: الأمالى، ج١، ص ١٨٧.

(٦) ابن الجوزى: أخبار الظراف والمتماجنين، ص ١٠٧، (تقديم: محمد بحر العلوم، النجف، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م).

واصل بن عطاء: (١)

تحامق مع الحمقى اذا ما لقيتهم ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل

الغزل:

من شعر النظام الذى يدل على تدقيقه وتغلغه فى تصور المعانى قوله (٢):
توهمه طرفى فألم خذه فصار مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحه قلبى فألم كفه فمن صفح قبى فى أنامله عقر
وتتضح تأثيرات بيئة الاعتزال فى شعر النظام حيث يستخدم كلمة (اللفظ) لما لهذه
الكلمة من دلالة خاصة عند المعتزلة (٣) فيقول (٤):

وشادن ينطق بالطرف يقصر عن منتهى الوصف
رق فلو بزت سراويله علقه الجو من اللطف
ويستخدم أيضا كلمة (اللفظ) فى قوله (٥):

مازلت آخذ روح الزق فى لطف واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثيت ولى روحان فى جسدى والزق مطرح جسم بلا روح
وفى الغزل يقول النظام أيضا (٦):

أريد الفراق وأشتاقكم كأنا افترقنا ولم نفترق
ويقول صاحب بن عباد فى الغزل (٧):

-
- (١) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج٣، ص ٢١٧، ياقوت: معجم الأدباء، ج١٩، ص ٣٤٦
(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص ٩٧، الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٨٨،
أبو ريدة: إبراهيم بن سيار النظام، ص ٧
(٣) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٣١٣
(٤) الشريف المرتضى: الأمالي، ج١، ص ١٨٨، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٦، ص ٩٧، ابن
نباته: سرح العيون، ص ١٥٦
(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٣٦، الاسفراييني: التبصير فى الدين، ص ٤٤
(٦) ابن نباته: المصدر السابق، ص ١٢٥، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة ص ٣١٣
(٧) الصفدي: الوافى بالوفيات، ج٩، ص ١٤٠ (تحقيق: فان أس، نشر، فرانز شتاينر بفسبادن،
١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م).

كنت دهرًا أقول بالاستطاعة وأرى الجبر ضلة وشناعة
ففقدت استطاعتي في هوى ظبي فسمعا للمجبرين ظاعة
وقد بنى الصاحب فكرته الغزلية على مذهبين متعارضين هما مذهب المعتزلة الذي
يقول باستطاعة العبد وقدرته على أفعاله^(١)، ومذهب الجبر الذي ينفي هذه الاستطاعة
وتلك القدرة^(٢)، ويقول الصاحب وفي ذهنه مذهب الاعتزال^(٣):

ولما تناءت بالأحبة دارهم وصرنا جميعا من عيان الى وهم
تمكن منى الشوق غير مسامح كمعتزلى قد تمكن من خصم
وقد تأثر كثير من الشعراء ببيئة المعتزلة، واستخدموا في أشعارهم بعض ألفاظ
المتكلمين، ومصطلحاتهم، ومن ذلك فكرة الجزء الذى لا يتجزأ أو فكرة الجوهر الفرد،
وكان النظام ينكره، وتجادل فيه مع نظرائه من المعتزلة^(٤)، وقد ألم بها أبونواس فى قوله
متغزلا^(٥):

يا عاقد القلب منى هلا تذكرت حلا
تركت منى قليلا من القليل أقلا
يكاد لا يتجزأ أقل فى اللفظ من لا
وقد سمع منه النظام هذه الأبيات، فقال له^(٦): «أنت أشعر الناس فى هذا المعنى،
والجزء الذى لا يتجزأ - منذ دهرنا الأول - نخوص فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعت
أنت فى بيت واحد».

- (١) البغدادى: المصدر السابق، ص ٩٤، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ١٤
(٢) يقول الشهرستاني: الجبر هو نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى. (الملل والنحل،
ج ١، ص ٩٠).
(٣) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ١٧ (طبع القاهرة، ١٩٣٤م)، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج ٦،
ص ٣١٧، الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ٩، ص ١٤٠
(٤) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٢٤٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١٤٢ - ١٤٤،
شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص ٤١٥، محمد عويس، المجتمع العباسي من خلال كتابات
الجاحظ، ص ٣١٩ - ٣٢٠
(٥) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤١، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١١٠
(٦) ابن منظور: أخبار أبى نواس، ص ١٣ (طبعة مطبعة الاعتماد بالقاهرة، ١٣٤٣هـ).

وقد تأثر أبو نواس بالتكلمين والمعتزلة، وفي أشعاره كثير من ألفاظهم وأفكارهم، ومن ذلك فكرة التولد^(١)، فيقول متغزلاً^(٢):

وذا ت خد مـورد فتانة المتجرد
تأمل العين منها محاسن ليس تنفد
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولد
والحسن في كل عضو فيها معاد مردد

وكان أبو نعام يتعمق الاعتزال وعلم الكلام والفلسفة كقوله^(٣):

هى من له شئ يريد حجابها ما بال لا شئ عليه حجاب
وكلمة لا شئ فى اطلباح المتكلمين تعنى العدم^(٤)، وفي أشعاره بعض إشارات الى المذاهب الكلامية، وعلى رأسها مذهب الاعتزال والجهمية فيقول فى وصف الخمر^(٥):
جهمية الأوصاف الا أنهم قد لقبوها جوهر الأشياء

الملح:

من شعر النظام الذى يتضح فيه مذهبه من ناحية ألفاظه وأفكاره قوله فى تلميذه الجاحظ^(٦)، الذى كان يبادلّه حبا بحب وإعجابا بإعجاب^(٧):

(١) التولد: هو الفعل الذى ينشأ عن فعل آخر دون قصد، وأختلف المتكلمون فى التولد - كنحو ذهاب الحجر الحادث عند دفع الدافع له، وانحداره، والألم الحادث عند الضرب، وما أشبه ذلك (الخطا: الانتصار، ص ٧٦، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٦١ - ٩٠، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٠ وما بعدها).

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ١٤١

(٣) أبو نعام: ديوان أبى تمام، ج ٣، ص ٢٢٥ (طبعة دار المعارف).

(٤) شوقي ضيف: العصرى العباسى الأول، ص ١٥٧

(٥) أبو تمام: المصدر السابق، ج ١، ص ٣٤، المسعودى: مروج الذهب، ج ٣، ص ٤٨٦، ابن تيمية: موافقة صريح المعقول، ج ١، ص ١٦٦، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٣٦

(٦) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١١٣، المسعودى: مروج الذهب، ج ٣، ص ٢٨٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٦٠، ابن المرتضى: النية والأمل، ج ٢، ص ١٥٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٠٦، دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام، ص ٥٩

(٧) حسن السندوبى: أدب الجاحظ، ص ٧٢ (طبع القاهرة، ١٩٣١م)، أبو ريدة: النظام، ص ٤٥، شوقي ضيف: العصر العباسى الأول، ص ٤٣٣، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ٣١٩

حيى لعمرو جوهر ثابت وحببه لى عرض زائل
به جهاتى الست مشغولة وهو الى غيرى بها مائل
فانظام يستخدم فكرة العرض والجوهر والجهات الست فى تصوير علاقته بالجاحظ،
وكان النظام متأثرا بالمذاهب الفلسفية^(١).

ومدح صفوان واصل بن عطاء فقال: ^(٢)

فما مس دينارا ولا مس درهما ولا عرف الثوب الذى هو قاطعه
وقال صفوان أيضا فى مدح واصل بن عطاء ^(٣):

ملقن ملهم فيما يحاوله جم خواطره جواب آفاق
ويقول بشر بن المعتمر مشيدا بفضل المعتزلة ^(٤):

أهل الرئاسة من ينأ زعمهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وأنت من الذى قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة بالجهل أنت لها مخاصم
لولا مقامهم رأيت الدين مضطرب الدعائم

ودخل أبو تمام على أحمد بن أبى دؤاد، وكان عتب عليه فى شئ فاعتذر اليه، وقال:
أنت الناس كلهم، ولا طاقة لى بغضب جميع الناس، فقال له ابن أبى دؤاد: ما أحسن هذا
فمن أين أخذته؟ قال: من قول أبى نواس:

وليس لله بمستنكر أن جمع العالم فى واحد ^(٥)
وقد قال أبو تمام مادحا ابن أبى دؤاد ^(٦):

(١) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة، أبو ريدة: المرجع السابق والصفحة، عبد الحكيم بليغ: المرجع السابق والصفحة.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص٢٧، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج١، ص٣٣

(٣) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص٢٢، ياقوت الحموى: معجم الأدباء، ج٩، ص٢٤٩

(٤) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص٥٠

(٥) الصولى: أخبار أبى تمام، ص١٤١ (القاهرة، ١٩٣٧م) ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج١، ص٦٨

(٦) الصولى: المصدر السابق، ص١٤٦، الحصرى: زهر الآداب، ج١، ص٣٣٨ - ٣٣٩، الخطيب

البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص١٤٥، الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٧، ص٢٨٥ وابن خلكان:

المصدر السابق، ج٢، ص٦٧، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٣٧

لقد أنست مساوى كل دهر محاسن أحمد بن أبى دؤاد
فما سافرت فى الأفاق ألا ومن جدواك راحلتى وزادى
مقيم الظن عندك والأمانى وإن فلقت ركابى فى البلاد
وقال الخليفة المنصور مادحا عمرو بن عبيد^(١):

كلكم يمشى رويد كلكم يطلب صبيد
غير عمرو بن عبيد

ويتصدى صفوان الأنصارى تلميذ واصل بن عطاء لبشار بن برد لقوله بالرجعة
وتفضيله النار على الطين، وبالتالي إبليس على آدم^(٢)، ونراه يمدح أستاذه واصلا
فيقول^(٣):

تلقب بالغزال^(٤) واحد عصره فمن لليتامى والقبيل المكاثر
ومدح شاعر من المعتزلة واصلا لتخليصه كلامه من الرأ^(٥):

(١) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٤٨، الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٩،
ابن خلكان: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٣٢، الذهبي: ميزان الاعتدال فى نقد الرجال، ج ٣،
ص ٢٧٩.
(٢) قال بشار:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتنبهوا يا معشر الفجار
النار عنصـره وأدم طينة والطين لايسمو سمو النار
(الأصفهاني: الأغاني، ج ٣، ص ٩٩١، المبرد: الكامل، ج ٢، ص ٤٤٣).
ويقول صفوان فى الرد عليه:

زعمت بأن النار أكر عنصرا وفى الأرض تحيا بالحجارة والزند
كأنك غضبان على الدين كله وطالب زحل لايبى على حقد
(الجاحظ: البيان والتبيين، ج ١، ص ٢٧ - ٢٨، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٣٩ - ٤٢).
(٣) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص ٢٥

(٤) لقب واصل بن عطاء بالغزال، لأنه كان يلزم الغزاليين، ليعرف المتعفف من النساء فيجعل صدقته
إليه (الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص ٢٦، المبرد: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٣، ابن
خلكان: وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٦٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٣).
(٥) الجاحظ: المصدر السابق والجزء، ص ٢١ - ٢٢، المبرد: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٤، ياقوت:
معجم الأدباء، ج ١٩، ص ٢٤٦، الذهبي: ميزان الاعتدال، ج ٤، ص ٣٢٩، ابن المرتضى: المصدر
السابق والجزء والصفحة.

ويجعل البر قمحا في تصرفه وخالف الرء حتى احتال للشعر
ولم يقل مطرا والقول يعجله فعاد بالغيث إشفاقا من المطر
وكان العطوى^(١) ينظم الشعر، صابغا كثيرا من معانيه بأصباغ المعتزلة من مثل قوله يرثى
أحمد بن أبي دؤاد: ^(٢).

أحنطته يا نصر بالكافور وزففته للمنزل المهجور
هلا ببعض خصاله حنطته فيضوع أفق منازل وقبور

ما قيل في هجاء وسب المعتزلة:

هجا أبو العتاهية أحمد بن أبي دؤاد بعد أن انتصر الخليفة المتوكل لأهل الحديث والفقه
بقوله ^(٣):

لو كان رأيك منسوباً إلى رشد وكان عزمك عزماً فيه توفيق
لكان في الفقه شغل لو قنعت به عن أن تقول كلام الله مخلوق
وقال قائل في ذم أحمد بن أبي دؤاد: ^(٤).

نكست السدين يا ابن أبي دؤاد فأصبح من أطاعك في ارتداد
زعمت كلام ربك كان خلقاً أمالك عند ربك من معاد؟
كلام الله أنزله بعلم وأنزله على خير العباد
ومن أمسى ببابك مستضيفاً كمن حل الفلاة بغير زاد
وقد نسب أحد الشعراء واصلاً وعمرو بن عبيد إلى الخوارج بقوله ^(٥):
برئت من الخوارج لست منهم من الغزال منهم وابن باب ^(٦)

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية من المتكلمين، وهو على مذهب الحسين النجار المعتزلي، وهو شاعر من أهل البصرة، وله من الكتب: كتاب خلق الأفعال، وكتاب الإدراك (الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ٨٦ هامش (١)، ابن النديم: الفهرست، ص ٢٥٦).
(٢) الأصفهاني: الأغاني، ج٢٠، ص ٥٨، شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص ٤١٨.
(٣) الطبري: تاريخ الطبري، ج٩، ص ٨٩، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص ٢٥٣.
(٤) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة.
(٥) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٩٩، ٢٢٤، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤١، ٧٢.
(٦) هو عمرو بن عبيد بن باب (الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص ١٦٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٣، ص ١٣٠، الزركلي: الأعلام، ج٥، ص ٢٥٢).

ولما قال بشار بن برد بالرجعة وتكفير الأمة وتفضيل النار على الطين، تبرأ منه واصل بن عطاء، فهجاه بشار بقوله^(١):

مالى أشابع غزالا له عنق كنقنق الدوان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالى وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا
ولما رأى أبو عمرو بن العلاء^(٢)، عمرو بن عبيد يقول بالوعد والوعيد، قال له: لا
تيأس الناس من عفو ربهم، والعرب تتمدح بإنجاز مواعيدها وتنسى وعيدها، وعلى ذلك
قول الشاعر^(٣):

وإنى إذا وعدته أو وعدته لمخلف ميعادى ومنجز موعدى
وقال شاعر فى هجاء الجاحظ^(٤):
لو يمسح الخنزير مسحا ثانيا ما كان الا دون قبح الجاحظ
يقول أبو نواس فى هجاء النظام^(٥):
فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة حفظت شيئا وغابت عنك أشياء
لا تحظر الغفوا أن كنت أمرا حرجا فإن حذر كه بالدين ازراء
وحين أوقف الخليفة المتوكل المحنة قال قائل^(٦):

وبعد فإن السنة اليوم أصبحت معززة حتى كأن لم تذلل
تصول وتسطو إذ أقيم منارها وحط منار الإفك والزور من عل
وولى أخو الإبداع فى الدين هاربا الى النار يهوى مدبرا غير مقبل

-
- (١) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٣٤
(٢) هو أحد القراء السبعة، وهو من الأعلام فى القرآن، وكان ركنا من أركان علم اللغة بالبصرة
(ت ١٥٤ هـ / ٧٧٠ م) (ابن النديم: الفهرست، ص ٤٢، الاسفرايينى: المصدر السابق، ص ١١٦
هامش (١)).
(٣) الاسفرايينى: المصدر السابق، والصفحة، الراغب الأصبهاني: محاضرات الأدباء، ج٤، ص ٤٢٧ -
٤٢٨، الذهبى: ميزان الاعتدال، ص ٢٧٩
(٤) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٦٣، الاسفرايينى: المصدر السابق، ص ٥١
(٥) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢، ابن نباتة: سرح العيون، ص ١٧٧، أبو ريدة: النظام، ص ٦٦
(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٦

وقال البحتري حين رفع الخليفة المتوكل المحنة^(١):

أُمير المؤمنين لقد شكرنا	إلى آبائك الغر الحسان
رددت الدين فذا بعد أن قد	أراه فـرقـتين تخاصمان
قصمت الظالمين بكل أرض	فأضحى الظلم مجهول المكان
وفى سنة رمت متجبريهم	وعلى قـسـدر بداهية عيان
فما أبقت من ابن أبي دؤاد	سوى جسد يخاطب بالمعاني

(١) السيوطي: المصدر السابق، ص ٣٥٤

٥. أشهر علماء المعتزلة في بغداد

١- بشر بن المعتز (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)

هو أبو سهل بن المعتز الهلالي، شيخ معتزلة بغداد، ومؤسس فرع الاعتزال فيها^(١)، وكان حسن الجدل، قوى الحجة، ويعد في الدورة من فصحاء المتكلمين وبلغائهم^(٢). ويعتبره بعض الباحثين المحدثين أنه أول من أسس علم البلاغة العربية^(٣)، وقد نصح الكاتب بأن يتخير أوقات الكتابة فليس كل وقت صالحا لها^(٤).

قال عنه الجاحظ^(٥)، لم أر أحدا أقوى على الخمس والمزدوج، ما أقوى عليه بشر. وكان بارعا في نظم الشعر، غير أنه لم ينظمه في الأغراض الغنائية التي تعود الشعراء أن ينظموا فيها، بل نظمها في الاتجاه التعليمي، واتجه به إلى الرد على أهل المقالات والنحل من خصوم المعتزلة^(٦)، وله قصيدة بلغت أربعين ألف بيت رد فيها على المخالفين^(٧)، وقد وظف على نفسه، أن يدعو كل يوم نفسين إلى دين الله، فإن أخطأه يوما قضاه^(٨).

كان بشر بن المعتز يعتز بمذهب الاعتزال ويدافع عنه، مولعا بمهاجمة الرافضة وغيرها من الفرق التي تناوئ المعتزلة ولا تذهب مذهبا^(٩).

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ٨٧، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٤١، الشريف المرتضى: الأمالي، ج١، ص ١٨٦، الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٧٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٤٩

(٢) الشهرستاني: المصدر السابق والجزء والصفحة، شوقي ضيف: كتاب البلاغة، تطور وتاريخ، ص ٤١ وما بعدها (طبع دار المعارف).

(٣) أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٤١ - ١٤٢، عبد الحكيم بليغ: أدب المعتزلة، ص ٣٤٥

(٤) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ١٣٥ - ١٣٦

(٥) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٤٩٩

(٦) الشريف المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٨٧، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٤٢ -

١٤٤، شوقي ضيف: العصر العباسي الأول، ص ٤٢٧

(٧) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٦٥، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٤٩

(٨) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة.

(٩) ابن المرتضى: المصدر السابق والصفحة.

وهو الذى بدأ القول بالتولد وتوسع فيه^(١)، وكان يميل الى الطبيعيين من الفلاسفة فى هذا القول^(٢)، ويبحثه فى التولد كان الغرض منه تحديد المسؤولية، فالعمل الذى يصدر عن الإنسان قد تتولد عنه أعمال أخرى^(٣)، وكان يقول: إن كل ما يتولد من أفعالنا فينا أو فى غيرنا فهو فعلنا^(٤)، وكان يجعل العقل إجلالا بعيدا حتى ليرفعه الى مرتبة مقدسة، وأنه لولاه لذهب الإدراك وفقد الإنسان إنسانيته^(٥).

ويرى بشر أن الطفل ليس مسئولاً عن أعماله، وأن الله تعالى قادر على أن يعذبه، ولكنه لو فعل ذلك لكان ظالماً إياه، ولكنه رأى أن هذا تعبير غير مستحسن فى جانب الله، فيحسن أن يعبر عن هذا المعنى تعبيراً ألطف^(٦)، وقال: ان عند الله لطفاً لو أتى به لآمن جميع من فى الأرض إيماناً يستحقون عليه الثواب استحقاقهم لو آمنوا من غير وجوده^(٧). ومما يتصل بالمسؤولية أيضاً قول بشر: إن من تاب عن كبيرة ثم عاد اليها استحق العقوبة على الجريمة الأولى التى تاب عنها، فإن توبته إنما تمحو المسؤولية بشرط ألا يعود^(٨). وقد عد المعتزلة بشر بن المعتمر من رجال الطبقة السادسة من علمائهم^(٩)، وتعلم على يديه كثيراً من رجال الاعتزال منهم: أبو موسى المردار، وثمامة بن الأشرس، وأحمد بن أبي دؤاد^(١٠)، واليه تنسب الفرقة البشرية من فرق المعتزلة^(١١).

(١) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ٩٨، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٤٣، الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص ٤٥، الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص ٧٠، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٦.

(٢) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٣٤.

(٣) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٤٥.

(٤) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٧١.

(٥) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٦٧.

(٦) الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص ٧١، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢، ص ١٦٦.

(٧) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج١، ص ٣١٣، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٧٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ١٦٧.

(٨) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٩) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٦٥، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٤٩.

(١٠) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٥٢، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٣٤، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٠، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٤٥.

(١١) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٤١، الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص ٤٥، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٧٠، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج٢، ص ١٦٦، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٣٤.

٢. ثمامة بن الأشرس: (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)

يكنى أبا معن النميري، وكان مشهوراً في العلم والأدب، ومن جملة المتكلمين المعتزلة^(١)، وهو لون آخر من ألوان الاعتزال، ليس بالزاهد، ولكنه المعتزلي المقامر في شئون الدنيا، المتردد على قصور الخلفاء، المنادم لهم، الذي يزين مجالسهم بالكلام العذب في الأدب، المناظر في مسائل الاعتزال وغير الاعتزال، فقد ملئت كتب الأدب بأحاديثه الممتعة، ونوادره الطريفة^(٢).

وكان زعيم المعتزلة، وهو الذي دعا المأمون إلى الاعتزال^(٣)، وله فرقة تنسب إليه وتروى رأيه، اسمها الثمامية^(٤)، وهو من رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة^(٥).

يقول الشهرستاني: إنه كان جامعاً بين سخافة الدين وخلاعة النفس مع اعتقاده بأن الفاسق مخلد في النار إذا مات على فسقه من غير توبة، وهو في حال حياته في منزلة بين المنزلتين^(٦)، وكان يتهكم على الناس ويسخر منهم^(٧)، ويعطى لنفسه حظها في الحياة، فيتنعم بالطيبات ولا يتورع ولا يتزهد^(٨).

قال ثمامة^(٩): لا تخلو أفعال العباد من ثلاثة أوجه، إما كلها من الله، ولا فعل لهم ولم

(١) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٠، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥٥

(٢) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٤١ - ٢٢١، الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٢٥٧، ابن النديم: المصدر السابق، ص ٢ - ٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٥ - ٥٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٤٩، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٢٩ - ١٣٠

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٥٧، الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة.

(٤) البغدادي: المصدر السابق والصفحة، الاسفراييني: المصدر السابق والصفحة، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص ٧٧، الرازي: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٤٢

(٥) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٧٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٥

(٦) المصدر السابق والجزء، ص ٧٧

(٧) ابن قتيبة: تأويل مختلف الحديث، ص ٤٩، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٥٨، الاسفراييني: التبصير في الدين، ص ٤٨ - ٤٩

(٨) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥٧ - ٥٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٤٩ - ١٥٠

(٩) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢ - ٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٥

يستحقوا ثوابا ولا عقابا ولا مدحا ولا ذما - أو تكون منهم ومن الله وجب المدح والذم لهم جميعا - أو منهم فقط كان لهم الثواب والعقاب والمدح والذم».

وقال: لا فعل للإنسان إلا الإرادة، وماعدا ذلك من أعماله فهو حدث لا محدث له^(١)، وقد تمادى فى الوعيد فجعل من مات من المسلمين مصرا على كبيرة واحدة مخلدا فى النار مع فرعون وأبى لهب وأبى جهل^(٢).

وحكى عن ثمانية أنه قال فى القرآن: يجوز أن يكون من الطبيعة، ويجوز أن الله سبحانه يبتدئه، فإن كان الله ابتدأه فهو مخلوق، وإن كان فعل الطبيعة فهو لا خالق ولا مخلوق^(٣).

وقد وسع نظرية التولد وقال: إن المعارف متولدة من النظر، وهى فعل لا فاعل له كسائر المتولدات، كما توسع فى نظرية التحسين والتقبيح العقليين وقال: «إن العالم فعل الله بطباعه»^(٤).

وكان مشهورا بالمناظرة يقطع الخصم بأقل كلام^(٥)، وقال ثمانية يوما للمؤمن لما صارت اليه الخلافة: كان لى أملان، أمل لك وأمل بك، فأما أملى لك فقد بلغته، وأما أملى بك فلا أدرى ما يكون منك فيه، قال: يكون أفضل ما رجوت وأملت، وجعله من سماره وخاصته^(٦)، وبلغ عند المؤمن منزلة جليلة وقد عرض عليه المؤمن الوزارة فامتنع^(٧)، وقد حرض ثمانية المؤمن على لعن معاوية ولكن يحيى بن أكثم نهى المؤمن عن ذلك^(٨).

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٧٨

(٢) ابن حزم: الفصل، ج٤، ص ١٤٨ - ١٤٩

(٣) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج٢، ص ٢٥٧

(٤) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٥٧، ابن حزم: الفصل، ج٤، ص ١٤٨، الاسفرايينى: التبصير فى

الدين، ص ٤٨، الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٧٨، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢،

ص ١٧١

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج٢، ص ٢٢١، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج١، ص ٥٥ - ٥٦،

أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٥٣ - ١٥٤

(٦) ابن عبد ربه: المصدر السابق والجزء، ص ٤١

(٧) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٢، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٨) ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٦ - ٥٧

٣. أبو موسى المردار (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م):

هو عيسى بن صبيح، المكنى بأبي موسى، الملقب بالمردار، وكان زاهدا، وقد سمي «راهب المعتزلة»^(١)، واليه يرجع الفضل في انتشار الاعتزال ببغداد بورعه، وبقوة لسانه، وفصاحته وقدرته على الوعظ وحسن القصص^(٢).

حضر مجلسه يوما أبو الهذيل العلاف، فسمع قصصه بالعدل وحسن ثنائه على الله، ووصف له بالإحسان إلى خلقه، والتفضل على عبده، وإساءتهم إلى أنفسهم، وتقصيرهم فيما يجب لله عليهم، فبكى وقال: هكذا شهدت مجالس أشياخنا الماضين من أصحاب واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد رضوان الله عليهم^(٣)، ولما حضرته الوفاة، شك فيما لديه من المال فوزعه على الفقراء^(٤)، وهو أستاذ الجعفرين^(٥). وناحيته الاعتزالية من جنس شخصيته، فهو غال في الاعتزال، شديد الغلو، يمعن في تكفير الناس، فمن قال: إن الله يرى بالأبصار فهو كافر، ومن قال: إن أعمال العباد مخلوقة لله فهو كافر، ومن لا بس السلطان فهو كافر لا يورث^(٦).

وقد وافق استاذه بشر بن المعتمر في القول بالتولد، وزاد عليه جواز وقوع فعل واحد من فاعلين على سبيل التولد^(٧).

(١) البغدادى: المصدر السابق، ص ١٥١، الأسفرايينى: التبصير فى الدين، ص ٤٧، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٧٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٠، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٤٦.

(٢) ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠، أحمد أمين المرجع السابق والجزء والصفحة. (٣) الخياط: الانتصار، ص ٦٧، القاضى عبد الجبار، طبقات المعتزلة، ص ٢٧٧ - ٢٧٨، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ١٧٠.

(٤) الخياط: المصدر السابق، ص ٦٩، القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٧٨، البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٥٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٥) هما جعفر بن بشر، وجعفر بن حرب. (الرازى: اعتقادات فرق المسلمين والمشرى، ص ٤٣، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٠).

(٦) الخياط: المصدر السابق، ص ٦٧ - ٦٨، البغدادى: المصدر السابق، ص ١٥١ - ١٥٢، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٤٦، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢٣١.

(٥) الخياط: المصدر السابق، ص ٦٦، البغدادى: المصدر السابق، ص ١٥٢، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

وهو أول من أشعل النار في بغداد في فتنة خلق القرآن، فزعم أن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة وبلاغة ونظما، وبالف في القول بخلق القرآن، وكفر من قال بقدمه، وقال: من قال بذلك فقد أثبت قديمين^(١).

وهو من رجال الطبقة السابقة من طبقات المعتزلة^(٢)، واليه تنسب الفرقة المردارية من فرقهم^(٣).

٤. جعفر بن مبشر (ت ٣٣٤هـ / ٨٤٨م)؛

هو أبو محمد جعفر بن مبشر الثقفي، وكان مشهورا بالعلم والورع^(٤)، ولقد بلغ في العلم والعمل هو وجعفر بن حرب حتى كان يضرب بهما المثل، فكان يقال: (علم الجعفرين وزهدهما)، كما يضرب بهما المثل في حسن السيرة^(٥)، وتنسب اليهما الفرقة الجعفرية من فرق المعتزلة^(٦).

وقال جعفر بن مبشر: إن فساق هذه الأمة شر من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة، هذا مع قوله بأن القاسق موحد وليس بمؤمن ولا كافر^(٧)، وقال أيضا: كل عمد كبير، وكل مرتكب لمعصية متمعدا لها فهو مرتكب لكبيرة^(٨).

وقد سأل الخياط جعفر بن مبشر عن قوله تعالى: «فيضل من يشاء ويهتدي من

(١) البغدادى: الفرق بين الفرق، ص ١٥١، الاسفرايينى: التبصير في الدين، ص ٤٧، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٤٧.

(٢) القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٧٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٥٤.

(٣) البغدادى: المصدر السابق والصفحة، الاسفرايينى: المصدر السابق والصفحة، الشهرستاني: المصدر السابق والجزء، ص ٧٥، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٠، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٣٨.

(٤) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن المرتضى: المصدر السابق، ج ١، ص ٦٤، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء ص ١٤٨.

(٥) الخياط: الانتصار، ص ٨١ - ٨٢، القاضي عبد الجبار، المصدر السابق والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) البغدادى: المصدر السابق ص ١٥٣، الاسفرايينى: المصدر السابق والصفحة.

(٧) الخياط: المصدر السابق، ص ٨١، البغدادى: المصدر السابق والصفحة.

(٨) الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣٣٢.

يشاء»^(١)، وعن الختم والطبع فقال^(٢): «أنا مبادر الى حاجة، ولكنى ألقى عليك جملة تعمل عليها: أعلم أنه لا يجوز على أحكم الحاكمين أن يأمر بمكرمة ثم يحول دونها، ولا أن ينهى عن قاذورة ثم يدخل فيها، وتأول الآيات بعد هذا كيف شئت».

وهو أحد المعتزلة البغداديين، وله كتب مصنفة في الكلام^(٣)، ومن كتبه: كتاب الطهارة، وكتاب السنة والأحكام، وكتاب الرد على أصحاب الرأي والقياس، وكتاب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب الأشربة، وكتاب الحكاية والمحكي، وكتاب الخراج، وكتاب معرفة الحجج، وكتاب الناسخ والمنسوخ^(٤).

قال الخليفة الواثق لأحمد بن أبي دؤاد: «لم لا تولى أصحابي القضاء، كما تولى غيرهم؟» (يقصد المعتزلة)، فقال: يا أمير المؤمنين إن أصحابك يمتنعون عن ذلك، وهذا جعفر بن مبشر، وجهت اليه بعشرة آلاف درهم فأبى أن يقبلها، فذهبت اليه بنسي، واستأذنت فأبى أن يأذن لي، فدخلت من غير إذن، فسل سيفه في وجهي وقال: الآن حل قتلك، فانصرفت عنه، فكيف أولى القضاء مثله؟»^(٥)

وكان لركة قصصه وحسن حديثه أثر كبير في نشر الاعتزال^(٦)، وكان يعظ الناس ويرفض أن يأخذ أجرا على ذلك^(٧)، وهو من رجال الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة^(٨).

(١) سورة إبراهيم: آية ٤

(٢) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٦٤

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٧، ص ١٦٢، الزركلي: الأعلام، ج٢، ص ١٢١

(٤) الخياط: الانتصار، ص ٨١، ١٩٩، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٦٥ - ٦٦، البير

نصري نادر: فلسفة المعتزلة، ج١، ص ٣٠ - ٣١

(٥) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٢٨٣، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٦٥

(٦) الخياط: الانتصار، ص ٨١، ٨٩، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٤٨

(٧) روى أنه أضرت به الحاجة، حتى كان يقبل القليل من زكاة إخوانه، فحضره يوما بعض التجار،

فتكلم في خطبة تكاح، فأعجب به التاجر، وبعث إليه بخمسمائة دينار، فردها، فقليل له: عذرناك في

رد مال السلطان للشبهة، وهذا تاجر ماله من كسبه، فقال: إنه استحسن كلامي، أفتراني آخذ على

دعائي إلى الله وموعظتي ثمنا. (القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٨٣، ابن المرتضى:

المصدر السابق والجزء والصفحة).

(٨) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٥، ٦٤

٥. جعفر بن حرب الهمذاني (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)

كن جعفر بن حرب من أعظم الرجال في العلم والصدق والورع والزهد والعبادة، درس الكلام في البصرة على يد أبي الهذيل العلاف، ثم درس في بغداد على أبي موسى المردار، وقد عني بالرد على شيخه العلاف^(١)، وكان ينازع المخالفين له في المذهب ويتغلب عليهم^(٢).

كان أبوه من أصحاب السلطان، خلف ثورة من ضياع ومال، وقد بلغ من زهده في آخر عمره أن ترك ضياعه وماله واعتزال الناس، وترك الكلام في الدقيق وأقبل على التصنيف في الجلي الواضح^(٣).

وصنف كتباً معروفة عند المتكلمين^(٤)، ومن مصنفاته: كتاب تويخ أبي الهذيل، وكتاب في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ، وكتاب الإيضاح، ونصيحة العامة، والمسترشد، والمتعلم، والأصول الخمسة^(٥)، ومتشابه القرآن^(٦)، وكتاب الديانة^(٧).

قال جعفر بن حرب: التوفيق والتسديد لطفان من أَلطاف الله سبحانه، لا يوجبان الطاعة في العبد، ولا يضطرانه إليها، فإذا أتى الإنسان بالطاعة كان موفقاً مسدداً^(٨).

وحكى أن جعفر بن حرب كان يحضر مجلس الخليفة الواثق للمناظرة، فحضر مرة وقت الصلاة فقاموا لها، وتقدم الخليفة وصلى بهم، وتنحى جعفر فنزع خفيه وصلى

(١) الخياط: المصدر السابق، ص ١٨٠ - ١٨١، القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٨١، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٦٢ - ١٦٣، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٦٢، الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ١١٦ - ١١٧، أحمد أمين: المصدر السابق والجزء والصفحة، ألبير نصرى: فلسفة المعتزلة، ج ١، ص ٣١

(٢) الخياط: المصدر السابق، ص ١١٠

(٣) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٢٨٢، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ٢، ص ٦٢

(٤) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ١٦٣

(٥) الخياط: الانتصار، ص ١١٠، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٠٢، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء والصفحة، ألبير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، ج ١، ص ٣١

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص ٥٥

(٧) القاضي عبد الجبار: المصدر السابق، والصفحة.

(٨) الأشعري: مقالات الإسلاميين، ج ١، ص ٣٢٦

وحده، فقال له أحمد بن أبي دؤاد: إن هذا (يشير الى الواثق) لا يحتملك على هذا الفعل، فإن عزمت عليه فلا تحضر مجلسه، قال جعفر: ما أريد الحضور لولا أنك تحملني عليه^(١). وكان يقول: المؤمن كالتاجر البصير العاقل الذي ينظر أى التجارة أربح له، وأسلم لبضاعته، فيقصد اليها، يطلب الحلال من المعاش^(٢).

وقال جعفر بن حرب، وجعفر بن مبشر: إن الله تعالى خلق القرآن فى اللوح المحفوظ، لا يجوز أن ينتقل، ويستحيل أن يكون الشئ الواحد فى مكانين فى حالة واحدة، وما نقرؤه فهو عبارة عن المکتوب الأول فى اللوح المحفوظ^(٣)، وقالوا فى تحسين العقل وتقييحه: إن العقل يوجب معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع^(٤)، ويعتبر المعتزلة جعفر بن حرب من رجال الطبقة السابعة من طبقات رجالهم^(٥).

٦. أحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م):

هو أبو عبد الله أحمد بن أبي دؤاد الأيادى، ولد بالبصرة (١٦٠ هـ / ٧٧٦م) وتوفى فى خلافة المتوكل^(٦)، ونشأ فى طلب التعلم والفقه والكلام، وكان فصيحاً وشاعراً^(٧). قال أبو العيناء^(٨): ما رأيت فى الدنيا أحدا أحرص ولا أقوم على أدب من ابن أبي دؤاد^(٩).

- (١) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق والصفحة، ابن المرتضى: المصدر السابق والجزء، ص ٦٢ - ٦٣
- (٢) القاضى عبد الجبار: فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، ص ٢٨٢
- (٣) الخياط: الانتصار، ص ٨٢، الأشعرى: مقالات الإسلاميين، ج ٢، ص ٢٦٨، الشهرستانى: الملل والنحل، ج ١، ص ٧٦
- (٤) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٧٧
- (٥) القاضى عبد الجبار: المصدر السابق، ص ٢٨١، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٦٢
- (٦) ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ٣ - ٤، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد: ص ١٤٢
- (٧) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٨، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٩١، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٦، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٢، ص ٣٧
- (٨) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم، الضرير المعروف بأبي العيناء (توفى ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) أديب فصيح من الظرفاء، ومن أسرع الناس جواباً، اشتهر بنوادره ولطائفه، كف بصره بعد بلوغه أربعين سنة من عمره. (ابن النديم: تكملة الفهرست، ص ١٨١، ياقوت الحموى: معجم البلدان، ج ١، ص ٢٨٦، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤٦٦، الزركلى: الأعلام، ج ٧، ص ٢٢٦).
- (٩) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٤٨، ابن الجوزى: أخبار الأذكياء، ص ٧١ (تحقيق: محمد مرسى الخولى، مطابع الأهرام، التجارية، ١٩٧٠م).

وقد اتصل بالمأمون عن طريق يحيى بن أكثم، فكان يحضر مجالس المأمون في الجدل والمناظرة، فأعجب المأمون بعقله وحسن منطقته فقربه اليه وأصبح ذا نفوذ كبير في قصره^(١)، قال إبراهيم بن الحسن: كنا عند المأمون فذكروا من بايع من الأنصار ليلة العقبة، فاختلفوا في ذلك، ودخل ابن أبي دؤاد فعدهم واحدا واحدا بأسمائهم وكناهم وأنسابهم^(٢).

وكان معظما لدى الخليفة المأمون، يقبل شفاعاته، ويصغى الى كلامه وقد حسن له القول بخلق القرآن^(٣)، وكان من وصية الخليفة المأمون للمعتصم (وأبو عبد الله بن أبي دؤاد فلا يفارقك، وأشركه في المشورة في كل أمرك، فإنه موضع لذلك منك)^(٤).

ولما ولي المعتصم الخلافة جعل ابن أبي دؤاد قاضيا للقضاة^(٥)، وكان الخليفة المعتصم خاضعا لرأيه، واقعا تحت نفوذه، وكان لا يفعل فعلا باطنا ولا ظاهرا إلا برأيه^(٦)، وأصبح تأثيره عليه يفوق كثيرا تأثيره على الخليفة المأمون حتى قال قائل في ذلك: (ما رأيت أحدا أطوع لأحد من المعتصم لابن أبي دؤاد، كان يسأل (أى المعتصم) الشئ اليسير فيمتنع منه ثم يدخل ابن أبي دؤاد فيجيبه الى كل ما يريد^(٧)).

وكان المعتصم يعوده إذا مرض ويقول: كيف لا أعود رجلا ما وقعت عيني عليه قط الا ساق الى أجرا أو أوجب لى شكرا أو أفادنى فائدة تنفعنى فى دينى ودنياى، وما سألنى

(١) ابن خلكان: المصدر السابق، ج١، ص٦٦، جمال الدين القاسمى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٤ -

٦٥، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٦٤

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص٦٤، الصفدى: الوافى بالوفيات، ج٧، ص٢٨٣

(٣) الصفدى: المصدر السابق والجزء والصفحة، السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص٣٨،

زهدى جار الله: المرجع السابق، الصفحة.

(٤) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٨، ص٦٤٩، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٦٧، الزركلى:

الأعلام، ج١، ص١٢٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص١٥٦، محمد الخضرى: تاريخ

الأمم الإسلامية، ص٢٣٣

(٥) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص١٤٢، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٦) الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء والصفحة، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء والصفحة،

باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص٩٨، محمد الخضرى: المرجع السابق، ص٢٣٤

(٧) ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣١٩، زهدى جار الله: المعتزلة، ص١٧١

حاجة لنفسه قط^(١).

وبعد وفاة الخليفة المعتصم وتولى الخليفة الواثق، استمر ابن أبي دؤاد فى منصب قاضى القضاة^(٢)، وكان يقوم بامتحان الفقهاء فى القول بخلق القرآن^(٣).

قال الواثق يوما لأحمد بن أبى دؤاد^(٤): «قد اختلت بيوت الأموال بطلباتك، للآئذين بك، والمتوسلين اليك، فقال: يا أمير المؤمنين نتائج شكرها متصلة بك، وذخائر أجرها مكتوبة لك، ومالى من ذلك إلا عشق اتصال الألسن بحلو المديح فيك، فقال: يا أبا عبد الله لا تمنعناك ما يزيد فى عشقك، ويقوى من همتك، فتناولنا بما أحببت».

وحين تولى الخليفة المتوكل الخلافة صادر أموال أحمد بن أبى دؤاد^(٥)، وحبسه فأصابه فى حبسه الفالج الى أن مات^(٦).

وكان ابن أبى دؤاد عظيم الجاه، قوى النفوذ، وقد كسب نفوذه من شخصيته الفذة ومكانته من الخلفاء، وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة شأن الفرس^(٧)، وقد شغل منصبا من المناصب الواسعة النفوذ، فى عهد ثلاثة من خلفائهم: المأمون والمعتصم والواثق^(٨)، وهو الذى جعل مذهب الاعتزال مذهب الدولة الرسمية، ومن لهم قدم

(١) مرض أحمد بن أبى دؤاد فقال له المعتصم: إنى نذرت إن عافاك الله أن أتصدق بعشرة آلاف دينار، فقال له: يا أمير المؤمنين اجعلها لأهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار عنفا، فقال: نويت أن أتصدق بها ها هنا، وأن أطلق لأهل الحرمين مثلها. (الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٩ - ١٥٠).

(٢) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٦٧.
(٣) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٩، ص ٣٨ - ٣٩، ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج ٢، ص ٢٩٧، ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص ٦٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٥٦.
(٤) الحصرى: زهر الآداب، ج ٢، ص ٦٩٧، الخطيب البغدادي: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٦.
(٥) الطبرى: المصدر السابق، والجزء، ص ١٨٩، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، ج ٢، ص ٨٧ (طبعة دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

(٦) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٥٩، ابن خلكان: المصدر السابق، والجزء والصفحة.
(٧) الخطيب البغدادي: المصدر اسبق، والجزء والصفحة، الزركلى: الأعلام، ج ١، ص ١٢٠، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٨) الصفدى: الوافى بالوفيات، ج ٧، ص ٢٨١.

راسخة فى الأدب والكلام والفقه^(١)، ويصفه ابن المرتضى (بأن آثاره مشهورة)^(٢)، وقد عدّه المعتزلة فى الطبقة السابعة من طبقات رجالهم^(٣).

(٢) الخياط: الانتصار، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، ألبير نصرى نادر: فلسفة المعتزلة، ج ١، ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) المنية والامل، ج ١، ص ٥٥.

(٤) القاضى عبد الجبار: طبقات المعتزلة، ص ٢٧٦، ابن المرتضى: المنية والامل.

الفصل الرابع

أثر المعتزلة في العالم الإسلامي سياسيا وفكريا

- تمهيد
- في بغداد والمشرق
- في مصر والشام
- في المغرب

أثر المعتزلة في العالم الإسلامي سياسياً وفكرياً؛

تهديد:

تبوأَت بغداد مكانة بين المدن، لا في العالم الإسلامي إبان ازدهاره فحسب، وإنما في كافة بلدان العالم في العصور الوسطى، وترجع هذه المكانة الى ما توفر فيها من أحوال جلبت إليها الناس للاستقرار والعمل والإبداع^(١).

ولقد كان موقعها هو أنسب موقع لعاصمة في بلاد الإسلام التي امتدت من المغرب الى السند، فكانت واسطة العقد في ملك العباسيين، لوقوعها على حدود عالم العرب الذين ينسبون اليه، وعالم العجم الذي قامت دولتهم على أكتافه^(٢).

وقد كان إنشاء الخليفة المنصور (ت ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م) للعاصمة بغداد ضرورة سياسية وليس ضرورة اجتماعية^(٣)، فعلى الرغم من أن العباسيين قضوا على بنى أمية قضاء مبرماً، فإنهم لم يشعروا بالأمن بين أشد رعاياهم إخلاصاً لهم، كما أنهم لم يطمئنوا الى الاستقرار في مدن العراق الكبرى، وهي الكوفة، والحيرة، والأنبار، ولذا صمموا على تأسيس عاصمة جديدة لأنفسهم، جاء موقعها وتصميمها إيذاناً بقيام عهد جديد^(٤).

ومن الدوافع التي جعلت الخليفة المنصور يقيم عاصمة جديدة قيام حركة خطيرة من حركات الزنادقة، وهي الراوندية^(٥)، وكان المنصور دقيقاً في اختياره لموقع

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص ٤٤ - ٥٠ - ٥١، ٥٤، صالح أحمد العلي: مقدمة كتاب خطط بغداد في العهود العباسية الأولى ليعقوب ليسر، ص ٣ (مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤ م، ترجمة: صالح أحمد العلي).

(٢) عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول، ج١، ص ١٠٠.

(٣) رمزية الأطرقجي: الحياة الاجتماعية في بغداد، ص ٤٥ (مطبعة الجامعة ببغداد، الطبعة الأولى، ١٩٩٨ م).

(٤) رمزية الأطرقجي: المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٦.

(٥) الراوندية: نسبة الى راوند القريبة من أصفهان التي كانت مهد هذه الحركة التي تزعمها رجل أبرص يدعى (الأبلق) ونادى بمبادئ غريبة على الإسلام، فقد زعم أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم قد انتقلت الى علي بن أبي طالب ثم حلت في الأئمة العلويين على التوالي حتى انتهت الى الإمام العباسي إبراهيم بن محمد، واستحلت الراوندية الحرمات، وعثوا بالأداب العامة (النويختي: فرق الشيعة، ص ٤٦ - ٤٨، الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٨٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٢٦١، رمزية الأطرقجي: المرجع السابق، ص ٤٥).

مدينة بغداد^(١).

وقد نجح الخليفة المنصور فى تثبيت دعائم الدولة العباسية، ولذا ورث الخليفة المهدي (ت ١٦٦ هـ / ٧٨٣م) عن أبيه دولة مستقرة الأوضاع، وقد عبر المنصور عن ذلك بقوله لولده المهدي: «يا بنى، إنى قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلى، وجمعت لك من الموالى ما لم يجمعه خليفة قبلى، وبنيت لك مدينة لم يكن فى الإسلام مثلها»^(٢).

أصبحت بغداد فى العصر العباسي الأول أم المدائن ومركز التجارة وكعبة العلوم والآداب، ومنبع الثروة والرخاء^(٣)، وقد جعلها موقعها الجغرافي الفريد ميناء داخليا كبيرا، ومركزا عظيما للتجارة البرية، وكانت مركز ادارة دولة واسعة، كما كانت مركزا عظيما للدراسات الدينية والدراسات العلمية الأخرى، وكانت أكبر مدينة فى العالم الإسلامى الوسيط، وقد أطلق عليها بعض الباحثين اسم (سرة الدنيا)^(٤)، لما لها من مركز سياسى واجتماعى واقتصادى عالمى، ينافس سائر مراكز الحضارة فى العالم حينئذ، وأن ما كان يجرى فيها من أحداث يترك صدى عميقا فى كافة الأنحاء، عن طريق النفوذ السياسى للخلافة، وسطوة الولاة، والعلاقات التجارية التى لا تنقطع.

وسنحاول أن نعرض لصدى ذلك وأثر المعتزلة سياسيا وفكريا فى العالم الإسلامى خارج بغداد بقدر ما تسعفنا به المصادر من مادة.

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، جـ ١، ص ٦٩-٧٩.

(٢) الطبرى: تاريخ الطبرى، جـ ٨، ص ١٠٦.

(٣) حسن ابراهيم: تاريخ الإسلام السياسى، جـ ٢، ص ٣٨، رمزية الأطر قجى: الحياة الاجتماعية فى بغداد، ص ٤٩.

(٤) ليسر: خطط بغداد فى العهود العباسية الأولى، ص ١٨.

فى بغداد والمشرق

كانت مسألة خلق القرآن هى المسألة التى تركز فيها الاعتزال فى زمن الخليفة المأمون^(١)، وقد بدأ المأمون فى حمل الناس على القول بخلق القرآن سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م، وأرسل عدة كتب إلى والى بغداد إسحق بن إبراهيم أمره بامتحان القضاة والشهود والمحدثين فى خلق القرآن^(٢)، وعمل على عدم الاستعانة إلا بمن يقول بخلق القرآن^(٣)، ومن لا يقول بذلك لا يصلح لتولى أى عمل^(٤).

وبعد وفاة المأمون عمل المعتصم على حمل الناس على القول بخلق القرآن، وامتنعهم فى ذلك، وعمل على تعليم الصبية هذا المذهب^(٥)، وأسند إلى المعتزلة بعض مناصب الدولة واعتمد عليهم فى إدار شئونها^(٦).

وفى عهد الواثق كان المعتزلة فى أوج قوتهم، فحملوا الخليفة على مواصلة محنة خلق القرآن^(٧).

وقد انتشر الاعتزال فى بغداد نتيجة لسياسة الخلفاء المأمون، والمعتصم، والواثق^(٨)، وقد وجد المقدسى فى العراق كثيراً من المعتزلة، ولا سيما فى الشمال^(٩).

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج٨، ص٦٣١، الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص٧٦، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص١٥٦.

(٢) الطبرى: المصدر السابق والجزء، ص٦٣١، وما بعدها، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة ج٢، ص٢١٩ - ٢٢٢.

(٣) الطبرى: المصدر السابق والجزء ص٦٣٣، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص٦٧.

(٤) الطبرى: المصدر السابق والجزء، ص٦٣٣ - ٦٣٧، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء ص٢١٩ - ٢٢٠، أحمد أمين: المصدر السابق والجزء ص١٧٦.

(٥) السيوطى: تاريخ الخلفاء ص٣٣٤ - ٣٣٥.

(٦) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص١٤٢، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص٦٧.

(٧) المسعودى: مروج الذهب ج٢، ص٣٧٥، التنبيه والإشراف، ص٣١٣، ابن الجوزى: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص٣٤٨، أبو الفدا: تاريخ أبو الفدا ج٢، ص٣٦، الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص٧٣، القرمانى: أخبار الدول، ص١٥٦.

(٨) الجاحظ: الحيوان، ج٥، ص٥٣، التنوخى: نشبور المحاضرة، ج١، ص٢٧٤.

(٩) أحسن التقاسيم، ص١٢٦، ١٣٢.

أما في الشرق، فقد بعث واصل بن عطاء إلى خراسان^(١) حفص بن سالم فلزم المسجد في ترمذ^(٢) حتى اشتهر أمره، وناظر جهما فانتصر عليه، ولما عاد حفص إلى البصرة، رجع جهم إلى قول الباطل^(٣).

انتشر مذهب الاعتزال تحت ظل الدولة البويهية في العراق وخراسان وما وراء النهر^(٤)، فدخل فيه جماعة من مشاهير القراء^(٥).

ويقول المقدسي: إنه وجد أكثر الشيعة في بلاد العجم معتزلة، وأكثر فقائهم على الاعتزال، والأمير البويهى عضد الدولة (ت ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م) يعمل على مذهب المعتزلة^(٦)، ووجد العوام في الري^(٧) يتابعون الفقهاء في خلق القرآن، حتى لتقع العصبيات بينهم في ذلك^(٨)، وفي خوزستان كان معظم السكان المعتزلة أيضا^(٩)، وقد التقى في رام هرمز إحدى مدن خوزستان بشيخ يدرس الكلام على مذهب المعتزلة^(١٠)، أما شيعة عمان وصعدة والسروات وسواحل البحرين، فكلهم معتزلة^(١١).

وكان المعتزلة أذلاء مستضعفين في البلاد التي غلب عليها أهل السنة، وأنهم لم يكن لهم وجود ولا كيان إلا في الجهات التي غلب عليها الشيعة كفارس والعراق واليمن^(١٢).

(١) خراسان: بلاد واسعة أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص ٣٥٠ (دار صادر - بيروت - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

(٢) ترمذ: مدينة مشهورة من أمهات المدن على نهر جيحون من جانبه الشرقي. (ياقوت: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦ (دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان).

(٣) القاضي عبد الجبار: فضل الاعتزال، ص ٢٣٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٣٥.

(٤) ما وراء النهر: يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان (ياقوت: المصدر السابق، ج٥، ص ٤٥).

(٥) المقرئ: الخطط، ج٤، ص ١٨٤.

(٦) أحسن التقاسيم، ص ٤٣٩.

(٧) الري: محط الحاج على طريق السابلة وقصبة بلاد الجبال، بينهما وبين نيسابور مائة وستون فرسخا وإلى قزوین سبعة وعشرون فرسخا. (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص ١١٦).

(٨) أحسن التقاسيم، ص ٣٩٥ - ٣٩٦.

(٩) المصدر السابق، ص ٤١٥.

(١٠) المصدر السابق، ص ٤١٣.

(١١) المصدر السابق، ص ٩٦.

(١٢) زهدي جار الله: المعتزلة، ص ٢٠٧.

وكان المعتزلة أقوياء في زمن بني بويه^(١)، وكانت لهم حلقات كبيرة يدرسون فيها أصولهم وقواعدهم بدون معارضة مثل حلقة الحسن بن رجاء الدهان (ت ٤٤٧هـ / ١٠٥٥م)^(٢).

واستمر كثير من المعتزلة يشغلون مراكز عالية في القضاء مثل القاضي عبد الجبار أحمد بن عبد الجبار (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م) قاضي قضاة الري وأعمالها وأعظم شيوخ الاعتزال في ذلك العصر بعد صاحب بن عباد، والمعتزلة يلقبونه قاضي القضاة، ولا يطلقون هذا اللقب على أحد سواه ولا يعنون أحدا غيره^(٣).

ويروى السبكي أن أبا يوسف عبد السلام القزويني (ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م) كان فخوراً بالاعتزال يتظاهر به حتى على باب نظام الملك الوزير السلجوقي الأشعري فيقول لمن يستأذن عليه: قل أبو يوسف القزويني المعتزلي^(٤).

على أن المعتزلة لم يبلغوا في ذلك العصر درجة من القوة يعتد بها وبحسب حسابها إلا في وزارة صاحب بن عباد (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) لفخر الدولة البويهى، فقد استقل صاحب الوزارة ثمانية عشر عاماً (٣٦٧هـ - ٣٨٥هـ) (٩٧٧م / ٩٩٥م)^(٥)، وأطلق عليه يده في الحكم^(٦)، فبلغ صاحب حدا من القوة، ومرتبة عالية من العظمة حتى أنهم يقولون أنه لم يكن يقوم من مجلسه لأحد، ولا يشير إلى القيام، ولا يطمع أحد منه في ذلك، وكان أبناء الملوك والقواد وسائر من ساواهم من الزعماء والكبراء يحضرون إلى باب داره فيقفون على دوابهم مطرقين لا يتكلم واحد منهم هية واعظا له إلى أن يخرج الحاجب فيأمر أحدهم بالدخول أو يأمرهم بالانصراف، وكانوا إذا دخلوا عليه يقبلون

(١) ابن القيم الجوزية: الصواعق المرسلة، ج٢، ص ٨٣.

(٢) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج٣، ص ٢٥٩.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١١، ص ١١٣، السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٣، ص ٢١٩ - ٢٢٠، الزركلي: الأعلام، ج٤، ص ٤٧.

(٤) السبكي: المصدر السابق والجزء، ص ٢٣٠، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢٠٩.

(٥) ياقوت: معجم الأدباء، ج٦، ص ٢٥١.

(٦) ياقوت: المصدر السابق والجزء، ص ٢٤٧، زهدى جار الله: المرجع السابق والصفحة.

الأرض مرارا بين يديه^(١)، وقد أخذ الصاحب مذهب الاعتزال عن أبيه الحسن بن عباد بن عباس^(٢).

لما اجتمعت في يده السلطة، استخدمها في نصرة الاعتزال ونشره، فجمع حوله المعتزلة من كل صقع، وأسند إليهم المناصب العالية، وأغدق عليهم الأموال الجزيلة، فكانت الري لهم في عهد فخر الدولة كبغداد في عهد المأمون والمعتصم، وكان الصاحب لهم كما كان ابن أبي دؤاد^(٣).

بذل الصاحب جهده في نشر الاعتزال وحمل الناس على انتحاله متبعاً في ذلك شتى الطرق، فكان يناظر من يحضر مجلسه في خلق القرآن حتى يستميلهم بالحجة والإقناع^(٤)، وكان يلجأ إلى الترغيب والإغراء، فلا يوظف إلا من اتبعه في مذهبه، وقال بقوله، وقد أرسل إلى أحدهم يقول: (من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فإن آثرت العدل والتوحيد بسطنا لك الفضل والتمهيد، وأن أقمتم على الجبر فليس لكسرك من جبر)^(٥)، وقد دخل الناس في مذهب الصاحب رغبة في ما لديه^(٦).

وبعد وفاة الصاحب قام فخر الدولة بالاستيلاء على داره^(٧)، وتنكر لرجاله وأعوانه وقبض عليهم وأخذ أموالهم^(٨).

وتتابعت بعد ذلك المحن على المعتزلة، وكان آل بويه قد بدأوا يضعفون، فقام الخليفة القادر بالله (٣٨١هـ / ٤٢٢م) (٩٩١م / ١٠٣٠م) على تصنيف كتاب في الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب مذهب أهل الحديث، وكفر المعتزلة والقائلين بخلق

(١) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٢) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص ١٧٢.

(٣) زهدى جار الله: المعتزلة ص ٢١٠.

(٤) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص ٢١١ - ٢١٢.

(٥) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج ٣، ص ٢٠١، ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج ٦، ص ٢٨٦، بدوى طبانة: الصاحب بن عباد، ص ٢١٠ (سلسلة أعلام العرب، ٢٧)، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.

(٦) ياقوت الحموي: المصدر السابق والجزء، ص ٢٢٥.

(٧) أبو شجاع محمد بن الحسين: ذيل تجارب الأمم، ص ٢٦٢ (القاهرة، ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م).

(٨) ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٧٨.

القرآن، وكان الكتاب يقرأ كل جمعة بجامع المهدي ببغداد ويحضر الناس سماعه^(١).
تجلى خضوع السلطان محمود الغزنوي^(٢) (٣٦١هـ / ٤٢١هـ) (٩٧١م / ١٠٣٠م) لتعاليم الخلافة الدينية سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٨م، حين استتاب الخليفة القادر فقهاء المعتزلة، وأظهروا التبرأ من الاعتزال، واستن السلطان محمود بسنته، فقبض على المعتزلة وغيرهم من الفرق وصلبهم وحبسهم ونفاهم وأمر بلعنهم على منابر المسلمين^(٣).
ولما فتح السلطان محمود الري سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م ألقى القبض على أميرها مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه، ونفى المعتزلة من الري إلى خراسان وأحرق كتبهم وسائر كتب الفلسفة والنجوم^(٤).
عمل الكندري^(٥) وزير طغرل بك السلجوقي (٣٨٥هـ / ٤٥٥هـ) (٩٩٥م / ١٠٦٣م) على تقديم جماعة المعتزلة واستعان بهم في إدارة شئون الدولة، وذلك لأنه كان معتزليا متحمسا للاعتزال، مبغضا لمخالفيه^(٦)، ثم تمادى في ذلك فاجترأ على لعن الأشعرية^(٧).

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج٤، ص٣٨، ابن الأثير: المصدر السابق والجزء، ص٢٨٣.
(٢) هو أبو القاسم محمود بن ناصر الدولة أبي منصور سبكتكين (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م)، الملقب سيف الدولة، ثم لقبه الإمام القادر بالله يمين الدولة، كان مولعا بعلم الحديث، وقد تمسك بمذهب الإمام الشافعي، ملك بلاد خراسان، واستتب له الملك فيها، وسير له الإمام القادر بالله خلة السلطنة، ولم يزل يفتح في بلاد الهند حتى انتهى الى حيث لم تبلغه في الإسلام راية. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص١٧٥ - ١٨١ (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان).
(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، ص٢٨٧ (حيدر آباد، ١٣٨٥هـ)، عصام الدين عبد الرؤوف: الدولة الإسلامية المتقلبة في الشرق ص٨٥ (دار الفكر العربي - بدون تاريخ).
(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٦١ - ٢٦٢، زهدى جار الله: المعتزلة، ص٢١٣، عصام الدين عبد الرؤوف: المرجع السابق، ص١٩٣.
(٥) الكندري: هو أبو نصر محمد بن منصور الكندري (٤١٦هـ - ٤٥٦هـ) / (١٠٢٥م - ١٠٦٤م)، المعروف بعميد الملك، وزر لطغرل بك، ونال عنده الرتبة العالية والمنزلة الجليلة، وكان معتزليا متحمسا للاعتزال، مبغضا لمخالفيه. (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص١٠٣، السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص٢٧٠).

(٦) السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة، زهدى جار الله: المعتزلة ص٢١٤.
(٧) الأشعرية: أصحاب أبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري، (ت ٣٣٠هـ / ٩٤١م)، وقد بدأت هذه الحركة الأشعرية في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، واشتبكت في نضال مع الفرق الأخرى ومع المعتزلة بوجه خاص، والأشاعرة يشتهون صفات الباري كما وردت. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص٩٧ وما بعدها).

وأهل السنة جميعاً^(١).

وهكذا بدأت الفتنة في خراسان بين المعتزلة وبين الأشعرية، تلك الفتنة التي قال عنها السبكي: (وهي الفتنة التي طار شررها فملاً الآفاق، وطال ضررها فشمل خراسان والشام والحجاز والعراق، وعظم خطبها وبلاؤها)^(٢)، وحمل عميد الملك السلطان على إصدار أمره بالقبض على رؤساء الأشعرية في خراسان^(٣).

وقد استمرت هذه الفتنة نحو عشر سنين، وفر بسببها أمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) إلى الحجاز، وسجن فيها بعض كبار الأشاعرة^(٤)، ومن بينهم القشيري الصوفي (ت ٤٦٦ هـ / ١٠٧٤ م) الذي وضع رسالة عنوانها: «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة»، وقد نشرت هذه الرسالة، وكان لها صدى كبير في البلاد الإسلامية^(٥).

وبعد مصرع العميد الكندري أعاد نظام الملك الوزير الجديد مذهب الأشعرى، وأمر باسقاط اللعن وتاديب من فعله، وكان نظام الملك (ت ٤٨٤ هـ / ١٠٩٢ م) أشعرياً شافعيًا^(٦)، فنصر الأشعرية وبنى المدارس للتدريس فيها على أصولها، ولا سيما المدرسة النظامية في بغداد، والمدرسة النظامية في نيسابور^(٧).

ولجأ المعتزلة إلى خوارزم^(٨)، ونشروا فيها مذهبهم على يد ابن جرير الأصبهاني^(٩)،

(١) السبكي: طبقات الشافعية، ج٢، ص ٢٧٠.

(٢) السبكي: المصدر السابق والجزء والصفحة.

(٣) السبكي: المصدر السابق والجزء ص ٢٧٠ - ٢٧٢، زهدى جار الله: المرجع السابق، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج١، ص ٢١٠، إبراهيم مذكور: في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج٢، ص ٤٧ (دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٣ م).

(٥) السبكي: المصدر السابق والجزء، ص ٢٧٢ - ٢٨٨، زهدى جار الله: المعتزلة ص ٢١٥ - ٢١٦، إبراهيم مذكور: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٦) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج٢، ص ٢٧١، زهدى جار الله: المرجع السابق، ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٧) السبكي: المصدر السابق والجزء، ص ٩٠.

(٨) يقول ياقوت: ان خوارزم ليس اسماً لمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها، وهي في الإقليم السادس، ومثل خوارزم في إقليم الشرق كجلماسة في الغرب، وطباع أهل خوارزم كطباع البربر. (معجم البلدان، ج٢، ص ٣٩٥ - ٣٩٧ (دار إحياء التراث العربى، بيروت - لبنان).

(٩) هو أبو مضر محمود بن جرير الأصبهاني (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م) وكان من كبار العلماء يضرب به المثل في العلم والفضل. فاجتمع عليه أهل خوارزم لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه. (السيوطى: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ص ٣٨٦ - ٣٨٨ (القاهرة، ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ م).

وتخرج عليه جماعة من أكابرهم كمحمود الزمخشري^(١)، وقد ترك الأصبهاني في الزمخشري أثراً عميقاً، فنشأ معتزلياً قوياً في مذهبه فخوراً به^(٢)، وأصبح الزمخشري قوة للاعتزال، وداعية له، واشتغل بنشره^(٣).

يقول جمال الدين القاسمي الدمشقي: (إن هذه الفرقة - كفرقة أهل السنة والجماعة - من أعظم الفرق رجالاتها وأكثرها تابعاً. فإن شيعة العراق على الإطلاق معتزلة، وكذلك شيعة الأقطار الهندية والشامية والبلاد الفارسية، ومثلهم الزيدية في اليمن، فإنهم على مذهب المعتزلة في الأصول^(٤)).

(١) هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري وزمخشري، قرية من قرى خوارزم (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م) وهو إمام في التفسير والحديث والنحو وعلم البيان، ومن تصانيفه: «الكشاف» في تفسير القرآن و«أساس البلاغة» في اللغة. (ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٥، ص ١٦٨) (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان).

(٢) ابن خلكان: المصدر السابق والجزء، ص ١٧٠، السيوطي المصدر السابق، ص ٣٨٨.

(٣) زهدى جار الله: المعتزلة، ص ٢١٨.

(٤) تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٥٦.



فى مصر والشام

General Organization of the Alexandria Library (GOAL)

Reproduction of the original manuscript

بدأت المحنة فى مصر عندما كان المأمون لا يزال على قيد الحياة، والكتاب الخاص بالمحنة الذى أرسل إلى مصر لم يكن هو نفس الكتاب الأول الذى أرسله المأمون لعامله على بغداد إسحق بن إبراهيم، إنما هو كتاب آخر أرسله أخو الخليفة المأمون الذى كان يسمى عند توليه الخلافة بالمعتصم، وكان اسمه آنذاك أبا إسحق بن هارون الرشيد^(١)، وقد أرسله أبو إسحق إلى كيدر «نصر بن عبد الله» وإلى مصر من قبل المأمون، وورد هذا الكتاب على كيدر فى جمادى الآخرة سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م، أى بعد وصول كتاب المأمون إلى بغداد بنحو ثلاثة أشهر^(٢).

ولا تخرج التعليمات التى وردت لوالى مصر عن نظائرها الى وردت فى كتاب المأمون لحاكم بغداد، وتتلخص فى فصل القضاة ما لم يقرؤا بأن القرآن مخلوق، وإسقاط عدالة الشهود فى القضاء ما لم يقرؤا بهذه العقيدة، أى إبطال شهادتهم، ومنع الفقهاء والمحدثين فى المساجد من الإفتاء أو رواية الحديث ما لم يعلنوا إيمانهم بخلق القرآن^(٣). امتحن كيدر قاضى مصر هارون بن عبد الله الزهرى فأجاب بالقول بخلق القرآن، وامتنح الشهود، فمن توقف منهم عن القول بذلك سقطت شهادته، وامتنح القضاة وأهل الحديث وغيرهم^(٤).

وكان قاضى مصر هارون بن عبد الله إذا شهد عنده شاهدان سألهما عن القرآن، فإن أقر أنه مخلوق قبلهما وإلا أوقف شهادتهما^(٥).

(١) قال: أبو إسحق (المعتصم) فى كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم، من أبى إسحق ابن أمير المؤمنين الرشيد، أخى أمير المؤمنين إلى نصر بن عبد الله كيدر مولى أمير المؤمنين...، الكندى: الولاية والقضاة، ص ٤٤٥، وما بعدها (طبع مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨ م).

(٢) الكندى: المصدر السابق، ص ٤٤٥ - ٤٤٧. أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢١٨.

(٣) الكندى: القضاة والولاية، ص ٤٤٥ - ٤٤٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢١٨.

(٤) الكندى: المصدر السابق، ص ١٩٣، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء والصفحة، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٠٤، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٨٣.

(٥) الكندى: المصدر السابق، ص ٤٤٧.

وكان ممن حمل من أهل مصر إلى العراق أيام المحنة في عهد المأمون، الحارث بن مسكين^(١)، وكان ابن أبي دؤاد يمتحن الناس بخلق القرآن فقال للحارث: أشهد أن القرآن مخلوق، فقال: أشهد أن هذه الأربعة مخلوقة، وبسط أصابعه الأربع، فقال: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، فعرض وكنى وتخلص من القتل^(٢).

وكان كيدر يمتحن الناس حتى جاء الخبر بموت المأمون قبل أن يقبض على من طلبه المأمون^(٣)، ثم بويع المعتصم بالخلافة، وولى مصر المظفر ابن كيدر في شهر ربيع الآخر ٢١٩هـ / ٨٣٤م بعد موت أبيه كيدر، فأتاه كتاب المعتصم يأمره أن يمتحن العلماء بخلق القرآن بمصر ففعل ذلك^(٤).

ثم ولى موسى بن العباس مصر في رمضان سنة ٢١٩هـ / ٨٣٤م بعد عزل المظفر بن كيدر، فيذكر أبو المحاسن: (أنه أباد فقهاء مصر وعلماءها إلى أن أجاب غالبهم بالقول بخلق القرآن)^(٥).

وكان من أشد الناس تحمسا للقول بخلق القرآن وتعذيب من أنكر من المصريين، محمد بن أبي الليث قاضي مصر في بعض أيام المعتصم وفي أيام الواثق، وكان يناصر المعتزلة، وقد استغل المحنة في اضطهاد المالكية والشافعية وتعذيبهم والإيقاع بهم حيث كان حنفى المذهب^(٦).

(١) الحارث بن مسكين (ت ٢٥٠هـ / ٨٥٩م) محدث ثقة حمل في أيام المأمون إلى العراق، وسجن في أيام المحنة، فلما ولى المتوكل أطلقه فعاد إلى مصر وولى فيها القضاء سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م، ثم استعفى سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩م، وكان كثير الابتعاد عن الملوك. (الكندى: المصدر السابق، ص ٤٦٧، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢١٦).

(٢) أبو الفرج بن الجوزي: أخبار الأذكياء، ص ١٣٥ (تحقيق: محمد مرسى الخولى، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠م).

(٣) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج ٢، ص ٢٢٢، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٠٤ - ١٠٥، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٨٣.

(٤) الكندى: المصدر السابق ص ١٩٣، أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص ٢٢٢ - ٢٢٣، ص ٢٢٩ - ٢٣٠، باتون: المرجع السابق، ص ١٥٩، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٥) أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص ٢٣١ - ٢٣٢.

(٦) الكندى: المصدر السابق، ص ٤٤٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٨٣.

فبعض الناس لزم بيته فلم يظهر، وبعضهم هرب إلى اليمن، وقد اختفى ذون النون بن إبراهيم الأخميمي (ذو النون المصري)، ثم عاد فقبض عليه وامتنحن فأقر بالمحنة^(١).

وكان ممن أحضر من مصر لهذه الغاية نعيم بن حماد (ت ٢٢٨هـ / ٨٤٢م)، وسئل عن خلق القرآن فامتنع فحبسوه بسامراً حتى مات^(٢).

ولكن يبدو أن أمر المحنة كان سهلاً في ولاية المعتصم، ولم يكن الناس يؤخذون بها شاءوا أو أبوا حتى مات المعتصم^(٣).

ولما ولي الخليفة الواثق ورد كتابه على محمد بن أبي الليث بامتحان الناس أجمعين، فلم يبق أحد من فقيهيه ولا محدث ولا مؤذن ولا معلم حتى أخذ بالمحنة، وأمر ابن أبي الليث أن يكتب على المساجد: (لا اله إلا الله رب القرآن المخلوق)، فكتب ذلك على المساجد بفسطاط مصر، ومنع الفقهاء من أصحاب مالک والشافعي من الجلوس في المسجد وأمرهم أن لا يقربوه^(٤).

وقد حمل أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي (ت ٢٣٢هـ / ٨٤٦م)، المنقشف من مصر إلى العراق للامتحان فامتنع عن الجواب، وقيد وسجن وهو يقول: والله لأموتن في حديدي حتى يأتي من بعدي قوم يعلمون أنه مات في هذا الشأن قوم في حديدهم^(٥).

ولم يقتصر الأمر على محاكمة الولاة للناس، بل كانت مجالس الخاصة والعامة تردد هذه المسألة. فإذا جلس عالم مجلساً سأل سائل: هل القرآن مخلوق؟ وإذا خلا بعضهم إلى بعض تحدثوا في أخبار خلق القرآن، ومن حقد على آخر وأراد أن يدس له اتهمه بأنه يقول القرآن غير مخلوق^(٦).

(١) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٥٣، أحمد أمين: المرجع السابق، ج ٣، ص ١٨٤.

(٢) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٤٧، ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص ٣٦٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٦٦ - ١٦٧، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٧٢.

(٣) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٥١.

(٤) الكندي: المصدر السابق والصفحة، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء والصفحة.

(٥) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٤٧، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة ص ١٦٧ - ١٦٨، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج ٣، ص ١٨٤، زهدى جار الله: المعتزلة، ص ١٧٧.

(٦) الكندي: المصدر السابق، ص ٤٥١ - ٤٥٣، السيوطي: بغية الوعاة، ص ١٠٨ (القاهرة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م)، أحمد أمين: المرجع السابق والجزء، ص ١٨٥، زهدى جار الله: المرجع السابق ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

ولما تولى المتوكل سنة ٢٣٢هـ / ٨٤٦م لم يتحمس للقول بخلق القرآن، وأظهر الميل إلى السنة^(١)، ثم ورد كتاب المتوكل إلى والى مصر (هرثمة بن النضر الجبلى) يأمره بترك الجدل فى القرآن واتباع السنة وعدم القول بخلق القرآن، وكان هرثمة يحب السنة، فأخذ فى إظهارها والعمل بها، وفرح الناس بذلك وتباشروا بولايته^(٢).

وفى سنة ٢٣٧هـ / ٨٥١م أطلق المتوكل جميع من كان فى السجن ممن امتنع من القول بخلق القرآن فى أيام أبيه^(٣)، وأمر نائب مصر أن يحلق لحية قاضى القضاة بمصر أبى بكر محمد بن أبى الليث، وهو الذى عذب الناس فى المحنة، وأن يضربه ويطوف به على حمار ففعل، وولى القضاء بدله الحارث بن مسكين من أصحاب مالك^(٤).

أما فى الشام فقد وجدت المذاهب غير الإسلامية كالنصرانية، وكان فيها فرق أصحاب جدل كالنساطرة^(٥)، واليعاقبة^(٦)، وكان جدلهم يتعلق بطبيعة المسيح، وكان النساطرة فى

(١) الدميرى: حياة الحيوان الكبرى، ج١، ص ٧٧ (المطبعة الخيرية، مصر ١٣٠٩هـ)، الديار بكرى: تاريخ الخميس، ص ٣٣٨، المطبعة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٣هـ)، السيوطى: تاريخ الخلفاء ص ٣٤٦، القاسمى الدمشقى: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٦٩.

(٢) الكندى: القضاة والولاة، ص ١٩٧، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢٢٦.

(٣) أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص ٢٩٠.

(٤) أبو المحاسن: المصدر السابق والجزء، ص ٢٨٨ - ٢٨٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٣٤٧، أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج٣، ص ١٩٨.

(٥) النساطرة: أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون، وقال إن الله تعالى واحد ذو ألقانيم ثلاثة هى الوجود والعلم والحياة، وهى ليست زائدة على الذات ولا هى هو، وأشبه المذاهب بمذهب نسطور فى الألقانيم، أحوال أبوهاشم الجبائى من المعتزلة فإنه يثبت خواص مختلفة لشيء واحد. (الاسفرايينى: التبصير فى الدين، ص ٩١، الشهرستانى: الملل والنحل، ج٢، ص ٥٢ - ٥٣). وهو مذهب ظهر فى أنطاكية فى أواخر القرن الرابع الميلادى يشير إلى أن الطبيعتين الإلهية والبشرية لم تتحدا اتحادا كاملا فى المسيح، وتطور هذا المذهب إلى محاولة أربابه البرهنة على أن للمسيح طبيعة بشرية مكتملة، ونهى هذا المذهب عن تسمية العذراء بوالدة الإله واستبدل بها اسم والدة المسيح لأنها لم تلد لها بل إنسانا، وفرض هذا المذهب نسطوريوس بطريرك القسطنطينية، وكان سورى الأصل (السيد الباز العرينى: الدولة البيزنطية، ص ٤٤).

(٦) يعرف أقباط مصر باليعاقبة نسبة إلى يعقوب البرادعى Jacop Baradeus أسقف مدينة الرها المونوفيزيتى فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى، وقالوا بالألقانيم الثلاثة سالفة الذكر الا أنهم قالوا انقلبت الكلمة لحما ودما فصار الإله هو المسيح وهو الظاهر بجسده (الاسفرايينى: المصدر السابق والصفحة، الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ٥٤، سيده الكاشف: مصر فى فجر الإسلام، ص ٦، (طبعة دار النهضة، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٧٠)، محمد أبو زيد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى الريف المصرى، ص ٢٠ (رسالة دكتوراه، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٨٥).

الشام ينفون التشبيه كالمعتزلة، قال الشهرستاني: (ومن النسطورية من ينفي التشبيه، ويثبت القول بالقدر خيره وشره من العبد كما قالت القدرية)^(١).

وكان غيلان الدمشقي^(٢) يقول بخلق القرآن في الإسلام^(٣)، وهذا من مبادئ المعتزلة، وقد أخذ واصل بن عطاء آراءه من غيلان، قال البغدادي: (والواصلية، أتباع واصل بن عطاء، رأس المعتزلة، وداعيتهم إلى بدعتهم بعد معبد الجهنى وغيلان الدمشقي)^(٤).

كان غيلان الدمشقي والجعد بن درهم هما الرافدان لحركة الاعتزال، وقد عد البغدادي غيلان والجعد من المعتزلة^(٥).

يقول القلقشندي عن الجعد بن درهم: (وممن علت رتبته فيهم الجعد بن درهم، اجتمع على مروان بن محمد، آخر خلفاء بني أمية، وأخذ مروان عنه مذهبه في القول بالقدر وخلق القرآن، وعلت رتبته عنده وبه سمى مروان المذكور الجعدي)^(٦).

وقد ذكر ابن نباتة^(٧) أن: (الجعد مولى بني مروان أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد في دمشق، ثم طلب فهرب إلى الكوفة)^(٨).

وحينما بدأت محنة خلق القرآن ذهب الخليفة المأمون إلى دمشق سنة ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، وامتحن الناس في العدل والتوحيد، وكتب في أشخاص الفقهاء من العراق وغيرها، فامتنحهم في خلق القرآن، وكفر من يقول القرآن غير مخلوق، وكتب ألا تكتب

(١) الشهرستاني: المل والنحل، ج٢، ص ٥٤.

(٢) هو غيلان بن يونس القدرى الدمشقي، كان أبوه مولى لعثمان بن عفان، أخذ المذهب عن الحسن بن محمد بن الحنفية، وتكلم في القدر، ودعا إليه وتكلم في خلق القرآن، وكان يجمع بين القدر والإرجاء، وقتله الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (ابن قتيبة: المعارف، ص ٤٨٤ (تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر ١٩٦٩، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج١، ص ٣٠ - ٣٢، القاسمي الدمشقي: تاريخ الجهمية والمعتزلة، ص ٧٧٤، أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٨٦).

(٣) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٤) المصدر السابق، ص ٩٦.

(٥) البغدادي: المصدر السابق، ص ١٤.

(٦) صبح الأعشى، ج١٣، ص ٢٥٢.

(٧) سرح العيون، ص ١٦٢.

(٨) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٣، ص ١٩٤ (مطبعة القرى، النجف العراق، ١٣٥٨هـ).

شهادته، فقال كل بذلك إلا نفرا يسيرا^(١).

وكان إسحق بن يحيى بن معاذ بن مسلم الختلى حاكم دمشق فى عهد المأمون، كما كان حاكمها فى عهد خليفته المعتصم والوائق، وقد كتب له المعتصم إبان خلافته كتاباً أمره فيه بأن يمتحن الناس الذين تولى إمرتهم بمبدأ خلق القرآن، غير أنه ترفق بهم، ولم يأخذهم بالشدة، فيما يتعلق بإنفاذ الأمر الذى تلقاه، وقد عينه المتوكل سنة ٢٣٥هـ / ٨٤٩م حاكماً على مصر.

ولم يجد المقدسى (ت ٣٩١هـ / ١٠٠٠م) حينما زار الشام إلا قليلاً من المعتزلة، وكانوا فى خفية^(٢).

وكيفما كان الأمر، فأن الحكومة لم تعمل - فيما يبدو - سوى القليل فى انقاذ المحنة سواء فى دمشق أو فى غيرها، لأن الأشارات الخاصة بها يسيرة جداً ومقتضية.

(١) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص ٢٨٣، باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ص ١٠٦.

(٢) أحسن التقاسيم، ص ١٧٩ (تحقيق: ميخائيل جان دوغويه، مطبعة بريل ليدن، ١٩٠٦).

فى المغرب

انتشر الاعتزال فى المغرب الأقصى منذ فترة مبكرة على يد عبد الله الحارث مبعوث واصل بن عطاء، الذى أجابه خلق كثير^(١)، وقد قال واصل بن عطاء لأحد دعائه فى المغرب: (... الزم سارية المسجد سنة تصلى عندها حتى يعرف مكانك، ثم أفت بقولة الحسن سنة، ثم إذا كان يوم كذا وكذا من شهر كذا فابتدئ فى الدعاء للناس إلى الحق)^(٢). يقول البلخى: (وهناك بلد تدعى البيضاء^(٣) يقال إن فيها مائة ألف يعرف أهلها بالواصلية نسبة إلى واصل بن عطاء)^(٤).

كان قبيلة أوربة^(٥) على مذهب المعتزلة، ثم انتشر المذهب خصوصاً فى أفريقية «تونس» التى أصبحت مركزاً للدعوة فى هذا العصر^(٦)، ولم ينتشر الاعتزال بين عموم البربر لإحجامهم بطبعهم عن تقبل التأويلات النظرية والتدقيقات العقائدية التى جاء بها المعتزلة^(٧).

وقد دفع الإعجاب بهذه الصفوة المغربية الاعتزالية شاعر المشرق صفوان الأنصارى المعتزلى إلى الإشارة شعراً بزعيم واصلية المغرب فيقول:

له خلف شعب الصين فى كل ثغرة

إلى سوسها الأقصى وحلف البرابر

(١) البلخى: فضل الاعتزال، ص ٦٦ - ٦٧، عبد الجبار: طبقات المعتزلة ص ٢٣٧، ابن المرتضى: المنية والأمل، ج ١، ص ٣٥، نلينو: بحوث فى المعتزلة، ص ١٩٦.

(٢) البلخى: المصدر السابق، ص ٦٧، محمود إسماعيل: المعتزلة فى المغرب، ص ٢ - ٤ (الرباط، ١٩٧٦م).

(٣) قال عنها ياقوت: كورة فى المغرب، ولم يزد على هذا (معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٩، دار صادر بيروت، ١٣٩٧/١٩٧٧).

(٤) البلخى: المصدر السابق والصفحة.

(٥) من أهم قبائل البرانس، وكانت لها الزعامة زمن الفتح (حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٣٦ (طبعة دار الفكر العربى).

(٦) البكرى: المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ١١٨، (باريس ١٩١١م).

(٧) محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص ٧.

رجال دعاة لا يقل عظيمهم

تهكم جبار ولا كيد مكر^(١)

وقد وفدت المذاهب المختلفة إلى القيروان^(٢)، ثم آوى إليها فريق من المعتزلة أهل الرأس^(٣)، وقد وفد مذهب مالك إلى القيروان شأنه شأن غيره من المذاهب، إذ رحل إليها أكثر من ثلاثين رجلاً كلهم لقي مالك^(٤).

رحل كثير من فقهاء المغرب إلى مصر والحجاز طلباً للمزيد من فقه عالم دار الهجرة، ثم عادوا إلى بلادهم متأثرين بما سمعوا^(٥)، ثم رحل أسد بن القرات، فقيه القيروان إلى مصر^(٦)، وسمع من على بن القاسم إمام المالكية من مصر وتأثر به، ودون خلاصة مشاهداته في كتاب مشهور في تاريخ الفقه في المغرب اسمه «الأسدية»^(٧)، ثم قدم أبو سعيد سحنون بن سعيد إلى القيروان سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ م^(٨)، ورحل إلى مصر ليسمع من على بن القاسم، وأقام بالفسطاط زمناً، ثم عاد لبلده، وجمع خلاصة دراساته وقراءاته المالكية في أول كتاب ظهر في فقه مالك غير الموطأ وأسماءه (المدونة)، ويرجع إلى تحمس سحنون الغريب لمذهب مالك الفضل في دخول الناس فيه جماعات، وطار صيته إلى الأندلس، فجاءه علماء قرطبة يسمعون منه، وبدأ مذهب مالك من ذلك الوقت يدخل بلاد الأندلس وينتشر فيها^(٩).

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ج١، ص ٢٥.

(٢) القيروان: يقول عنها ياقوت أنها مدينة عظيمة بأفريقية ليس بالمغرب مدينة أجل منها (معجم البلدان ج٤، ص ٤٢٠).

(٣) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٩١ (طبعة دار الفكر العربي).

(٤) القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٢، ص ٢٦٣ (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم (٩٦٧٣٠ ح)، الدباغ: المرجع السابق والصفحة.

(٥) الدباغ: المصدر السابق والجزء والصفحة، حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي، ص ٢٥٣.

(٦) المالكي: رياض النفوس، ص ١٨١، ١٨٤ (القاهرة، ١٩٥١)، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٩١، العالم الإسلامي، ص ٢٥٣.

(٧) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٨، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٩١.

(٨) الدباغ: المصدر السابق والجزء، ص ٥٠.

(٩) المالكي: رياض النفوس، ص ٢٦٧، حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص ٩٢، العالم الإسلامي، ص ٢٥٣، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص ٨٦ - ٨٧ (منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩ م).

كره المتكلمون مذهب مالك^(١)، وقد أفتى مالك بألا يصلى على القدرية، ولا تشهد جنازتهم ولا يناكحون، ولا يصلى خلفهم، ولا يحمل عنهم الحديث، ولا يسلم عليهم، ولا يعاد مرضاهم، ولا تجوز مشاهدتهم^(٢).

ولما انتشرت فى مدارس أفريقية محنة خلق القرآن، وآراء المعتزلة، كان المالكيون أشد الناس لهم حربا، وأكثرهم عنفا فى مقاومتهم، وتمسكوا بالكتاب والسنة وهزموا المعتزلة، ولم يبق لهم بالقيروان رأى ولا أتباع، ولم يجد الأمراء مفرأ من النزول على رأى المالكية^(٣).

وإذا كان المعتزلة فى أفريقية قد تعرضوا لمحنة كبيرة لصالح المالكية التى تأخذ بظاهر القرآن وترفض التأويل وإقرار المتشابهات، إلا أن بعض الفقهاء المالكية مالوا لمبادئ المعتزلة، وبلغ الصراع الفكرى بين الطرفين مداه، فكفر بعضهم بعضا، وتبرأ المعتزلة من مخالفيهم حتى لو كانوا آباءهم أو أبناءهم^(٤).

فى الوقت الذى كان فيه مذهب الاعتزال يتعرض فى أفريقية للمحنة، كان هذا المذهب يحقق انتصارات فى المشرق حيث أصبح الاعتزال مذهب دولة بنى العباس الرسمى فى خلافة المأمون والمعتصم والواثق.

ولما كان الأغلبة فى أفريقية يتبعون مذهب بنى العباس سياسيا، فقد كان من الطبيعى أن تتبع إمارتهم الخلافة العباسية روحيا ومذهبيا، فيسود المعتزلة وتزداد قوتهم، فدارت الدائرة على المالكية وشيخهم سحنون (سراج القيروان) الذى علم أهل المغرب المذهب المالكى، واشتد تشنيعهم لتمسكه بالقول بعدم خلق القرآن حتى قرر فى النهاية ألا يفتى ولا يسمع أحدا ويلزم داره^(٥).

(١) القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ١٩٨.

(٢) القاضى عياض: المصدر السابق والجزء، ص ٢٠٥، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٩٣.

(٣) الدباغ: معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان، ج١، ص ٢٢، حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين، ص ٩٣ - ٩٤، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا، ص ٩٣ - ٩٤ (طبعة دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦م).

(٤) الملطى: التنبيه والرد، ص ١٢٠ - ١٢١، المالكى: رياض النفوس، ج١، ص ١١٤، ١٢٠ - ١٢١ (تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١م).

(٥) الدباغ: معالم الإيمان، ج٢، ص ٨٦ - ٨٨، على الشابى: مقدمة كتاب «طبقات علماء أفريقية وتونس» لأبو العرب تميم القيروانى، ص ١٤ - ١٥ (الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م)، محمد الطالبي: الدورة الأغلبية، ص ٣٦٧ (ترجمة: المنتجى الصيادى، دار الغرب الإسلامى، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م).

وفى عهد عبدالله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب تولى أبو العباس (محمد بن الأسود الصديني) القضاء بالقيروان، وهو الذى قال عنه القاضى عياض: «إنه كان خبيثا معتزليا»^(١)، فعسف وظلم وامتنح الناس^(٢).

ولم يبدأ انحسار هذا المد الاعتزالي الا منذ أن تولى المتوكل سنة ٢٣٢ هـ / ٨٤٧م الخلافة، حيث عمل على تطبيق السنة، وامتنح المعتزلة أشد الامتحان، فاضطروا الى التخفى والتستر^(٣).

ولم يكن المغرب الأوسط بمنأى عن أحداث المعتزلة، فقد شهدت فترات من تاريخه وقائع الخلاف والتقارب بين المعتزلة وبين الإباضية^(٤) الرسمية^(٥) ومن الموضوعات التى شارك فيها الإباضية رأى المعتزلة موضوعات خلق القرآن وتأويل آياته^(٦)، أما ما يتعلق بموضوعات أوجه الخلاف، فمنها مسألة القدر^(٧).

وعلى الرغم مما قام به المعتزلة الواصلية من دور معادى للأئمة بنى رستم فى عهد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم فقد حظوا بتسامح دينى الى أبعد الحدود، وحسبنا ما كان بين شيوخهم وزعماء الإباضية من محاورات على غرار ما كان يحدث بالشرق بين زعيمهم واصل بن عطاء، وبين أبى عبيدة مسلم بن أبى كريمة شيخ إباضية الشرق^(٨).

(١) القاضى عياض: ترتيب المدارك، ج١، ص ٧٠ - ٧١، على الشايبى: مقدمة المصدر السابق، ص ١١

(٢) القاضى عياض: المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١ ب.

(٣) الخشنى: طبقات علماء أفريقية، ص ٢٥٧ (القاهرة، ١٣٧٢ هـ)، محمود إسماعيل: المعتزلة فى المغرب، ص ١٨ - ١٩.

(٤) الإباضية: أصحاب عبد الله بن إباض الذى خرج فى أيام مروان بن محمد، وقال: إن مخالفينا من أهل القبلة كفار غير مشركين ومناكحتهم جائزة، وموارثهم حلال وغنيمة أموالهم عند الحرب حلال، وقد غلب مذهب الخوارج الإباضية على بلاد المغرب الأدنى، وانتشر بين قبائله وخاصة نفوسة وهوارة (الشهرستانى: الملل والنحل، ج١، ص ١٤١، محمود إسماعيل: الخوارج فى المغرب الإسلامى، ص ٦٢).

(٥) نسبة الى عبد الرحمن بن رستم الفارسى الإباضى وإليه يعزى الفضل فى تكوين دولة للخوارج الإباضية كان حكمها فى أسرته من بعده (محمود إسماعيل: الخوارج فى المغرب الإسلامى، ص ١٠٦).

(٦) بل: الفرق الإسلامية فى الشمال الأفريقى، ص ١٤٣ (ترجمة عبد الرحمن بدوى، بنگازى ١٩٦٩م)، نلينو: بحوث فى المعتزلة ص ٢٠٤ - ٢٠٦.

(٧) الشهرستانى: المصدر السابق والجزء، ص ١٤٧.

(٨) الدرجنينى: طبقات الإباضية، ج١، ورقة ١٠٥ (مخطوط) بدار الكتب رقم (١٢٥٦١ح)، محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص ٢٢١.

وقد تشجع الواصلية الضاريون في كنف الدولة الرستمية، وهوا المناوأة للإمامة الإباضية في تاهرت اعتقاداً منهم بخروج عبد الوهاب على الشريعة واغتصابه الامامة، ولم تقتصر حركتهم على واصلية الدولة الرستمية فحسب، بل ضمت كافة عناصرهم في المغربين الأوسط والأقصى^(١)، غير أن الغلبة كانت في النهاية للإباضية فكسرت شوكة المعتزلة وظلوا ما بين مهاجر الى المغرب الأقصى أو باق في تاهرت (عاصمة الإباضية الرستمية) الى أن حل الضعف بالإمامة الرستمية، فعادوا الى الحرب الكلامية مع المعتزلة^(٢).

وقد أذكى هذا التنافر بين الواصلية والإمامة الرستمية عوامل مذهبية وقبلية^(٣)، إذ لا يخفى لاعداء التقليدي بين الخوارج والمعتزلة - أو الواصلية - الناجم عن الخلاف الفكري بينهما^(٤).

ولم يختلف دور المعتزلة في المغرب الأقصى عن دورهم في المغربين الأدنى والأوسط، فقد أصبحت دولة الأدراسة موطناً للمعتزلة، وكانت قبيلة أوربة التي ساندتها تدين بمذهب الاعتزال^(٥).

يقول الشهرستاني^(٦) وابن المرتضى^(٧): (... وبالمغرب الآن منهم شرذمة قليلة في بلد إدريس بن عبد الله الحسني، والذي خرج بالمغرب في أيام أبي المنصور، ويقال لهم الواصلية، واعتزلهم على أربع قواعد: الأولى: القول بنفي صفات الباري تعالى من العلم

(١) الدرجيني: طبقات الإباضية، ج١، ورقة ٢٦ (مخطوط).

(٢) ابن الصغير المالسكي: أخبار الأئمة الرستميين، ص ٥٦، ٢٢٢ (نشر موتيلنسكي، باريس، سنة ١٩٠٧).

(٣) كانت قبيلة لواتة الإباضية على عداء مرير لبعض بطون زناتة الواصلية (محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص ١٢٠).

Masqueray, E: Chronique D, Abou Zakaria, P. 120 (Alger, 1887).

(٤) اختلف المعتزلة مع الخوارج في مسألة مرتكب الكبيرة والرأى في أصحاب صفين. (الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٥٥-٥٦).

(٥) مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٥٠، الإسكندرية، ١٩٦٨.

(٦) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ٥٣-٥٦.

(٧) ابن المرتضى: المنية والأمل، ج٢، ص ١٥١-١٥٤.

والقدرة والإرادة والحياة، والثانية: القول بالقدر، والثالثة: القول بالمنزلة بين المنزلتين، والرابعة: قوله في الفريقين من أصحاب الجمل وأصحاب صفين أن: أحدهما مخطئ لا بعينه، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة).

وكان المعتزلة يعتبرون أن عبد الله إدريس الأكبر من رجال الطبقة الثالثة من طبقاتهم^(١).

كانت مراكز المعتزلة في المغرب الأقصى في طنجة، وليلى، وايزرج، (مدينة قرب تاهرت)^(٢)، وبلغ عددهم وفقا للإحصاءات التي أوردها المؤرخون ٣٠ ألف معتزلي^(٣). وكان إدريس الثاني وراء تمرد الواصلية على عبد الوهاب الرستمى سنة ١٩٥ هـ / ٨١١ م^(٤)، فمن المعروف أن طنجة كانت معقلا لواصلية المغرب^(٥)، وأن أوربة دانست بمذهب الواصلية، كما أقبلت بعض بطون زناتة على اعتناقه كذلك^(٦)، وبديهي ألا تقطع الصلة بين الواصلية الضاربين خارج تاهرت وبين معاقلهم في دولة الأدارسة^(٧).

ولقد ظل المعتزلة في المغرب على اتصال بمعتزلة الشرق إلى أن تغلب التشيع بقيام الدولة الفاطمية الشيعية الإمامية سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٠ م، ويخبرنا المقدسى: أنه نظر في كتب الفاطميين الشيعة في شمال أفريقيا فوجد أنهم يوافقون المعتزلة في أكثر الأصول^(٨)، ولم يعثر المقدسى في الأندلس للمعتزلة على أثر، فقد كان الأندلس جميعا مالكيين،

(١) ابن المرتضى: المصدر السابق، ج١، ص ٢٤.

(٢) البعقوبي: البلدان، ص ٨٠ (طبعة لندن، ١٨٩١ م)، سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، ص ٣٣٧.

(٣) البكري: المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، ص ٦٧، ابن خلدون: العبر، ج٦، ص ١٢١ (القاهرة، ١٢٨٤ هـ).

(٤) أبو زكريا: السيرة وأخبار الأئمة ورقة ١٩ (مخطوط) بدار الكتب المصرية رقم (٩٠٣٠ ح)، محمد على دبور: تاريخ المغرب الكبير ج٣، ص ٤٨٥ (القاهرة - ١٩٦٣ م)، محمود إسماعيل: الخوارج في المغرب، ص ١٤٨.

(٥) أبو زكريا: المصدر السابق والصفحة، محمود إسماعيل: المرجع السابق والصفحة.

(٦) أبو زكريا: المصدر السابق والصفحة.

(٧) محمود إسماعيل: المرجع السابق والصفحة.

(٨) أحسم التقاسيم، ص ٢٣٨.

وكانوا إذا وقفوا على معتزلى أو شيعى قتلوه^(١)، ويرى بعض الباحثين المحدثين أن من أهم العوامل التى حملت الأندلسيين على الإعجاب بالمذهب المالكى موافقته لطبيعتهم العقلية فهو مذهب يعتمد على النص، ولا يفسح المجال كثيرا للعقل^(٢).

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٦.

(٢) منى حسن محمود: المسلمون فى الأندلس، ص ٢٤٢ (طبعة دار الفكر العربى، القاهرة ١٩٨٦م).

خاتمة

خاتمة

ظهرت المعتزلة كفرقة دينية فى عهد الدولة الأموية، فى بداية القرن الثانى الهجرى - الثامن الميلادى. وفى العصر العباسى تكونت للاعتزال مدرستان كبيرتان هما: مدرسة البصرة، ومدرسة بغداد، وقد غلب على هذه الفرقة اسم المعتزلة، وأهل العدل والتوحيد، وهناك أسماء أخرى عديدة سمووا أنفسهم بها، أو أطلقها الغير عليهم، نكاية بهم، كما أن هناك أسماء أخرى لهم مقتصرة على فرقة، أو مشتقة من عقيدة ثانوية من عقائدهم.

وقد اختلف مؤرخو الفرق حول الأصل التاريخى لنشأة المعتزلة، ولكن يبدو أن روح المعتزلة كانت لها جذور فى أحداث الفتن التى وقعت منذ حرب الجمل، ومن ثم فإن المعتزلة المتكلمين امتداد للمعتزلة السياسيين الذين وقفوا موقف الحياد فى النزاع بين أنصار على ومعاوية، ثم بين أنصار ذرية على والخلفاء الأمويين فيما بعد، وأن اسم الاعتزال مذهب ذو مبادئ لا مجرد انفصال من مجلس الى آخر.

وللمعتزلة أصول خمسة هى: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكانت هذه الأصول وليدة للمناقشات التى تقوم بينهم وبين مخالفيهم.

وقد ظلت البصرة مركزا لحركة الاعتزال حتى قامت العاصمة بغداد، واستقر بعض رجال الحركة فيها، وقد أخذ معتزلة بغداد الاعتزال عن معتزلة البصرة، وقد التف رجال الاعتزال حول الخليفة المأمون، وكان المأمون يميل إلى الأخذ بمذهب المعتزلة فقرب أتباع هذا المذهب إليه، ووافق المعتزلة فيما ذهبوا إليه من أن القرآن مخلوق، وعمد إلى تسخير قوة الدولة فى إرغام الناس على القول بخلق القرآن.

ولم تتضح معالم اعتناق المأمون لمبادئ المعتزلة إلا فى الفترة الأخيرة من سنوات حياته من سنة (٢١١هـ / ٨٢٦م) إلى سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م).

وبعد وفاة المأمون، عمل الخليفة المعتصم (٢١٨هـ / ٨٣٣م - ٢٢٧هـ / ٨٤١م) على حمل الناس على القول بخلق القرآن، وأمر المعلمين أن يعلموا الصبيان ذلك.

ولما تولى الواثق (٢٢٧ هـ / ٨٤١ م - ٢٣٢ هـ / ٨٤٦ م) تعصب للقول بخلق القرآن عن علم وعقيدة.

كان الاعتزال في البصرة مذهبا نظريا، أما في بغداد فقد كان عمليا متأثرا بالدولة قريبا من الخلفاء.

خالف المعتزلة السلف في فهم العقائد، وكانت طريقتهم في فهمها عقلية خالصة، وعملوا على تطبيق الأحكام العقلية على العقائد الدينية، وكانت أصولهم الخمسة وما تفرع منها من آراء القاعدة الأساسية في محاوراتهم مع النصوص سواء كانت قرآنا أو سنة، فكان ما يعارض مبادئهم من آيات يؤولونها، وما يعارضها من أحاديث ينكرونها، وقاموا بتأويل الآيات التي تثبت الرؤية لله، وآيات التجسيم والتشبيه، والآيات التي تقول بالجبر والقدر، وكان موقفهم من الحديث كثيرا ما يكون موقف المشكك في صحته، وأحيانا موقف المنكر له، لأنهم يحكمون العقل في الحديث لا الحديث في العقل، وقالوا عن الأحاديث التي توحى بالجبر أنها رواية آحاد، وخبر الواحد لا يؤخذ به في أصول العلم، وذهب المعتزلة إلى جواز وقوع الكذب في خبر المتواتر من الحديث.

أما موقفهم من الصحابة فقد وضعوهم في موضع عامة الناس يخطئون ويصيبون، ويصدر عنهم ما يمدح ويذم، ولم يسلم بعض الصحابة من سب المعتزلة.

واتهم المعتزلة الفقهاء والمحدثين في دينهم، في وقت أن صارت لهم قوة في الدولة العباسية، واستغلوا نفوذهم في بلاط الخلافة، فأنزلوا بالفقهاء والمحدثين الاضطهاد والحبس زمن الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق، وحملوهم على الأخذ بآرائهم وأقوالهم بالقوة.

وكان من الطبيعي أن يتخذ الفقهاء نفس الموقف وأن يكيلوا لهم الصاع صاعين حين تهيأت لهم الفرصة بعد زوال نفوذهم، وأقول نجمهم في عصر الخليفة المتوكل، حيث أظهر السنة، ونهى عن القول بخلق القرآن، وأجرى الأرزاق على الفقهاء والمحدثين، وشن الفقهاء الغارة على المعتزلة وآرائهم.

وبالنظر في عقيدة المعتزلة في أوامر الدين ونواهيه، فإنهم يعتبرون من طائفة العقلانيين

الذين يقولون بسلطان العقل وفهمه لطبائع الأشياء وكثير من التهم التي وجهت إلى المعتزلة لم تصدر عن انصاف، بل كان التحيز رائد المتهمين، وليس من العدل أن ترمى المعتزلة جميعهم بضلالات بعضهم.

وقد أيد الأمام محمد عبده المعتزلة فيما ذهبوا إليه من حرية الفرد واختياره، وذهبوا إلى آراء جديدة وغريبة، وقالوا بما لم يجرؤ أحد غيرهم أن يقوله.

فتح المعتزلة النافذة الأولى التي دخل منها فلاسفة المسلمين إلى علوم اليونان، إذ دفعهم الجدل إلى استقراء الكتب اليونانية المترجمة إلى العربية مباشرة، أو عن طريق غير مباشر، وعمل المعتزلة على التوفيق بين الدين الإسلامى، وبين الفلسفة اليونانية، وذلك جعلهم يتأثرون بالفلسفة كثيراً، ويصبغون بها معظم أقوالهم، وتأثر المعتزلة بالفلسفة اليونانية فى آرائهم وتعاليمهم، وكانوا أكثر الطوائف الإسلامية تمثلاً للفلسفة اليونانية واستخدماً لها فى جدلهم الدينى، واستطاعوا أن يلائموا بين الثقافة الإسلامية والواضحة الثقافة الهيلينية المعقدة.

أدرك المعتزلة أثر الأدب فى إكمال الثقافة، وتنوير العقول، فأنكبوا عليه يدرسونه ويتزودون منه، وقد أسهم المعتزلة فى النهوض بالأدب، من حيث المعانى وقوة العقل وتوليد الأفكار العقلية، وجعلوا من موضوعاته الحيوان، والبخلاء، والقيان، والتجار، والمعلمين.. إلخ.

وقد ازدهر النثر فى هذا العصر، وامتد ليستوعب العلوم والفلسفة، وقد أبرز المعتزلة الاتجاه إلى المناظرات والجدل فى النثر العربى، واتسعت فى العصر العباسى المناظرات الكلامية، وحمل لواءها المعتزلة.

وقد عكس السمو العقلى الذى اختص به المعتزلة على نفوسهم طائفة من الصفات الخلقية التى من أبرزها الحرية العقلية والنظر إلى عامة الناس نظرة تشوبها روح السخرية والتهكم.

وقد تأثر كثير من الشعراء ببيئة المعتزلة، واستخدموا فى أشعارهم بعض ألفاظ المتكلمين ومصطلحاتهم، وكثير من الشعراء خصوا شعرهم للدفاع عن آراء المعتزلة.

ومن أشهر علماء المعتزلة في بغداد: بشر بن المعتمر (ت ٢١٠هـ / ٨٢٥م)، المرداد (ت ٢٢٦هـ / ٨٤٠م)، وجعفر بن مبشر (ت ٢٣٤هـ / ٨٤٨م)، وجعفر بن حرب (ت ٢٣٦هـ / ٨٥٠م)، وثمامة بن الأشرس (ت ٢١٣هـ / ٨٢٨م)، وأحمد بن أبي دؤاد (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).

تركز الاعتزال في زمن المأمون في مسألة خلق القرآن، وسميت (بالمحنة)، وظلت هذه المسألة موضع اهتمام الدولة من سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) إلى سنة (٨٣٤هـ / ٨٤٨م)، وحمل المأمون الناس على القول بخلق القرآن سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م) وامتحان القضاة والفقهاء والمحدثين، وتركزت رئاسة المعارضة في أحمد بن حنبل.

واقعدى المعتصم (٢١٨هـ / ٨٣٣م - ٢٢٧هـ / ٨٤١م) بأخيه المأمون في حمل الناس على القول بخلق القرآن، واستمر في المحنة.

ولما تولى الواثق (٢٢٧هـ / ٨٤١م) اقتدى بكل من المأمون والمعتصم في القول بخلق القرآن، وتشدد في المحنة، ولما اشتد نفور الناس من المحنة وعظم حنقهم عليها اتجهوا إلى الفتنة، فدبروا مؤامرة تزعمها أحمد بن نصر الخزاعي للخروج على الخليفة، وجمع حوله من أنكر القول بخلق القرآن، غير أن الخليفة قتله وصلبه في بغداد، ولكن مع تعصب الواثق للاعتزال إلا أنه رجع عن القول بخلق القرآن قبل موته.

ولما بويع المتوكل بالخلافة سنة (٢٣٢هـ / ٨٤٦م) لم يتحمس للقول بخلق القرآن ففترت حركة الامتحان، وأبطل المتوكل هذا القول ونهى عن الجدل فيه وأظهر السنة.

وقد أخطأ المعتزلة في المحنة لأنهم هدموا أعظم ركن من أركان مذهبهم وهو القول بحرية الفرد في اختيار أفعاله في الوقت الذي فرضوا فيه عقيدة خلق القرآن على الناس فرضاً وأرغموهم على ذلك.

ولم يقتصر الأمر على محاكمة الولاة للناس وامتحانهم في القول بخلق القرآن في مصر. بل كانت مجالس الخاصة والعامة تردد هذه المسألة، فإذا جلس عالم مجلساً سألته السائل، هل القرآن مخلوق؟ ومن حقد على آخر، وأراد أن يدس له اتهمه بأنه يقول القرآن غير مخلوق.

وفى الشام قام الخليفة المأمون بنفسه بامتحان الناس فى دمشق فى عقائد المعتزلة سنة (٢١٨هـ / ٨٣٣م)، غير أن الحكومة لم تعمل سوى القليل فى إنفاذ المحنة فى دمشق. أما فى بغداد فقد كان مسألة خلق القرآن هى المسألة التى تركز فيها الاعتزال فى عهد الخلفاء المأمون والمعتصم والواثق.

وقد كان لهذه المحنة أثرا كبيرا فى المشرق الإسلامى سياسياً وفكرياً، فقد انتشر مذهب الاعتزال تحت ظل الدولة البويهية فى العراق وخراسان وما وراء النهر، وكان المعتزلة مستضعفين فى البلاد التى غلب عليها أهل السنة.

وقد شغل المعتزلة مراكز عالية فى القضاء مثل القاضى عبد الجبار (ت ٤١٤هـ / ١٠٢٣م) قاضى قضاة الرى وأعمالها، غير أن المعتزلة لم يصلوا إلى درجة من القوة يعتد بها إلا فى وزارة الصاحب بن عباد (٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، وقد بذل الصاحب جهده فى نشر الاعتزال وحمل الناس على انتحاله متتبعا فى ذلك شتى الطرق من مناظرة بالحجة والإقناع إلى الترغيب والإغراء.

قام السلطان محمود الغزنوى (ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) بمحاربة المعتزلة وحبسهم ونفاهم وأمر بلعنهم على المنابر، ثم لجأ المعتزلة إلى خوارزم ونشروا فيها مذهبهم، وكان من علمائهم محمود الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٣م).

وقد انتشرت محنة خلق القرآن فى أفريقيا (تونس) وكان المالكيون أشد الناس حربا لها، وتمسكوا بالكتاب والسنة وهزموا المعتزلة، ولم يكن المغرب الأوسط بمنأى عن خضم أحداث المعتزلة، فقد شهدت فترات من تاريخه وقائع الخلاف والتقارب بين المعتزلة وبين الإباضية، ولم يختلف دور المعتزلة فى المغرب الأقصى عن دورهم فى المغربين الأدنى والأوسط، فقد أصبحت دولة الأدارسة موطئا للمعتزلة، وكانت قبيلة أوربة التى ساندتها تدين بمذهب الاعتزال.

ولقد ظل المعتزلة فى المغرب على اتصال بمعتزلة الشرق إلى أن تغلب التشيع بقيام الدولة الفاطمية (٢٩٦هـ / ٩٠٠م).



الملاحق



ملحق رقم (١)

خطبة واصل بن عطاء التي جانب فيها الرءا^(١)

الحمد لله القديم بلا غاية، والباقي بلا نهاية، الذي علا في دنوه، ودنا في علوه، فلا يحويه زمان، ولا يحيط به مكان، ولا يؤوده حفظ ما خلق، ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداء، وعد له اصطناعا، فأحسن كل شيء خلقه وتم مشيئته، وأوضح حكمته، فدل على ألوهيته، فسبحانه لا معقب لحكمه، ولا دافع لقضائه، تواضع كل شيء لعظمته، وذل كل شيء لسلطانه، ووسع كل شيء فضله، لا يعزب عنه مثقال حبه وهو السميع العليم، وأشهد ألا اله إلا الله وحده لا مثيل له، الها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه، علا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول، ولا الأفهام، يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما يفعلون، وأشهد شهادة حق، وقول صدق، بإخلاص نية، وصدق طوية، أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه، وخالسته وصفيه، ابتعثه إلى خلقه بالبينات والهدى ودين الحق، فبلغ مآلكته^(٢)، ونصح لأمته، وجاهد في سبيله، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يصدده عنه زعم زاعم، ماضيا على سنته، موفيا على قصده، حتى أتاه اليقين. فصلى الله على محمد وعلى آل محمد أفضل وأزكى وأتم وأجل وأعلى صلاة صلاها على صفوة أنبيائه، وخالصة ملائكته، وأضعاف ذلك، إنه حميد مجيد.

أوصيكم عباد الله مع نفسى بتقوى الله والعمل بطاعته، والمجانبة لمعصيته، فأحضكم على ما يدينكم منه، ويزلفكم لديه، فإن تقوى الله أفضل زاد، وأحسن عاقبه في معاد. ولا تلهينكم الحياة الدنيا بزييتها وخدعها، وفواتن لذاتها، وشهوات آمالها، فإنها متاع قليل، ومدة إلى حين، وكل شيء منها يزول.

(١) نوادر المخطوطات، جـ ٢، ص ١٣٤ - ١٣٦ (تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٣٧١هـ / ١٩٥١م، مطبعة السعادة بمصر).

(٢) المألكة: الرسالة.

فكم عاييتم من أعاجيبها، وكم نصبت لكم من حبالها، وأهلكتم من جنح إليها واعتمد عليها، أذاقتهم حلوا، ومزجت لهم سما. أين الملوك الذين بنوا المدائن، وشيدوا المصانع، وأوثقوا الأبواب، وكاثفوا الحجاب، وأعدوا الجياد، وملكوا البلاد، واستخدموا التلاد؟ قبضتهم بمخلبها، وطحتهم بكلكلها، وعضتهم بأنيابها، وعاصتهم من السعة ضيقا، ومن العز ذلا، ومن الحياة فناء، فسكنوا اللحد، وأكلهم الدود، وأصبحوا لا تعين إلا مساكينهم، ولا تجد إلا معالمهم، ولا تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم نبسا، فتزودوا عافاكم الله فإن أفضل الزاد التقوى، واتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون. جعلنا الله وإياكم ممن ينتفع بمواعظه، ويعمل لحظه وسعادته، ومن يستمع القول فيتبع أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولوا الألباب.

أن أحسن قصص المؤمنين، وأبلغ مواعظ المتقين كتاب الله، الزكية آياته، الواضحة بيناته، فإذا تلى عليكم فاستمعوا له، وأنصتوا لعلكم تهتدون.

أعوذ بالله القوي، من الشيطان الغوى، إن الله هو السميع العليم.

بسم الله الفتاح المنان، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد.

نفعنا الله وإياكم بالكتاب الحكيم، وبالآيات والوحي المبين، وأعاذنا وإياكم من العذاب الأليم. وأدخلنا وإياكم جنات النعيم. أقول ما به أعظكم، وأستعيب الله لى ولكم.

ملحق (٢)

كتاب المأمون الأول إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين^(١)؛

أما بعد، فإن حق الله على أئمة المسلمين وخلفائهم الاجتهاد في إقامة دين الله الذي است حفظهم، وموارث النبوة التي أورثهم، وأثر العلم الذي استودعهم، والعمل بالحق في رعيته، والتشجيع لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمة الرشد وصريحته، والإقسط فيما ولاه الله من رعيته برحمته وامتته، وقد عرف أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم والسواد الأكبر من حشو الرعية وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا روية ولا استدلال له بدلالة الله وهدايته، والاستضاءة بنور العلم وبرهانه في جميع الأقطار والآفاق أهل جهالة بالله، وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده والإيمان به ونكوب عن واضحات أعلامه وواجب سبيله، وقصور أن يقدروا الله حق قدره، ويعرفوه حق معرفته، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم ونقص عقولهم وجفائهم عن التفكير والتذكر، وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى وبين ما أنزل من القرآن، فأطبقوا مجتمعين، واتفقوا غير متعاجمين، على أنه قديم أول لم يخلقه الله ويحدثه ويخترعه، وقد قال الله عز وجل في محكم كتابه الذي جعله لما في الصدور شفاء، وللمؤمنين رحمة وهدى: (إنا جعلناه قرآنا عربيا)^(٢)، فكل ما جعله الله فقد خلقه، وقال: (الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور)^(٣)، وقال عز وجل: (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق)^(٤)، فأخبر أنه قصص لأمر أحدثه بعدها وتلا به متقدمها، وقال: (الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير)^(٥)، وكل محكم مفصل فله محكم مفصل، والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه.

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٦٣١ - ٦٣٤ (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٦ م)

(٢) سورة الزخرف، آية ٣

(٣) سورة الأنعام، آية ١

(٤) سورة طه، آية ٩٩

(٥) سورة هود، آية ١، ٢

ثم هم الذين حاولوا بالباطل فدعوا إلى قولهم، ونسبوا أنفسهم إلى السنة، وفي كل فصل من كتاب الله قصص من تلاوته مبطل قولهم، ومكذب دعواهم، يرد عليهم قولهم ونحلستهم. ثم أظهروا - مع ذلك - أنهم أهل الحق والدين والجماعة، وأن من سواهم أهل الباطل والكفر والفرقة، فاستطالوا بذلك على الناس، وغروا به الجهال حتى مال قوم من أهل السميت الكاذب، والتخشع لغير الله، والتكشف لغير الدين إلى موافقتهم عليه، ومواطأتهم على سبى آرائهم، تزينا بذلك عندهم وتصنعا للرياسة والعدالة فيهم، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا دون الله وليجة إلى ضلالتهم، فضلت بتزكيتهم لهم شهادتهم، ونفذت أحكام الكتاب بهم على دغل دينهم، ونفل أديهم، وفساد نياتهم ويقىينهم. وكان ذلك غايتهم التى إليها أجروا، وإياها طلبوا فى متابعتهم والكذب على مولاهم، وقد أخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه، أولئك الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها)^(١).

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة ورؤوس الضلالة، المنقوصون من التوحيد حظاً، والمخسوسون من الإيمان نصيباً، وأوعية الجهالة وأعلام الكذب ولسان إبليس الناطق فى أوليائه، والهائل على أعدائه، من أهل دين الله، وأحق من يتهم فى صدقه، وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله، فإنه لا عمل إلا بعد يقين، ولا يقين إلا بعد استكمال حقيقة الإسلام، وإخلاص التوحيد، ومن عمله والقصد فى شهادته أعمى وأضل سبيلاً. ولعمر أمير المؤمنين أن أحجى الناس بالكذب فى قوله، وتخرص الباطل فى شهادته فى حكم الله ودينه من رد شهادة الله على كتابه، وبهت حق الله بباطله.

فأجمع من بحضرتك من القضاة، وقرأ عليهم كتاب أمير المؤمنين هذا إليك، فابداً بامتحانهم فيما يقولون وتكشيفهم عما يعتقدون، فى خلق الله القرآن وإحداثه، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله، ولا واثق فيما قلده الله، واستحفظه من أمور رعيته بمن لا يوثق بدينه وخلوص توحيده ويقىينه، فإذا أقروا بذلك ووافقوا أمير المؤمنين فيه، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة. فمرهم بنص من يحضرهم من الشهود على الناس

(١) سورة محمد، آية ٢٤

ومساءلتهم عن علمهم فى القرآن، وترك إثبات شهادة من لم يقر أنه مخلوق محدث ولم
يره، والامتناع من توقيعها عنده، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يأتىك عن قضاة أهل عملك
فى مسائلهم، والأمر لهم بمثل ذلك، ثم أشرف عليهم وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ أحكام
الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدين والإخلاص للتوحيد، واكتب إلى أمير المؤمنين بما
يكون فى ذلك أن شاء الله.

ملحق رقم (٣)

كتاب المأمون الثالث إلى إسحق بن إبراهيم يأمره بالتوسع في امتحان الناس؛^(١)

أما بعد، فإن من حق الله على خلفائه في أرضه، وأمنائه على عباده، الذين ارتضاهم لإقامة دينه، وحملهم رعاية خلقه وإمضاء حكمه ونسنته والالتزام بعد له في بريته أن يجهدوا لله أنفسهم، وينصحوا له فيما استحفظهم وقلدهم، ويدلوا عليه - تبارك اسمه وتعالى - بفضل العلم الذي أودعهم، والمعرفة التي جعلها فيهم، ويهدوا إليه من زاغ عنه، ويردوا من أدبر عن أمره، وينهجوا لرعاياهم سمت نجاتهم، ويقفوه على حدود إيمانهم وسبيل فوزهم وعصمتهم، ويكشفوا لهم مغطيات أمورهم ومشتبهاتها عليهم، بما يدفون الريب عنهم، ويعود بالضياء والبينة على كافتهم، وأن يؤثروا ذلك من إرشادهم وتبصيرهم، إذ كان جامعا لفنون مصانعهم، ومتظما لحظوظ عاجلتهم وآجلتهم، ويتذكروا الله مرصد من مساءلتهم عما حملوه، ومجازاتهم بما أسلفوه وقدموا عنده، وما توفيق أمير المؤمنين برويته، وطالعه بفكره، فتبين عظيم خطره، وجليل ما يرجع في الدين من وكفه وضرره، ما ينال المسلمون بينهم من القول في القرآن الذي جعله الله إماما لهم، وأثرا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفيه محمد صلى الله عليه وسلم بإقبالهم، واشتباؤه على كثير منهم، حتى حسن عندهم، وتزين في عقولهم ألا يكون مخلوقا، فتعرضوا بذلك لدفع خلق الله الذي بان به عن خلقه، وتفرد بجلالته، من ابتداع الأشياء كلها بتحكمته وإنشائها بقدرته، والتقدم عليها بأوليته التي لا يبلغ أولاهها، ولا يدرك مداها، وكان كل شيء دونه خلقا من خلقه، وحدثا هو المحدث له، وإن كان القرآن ناطقا به ودالا عليه، وقاطعا للاختلاف فيه، وضاهوا به قول النصارى في دعائهم في عيسى بن مريم: إنه ليس بمخلوق، إذ كان كلمة الله، والله عز وجل يقول: (أنا جعلناه قرآنا عربيا)^(٢)، وتأويل

(١) الطبري: تاريخ الطبري، ج ٨، ص ٦٣٤ - ٦٣٧

(٢) سورة الزخرف، آية ٣

ذلك أنا خلقناه كما قال جل جلاله: (وجعل منها زوجها ليسكن إليها)^(١)، وقال: (وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا)^(٢)، (وجعلنا من الماء كل شيء حي)^(٣)، فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التي ذكرها في شية الصنعة، وأخبر أنه جاعله وحده فقال: (بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ)^(٤)، فدل ذلك على إحاطة اللوح بالقرآن، ولا يحاط الا بمخلوق، وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم: (لا تحرك به لسانك لتعجل به)^(٥)، وقال: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث)^(٦)، وقال: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته)^(٧)، وأخبر عن قوم ذمهم بكذبهم أنهم قالوا: (ما أنزل الله على بشر من شيء)^(٨)، ثم أكذبهم على لسان رسوله فقال لرسوله: (قل من أمز الكتاب الذي جاء به موسى)^(٩)، فسمى الله تعالى القرآن قرآنا وذكرنا وإيمانا ونورا وهدى ومباركا وعربيا وقصصا، فقال: (نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن)^(١٠)، وقال: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله)^(١١)، وقال: (قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)^(١٢)، وقال: (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)^(١٣)، فجعل له أولا وآخر، ودل عليه أنه محدود مخلوق.

وقد عظم هؤلاء الجهلة بقولهم في القرآن الثلم في دينهم. والحرص في أمانتهم، وسهلوا

(١) سورة الأعراف، آية ١٨٩

(٢) سورة النبأ، آية ١١

(٣) سورة الأنبياء، آية ٣٠

(٤) سورة البروج، آية ٢١ - ٢٢

(٥) سورة القيامة، آية ١٦

(٦) سورة الأنبياء، آية ٢

(٧) سورة الأنعام، آية ٢١

(٨) سورة الأنعام، آية ٩١

(٩) سورة الأنعام، آية ٩١

(١٠) سورة يوسف، آية ٣

(١١) سورة الاسراء، آية ٨٨

(١٢) سورة هود، آية ١٣

(١٣) سورة فصلت، آية ٤٢

السبيل لعدو الاسلام، واعترفوا بالتبديل والإلحاد على قلوبهم حتى عرفوا ووصفوا خلق الله وفعله بالصفة التى هى لله وحده وشبهوه به، والاشتباه أولى بخلقه. وليس يرى أمير المؤمنين لمن قال بهذه المقالة حفظاً فى الدين، ولا نصيباً من الإيمان واليسقين، ولا يرى أن يحل أحدا منهم محل الثقة فى أمانة، ولا عدالة ولا شهادة ولا صدقاً فى قول ولا حكاية، ولا تولية لشيء من أمر الرعية، وإن ظهر قصد بعضهم، وعرف بالسداد مسدد فيهم، فإن الفروع مردودة الى أصولها، ومحمولة فى الحمد والذم عليها، ومن كان جاهلاً بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلاً، وعن الرشد فى غيره أعمى وأضل سبيلاً.

فاقرأ على جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق القاضى كتاب أمير المؤمنين بما كتب به إليك، وانصصها عن علمهما فى القرآن، وأعلمهما أن أمير المؤمنين لا يستعين على شيء من أمور المسلمين إلا بمن وثق بإخلاصه وتوحيده، وأنه لا توحيد لمن لا يقر بأن القرآن مخلوق فإن قالاً بقول أمير المؤمنين فى ذلك، فتقدم اليهما فى امتحان من يحضر مجالسهما بالشهادات على الحقوق، ونصهم عن قولهم فى القرآن، فمن لم يقل منهم أنه مخلوق أبطل شهادته، ولم يقطعاً حكماً بقوله، وإن ثبت عفاfe بالقصد والسداد فى أمره. وافعل ذلك بمن فى سائر عملك من القضاة، وأشرف عليهم إشرافاً يزيد الله به ذا البصيرة فى بصيرته، ويمنع المرتاب من إغفال دينه، واكتب الى أمير المؤمنين بما يكون منك فى ذلك إن شاء الله.

كتاب المأمون الرابع الى إسحق بن إبراهيم^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك جواب كتابه كان إليك، فيما ذهب اليه متصنعة أهل القبلة وملتمسو الرئاسة، فيما ليسوا له بأهل من أهل الملة من القول فى القرآن، وأمرك به أمير المؤمنين من امتحانهم، وتكشيف أحوالهم وإحلالهم محالهم. تذكر إحضارك جعفر بن عيسى وعبد الرحمن بن إسحق عند ورود كتاب أمير المؤمنين مع من أحضرت ممن كان ينسب الى الفقه، ويعرف بالجلوس للحديث، وينصب نفسه للفتيا بمدينة السلام، وقراءتك عليهم جميعا كتاب أمير المؤمنين، ومسألتك اياهم عن اعتقادهم فى القرآن، والدالة لهم على حظهم، وإطباقهم على نفى التشبيه واختلافهم فى القرآن، وأمرك من لم يقل منهم إنه مخلوق بالمسك عن الحديث والفتوى فى السر والعلانية، وتقدمك الى السندى وعباس مولى أمير المؤمنين من امتحان من يحضر مجالسهما من الشهود، وبث الكتب الى القضاة فى النواحي من عملك بالقدوم عليك، لتحملهم وتمتحنهم على ما حده أمير المؤمنين، وتثبتك فى آخر الكتاب أسماء من حضر ومقالاتهم، وفهم أمير المؤمنين ما اقتضت.

وأمرير المؤمنين يحمد الله كثيرا كما هو أهله، ويسأله أن يصلى على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ويرغب الى الله فى التوفيق لطاعته، وحسن المعونة على صالح نيته برحمته. وقد تدبر أمير المؤمنين ما كتبت به من أسماء من سألت عن القرآن، وما رجع اليك به كل امرئ منهم، وما شرحت من مقالاتهم.

فأما ما قال المغرور بشر بن الوليد فى نفى التشبيه، وما أمسك عنه من أن القرآن مخلوق وادعى من تركه الكلام فى ذلك واستعاده أمير المؤمنين، فقد كذب بشر فى ذلك وكفر، وقال الزور والمنكر، ولم يكن جرى بين أمير المؤمنين وبينه فى ذلك ولا فى غيره عهد ولا نظر أكثر من إخبار أمير المؤمنين من اعتقاده كلمة الإخلاص، والقول بأن القرآن

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى، ج ٨، ص ٦٣٧ - ٦٤٠

مخلوق، فادع به إليك، وأعلمه ما أعلمك به أمير المؤمنين من ذلك، وأنصصه عن قوله في القرآن، واستتبه منه، فإن أمير المؤمنين يرى أن تستيتب من قال بمقالته، إذ كانت تلك المقالة الكفر الصراح، والشرك المحض عند أمير المؤمنين، فإن تاب منها فأشهر أمره، وأمسك عنه، وإن أصر على شركه، ودفع أن يكون القرآن مخلوقا بكفره وإلحاده، فاضرب عنقه، وابعث الى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله.

وكذلك إبراهيم بن المهدي فامتحنه بمثل ما تمتحن به بشرا، فإنه كان يقول بقوله. وقد بلغت أمير المؤمنين عنه ببالغ، فإن قال: إن القرآن مخلوق فأشهر أمره واكشفه، والا فاضرب عنقه وابعث الى أمير المؤمنين برأسه، إن شاء الله.

وأما على بن أبي مقاتل، فقل له: أأنت القائل لأمر المؤمنين: انك تحلل وتحرم، والمكلم له بمثل ما كلمته به، مما لم يذهب عنه ذكره!

وأما الذيال بن الهيثم، فأعلمه أنه كان في الطعام الذي كان يسرقه في الأنبار وفيما يستولى عليه من أمر مدينه أمير المؤمنين أبي العباس ما يشغله، وأنه لو كان مقتفيا آثار سلفه، وسالكا مناهجهم، ومحتذيا سبيلهم لما خرج الى الشرك بعد إيمانه.

وأما أحمد بن يزيد المعروف بأبي العوام، وقوله إنه لا يحسن الجواب في القرآن، فأعلمه أنه صبي في عقله لا في سنه، جاهل، وأنه إن كان لا يحسن الجواب في القرآن فسيحسنه إذا أخذته التأديب، ثم ان لم يفعل كان السيف من وراء ذلك، إن شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل وما نكتب عنه، فأعلمه أن أمير المؤمنين قد عرف فحوى تلك المقالة وسبيله فيها، واستدل على جهله وآفته بها.

وأما الفضل بن غانم، فأعلمه أنه لم يخف على أمير المؤمنين ما كان منه بمصر، وما اكتسب من الأموال في أقل من سنه، وما شجر بينه وبين المطلب بن عبد الله في ذلك، فإنه من كان شأنه شأنه، وكانت رغبته في الدينار والدرهم رغبته، فليس بمستكر أن يبيع إيمانه طمعا فيهما، وإثارا لعاجل نفعهما، وأنه مع ذلك القائل لعلي بن هشام ما قال، والمخالف له فيما خالفه فيه، فما الذي حال به عن ذلك ونقله الى غيره!

وأما الزيادي، فأعلمه أنه كان منتحلا، ولا كأول دعي كان في الاسلام خولف فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان جديرا أن يسلك مسلكه، فأنكر أبو حسان أن

يكون مولى لزياد أو يكون مولى لأحد من الناس، وذكر أنه إنما نسب الى زياد لأمر من الأمور.

وأما المعروف بأبى نصر التمار، فإن أمير المؤمنين شبه خساسة عقله بخساسة متجره.
وأما الفضل بن الفرخان، فأعلمه أنه حاول بالقول الذى قاله فى القرآن أخذ الودائع التى أودعها إياه عبد الرحمن بن إسحاق وغيره تربصا بمن استودعه، وطمعا فى الاستكثار لما صار فى يده، ولا سبيل عليه عن تقادم عهده، وتطاول الأيام به، فقل لعبد الرحمن بن إسحاق: لا جزاك الله خيرا عن تقويتك مثل هذا واثمتانك إياه، وهو معتقد للشرك منسلخ من التوحيد. وأما محمد بن حاتم وابن نوح والمعروف بأبى معمر، فأعلمهم أنهم مشاغل بأكل الربا عن الوقوف على التوحيد، وأن أمير المؤمنين لو لم يستحل محاربتهم فى الله ومجاهدتهم إلا لإربائهم، وما نزل به كتاب الله فى أمثالهم، لاستحل ذلك، فكيف بهم وقد جمعوا مع الإرباء شركا وصار للنصارى مثلا!

وأما أحمد بن شجاع، فأعلمه أنك صاحبه بالأمس، والمستخرج منه ما استخرجه من المال الذى كان استحله من مال على بن هشام، وأنه ممن الدينار والدرهم دينه.
وأما سعدويه الواسطى، فقل له: قبح الله رجلا بلغ به التصنع للحديث، والتزين به، والحرص على طلب الرئاسة فيه، أن يتمنى وقت المحنة، فيقول بالتقرب بها متى يمتحن، فيجلس للحديث!

وأما المعروف بسجادة، وإنكاره أن يكون سمع ممن كان يجالس من أهل الحديث وأهل الفقه القول بأن القرآن مخلوق، فأعلمه أنه فى شغله بإعداد النوى وحكه لإصلاح سجاته وبالودائع التى دفعها اليه على بن يحيى وغيره ما أذهله عن التوحيد وألهاه، ثم سلّه عما كان يوسف بن أبى يوسف ومحمد ابن الحسن يقولانه، إن كان شاهدهما وجالسهما.
وأما القواريرى، ففيما تكشف من أحواله وقبوله الرشا والمصانعات، ما أبان عن مذهبه وسوء طريقته وسخافة عقله ودينه، وقد انتهى الى أمير المؤمنين أنه يتولى لجعفر بن عيسى الحسنى مسائله، فتقدم الى جعفر بن عيسى فى رفضه، وترك الثقة به والاستئانة اليه.
وأما يحيى بن عبد الرحمن العمرى، فإن كان من ولد عمر بن الخطاب، فجوابه

معروف.

وأما محمد بن الحسن بن علي بن عاصم، فإنه لو كان مقتدياً بمن مضى من سلفه، لم ينتحل النحلة التي حكيت عنه، وأنه بعد صبي يحتاج الى تعلم.

وقد كان أمير المؤمنين وجه اليك المعروف بأبي مسهر بعد أن نصه أمير المؤمنين عن محنته في القرآن، فجمعهم عنها ولجلج فيها، حتى دعا له أمير المؤمنين بالسيف، فأقر ذميما، فأنصبه عن إقراره، فإن كان مقيما عليه فأشهر ذلك وأظهره، إن شاء الله.

ومن لم يرجع عن شركه ممن سميت لأمير المؤمنين في كتابك، وذكره أمير المؤمنين لك، أو أمسك عن ذكره في كتابه هذا! ولم يقل إن القرآن مخلوق، بعد بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي فاحملهم أجمعين موثقين إلى عسكر أمير المؤمنين، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم في طريقهم، حتى يؤديهم الى عسكر أمير المؤمنين، ويسلمهم الى من يؤمن بتسليمهم اليه، لينصهم أمير المؤمنين، فإن لم يرجعوا ويتوبوا حملهم جميعا على السيف، إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

ملحق رقم (٥)

كتاب أبي إسحاق بن هاورن (المعتصم)

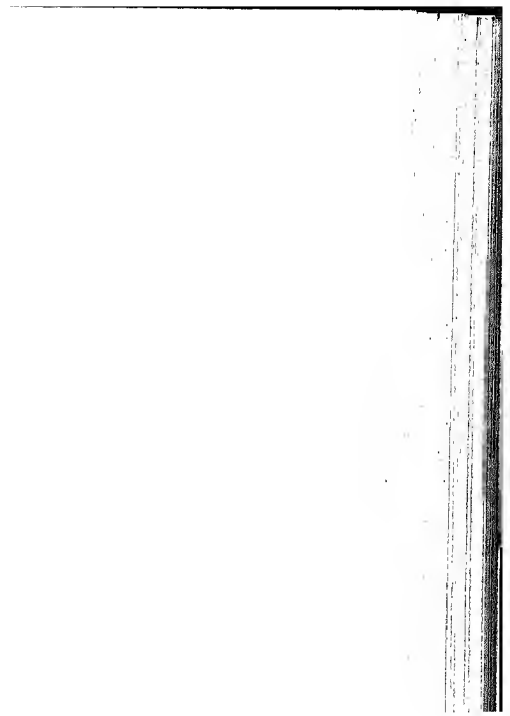
إلى كيدر والى مصر سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٣ م^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم .. من أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أخى أمير المؤمنين
الى نصر بن عبد الله كيدر مولى أمير المؤمنين، سلام عليك.
فإني أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله
صلى الله عليه. أما بعد فإن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه كتب الى فيما أمرنى به من
الكتاب الى قضاة عملى فى امتحان من حضرهم للشهادات، فمن أقر منهم بأن القرآن
مخلوق، وكان عدلا قبلوا شهادته ومن دفع ذلك أسقطوا شهادته، ولم يرفعوا حكما
بقوله، وامتحان أولئك القضاة بهذه المحنة فمن ترك منهم التشبيه وقال إن القرآن مخلوق
أقره بموضعه، ومن دفع أن يكون القرآن مخلوقا أمرته باعتزال الحكم، وأن لا يعان بمثل
ذلك فى جميع أهل الحديث هنالك، ومن يسمع منه أو يختلف اليه بسبب الفقه وترك
الإذن لأحد منهم فى حديث أو فتوى إلا على انتحال هذه النحلة والقول بمثل هذه المقالة.
والبلوغ من يعتقد ذلك ومراعاته مبلغ المحتسب للخير والكتاب اليه أكرمه الله بما يكون
منك، وقد رأيت أن تمتحن القاضى هناك بالمحنة التى كتب بها أمير المؤمنين - أطال الله
بقائه - ليعرف مذهبه وما عنده بأن القرآن مخلوق وترك التشبيه والشك فيه، فقدمت اليه
فى امتحان من حضره للشهادات بهذه المحنة ومن أقر منهم وكان عدلا قبلت شهادته،
ومن دفع ذلك وامتنع منه أسقطت شهادته وإن أنكر القاضى أن يكون القرآن مخلوقا أمرته
باعتزال الحكومة، وأوعزت بذلك الى أهلى الحديث ومن يسمع منه أو يختلف اليه
بسبب الفقه. وكتبت الى القاضى قبلك بمثل الذى كتبت اليك. فاعلم ذلك وأعمل بما مثل
به أمير المؤمنين منه واثنته إليه، وأبلغ من القيام به على حسب ما يلزمك، ويجب عليك،
وأحضر ما تعمل به عنده من وجوه أهل عملك وصلحاتهم، واكتب الى بما يكون من
القاضى فى ذلك، ومنك على حقه وصدقة لأنهيته الى أمير المؤمنين إن شاء الله. والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته.

(١) الكندى: القضاة والولاة ص ٤٤٥ - ٤٤٧ (طبعة مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨).



المصادر والمراجع



مصادر الكتاب

أولاً: المصادر المخطوطة:

- ١- الثعالبي: (ت ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد الملك الثعالبي.
- (تحفة الوزراء).
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٦٣٣٣هـ).
- مطبعة دار الكتب المصرية قسم التصوير، ١٩٥١.
- ٢- ابن الجوزي: (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي.
- (شذور العقود في تاريخ اليهود).
- مخطوط بدار الكتب تحت رقم ٩٤٤ تاريخ.
٣- الدرجيني: (ت منتصف القرن السابع الهجري) أبو العباس أحمد.
- طبقات الإباضية ج ١ ، ج ٢.
- مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢٥٦١ ح.
٤- الرازي: (ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م) فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي.
- نهاية العقول في دراية الأصول.
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٤٨ توحيد.
٥- أبو زكريا: (ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري)، يحيى بن أبي بكر.
- السيرة وأخبار الأئمة.
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٠٣٠ ح.
٦- سبط بن الجوزي: (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م)، شمس الدين أبو المظفر يوسف.
- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان.
- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٥١ تاريخ.
٧- السيوطي: (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م) عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين.

- (كتاب الأوائل).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٩١ تاريخ.

٨- ابن طاهر الخزرجي: (ت ٦١٣ هـ / ١٢١٦ م) جمال الدين أبو الحسن علي بن طاهر الجزرجي.

- (أخبار الدول المنقطعة).

- مخطوط مصور بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٩٠ تاريخ.

٩- القاضي عياض: (ت ٥٤٤ هـ / ١١٤٩ م) عياض بن موسى اليحصبي.

- ترتيب المدارك وتعريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك - مخطوط

بدار الكتب المصرية تحت رقم ٩٦٧٣٠ ح (أربعة أجزاء).

١٠- القزويني: (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م) زكريا بن محمد بن محمود.

- (آثار البلاد وأخبار العباد).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢ تاريخ م).

١١- القضاعي: (ت ٥٥٤ هـ / ١٠٦٢ ك)، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن محمد.

- (عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٧٧٩ تاريخ.

١٢- الكتيبي: (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٢ م) ابن شاكر.

- (عيون التواريخ).

- مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٤٩٧ تاريخ.

١٣- المقدسي: (ت ٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م)، تقد الدين أبي محمد عبد الغني بن عبد الواحد الجماعيلي.

- (كتاب المحنة).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤٥ تاريخ، في ثلاثة أجزاء.

١٤- النسفي: (٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م) أبو المعين.

- (بحر الكلام).

- مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١٤ عقائد تيمور.

١٥- أبو الوليد بن الشحنة: (ت ٥١٨ هـ / ١١٢٤ م)، محب الدين أبو الوليد محمد بن الشحنة.

- (روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر).

- مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٤٥ م والفن (تاريخ).

ثانياً: المصادر العربية،

١- الأمدى: (ت ٦٣١ هـ / ١٢٣٣ م)، سيف الدين.

- غاية المرام في علم الكلام (تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، القاهرة، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مطابع لأهرام التجارية).

٢- ابن الأبار: (ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م)، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر.
- اعتاب الكتاب - (حققه وعلق عليه وقدم له الدكتور: صالح الأشر، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ م، طبعة مجمع اللغة العربية، دمشق).

٣- الأبشيهي: (ت ٨٥٠ هـ / ١٤٤٦ م)، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي.

- المستطرف من كل فن مستظرف (طبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٢ م).

٤- ابن الأثير: (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٨ م)، علي بن أحمد بن أبي الكرم.

- الكامل في التاريخ ١٢ جزء (طبعة دار الفكر، بيروت ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م)، وطبعة أخرى ١٢ جزءاً (القاهرة - ١٣٠٣ هـ).

٥- ابن الأخوة: (ت ٧٢٩ هـ / ١٣٢٩ م)، محمد بن محمد بن أحمد القرشي.

- معالم القربة في أحكام الحسبة (تحقيق: د. محمد محمود شعبان، وصديق أحمد عيسى المطيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٦ م).

٦- الاسفراييني: (ت ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م)، أبو المظفر.

- التبصير في الدين، وتمييز الفرقة الناجية عن فرق الهالكين (تحقيق: محمد زاهد الكوثري، الطبعة الأولى، مطبعة الأنوار، القاهرة ١٣٩٥هـ/ ١٩٤٠م).

٧- الأشعري: (ت ٣٣٠هـ/ ٩٤١م). أبو الحسن علي بن إسماعيل.

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين (تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، طبعة مكتبة دار النهضة المصرية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

- الإبانة عن أصول الديانة (دار الكتاب العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م).

- كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع (نشر وتصحيح الأب ريتشارد يوسف مكارثي - المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٢م).

- رسالة في استحسان الخوض في علم الكلام (نشر وتصحيح الأب ريتشارد يوسف مكارثي - المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٢م).

٨- الأصفهاني: (ت ٣٥٦هـ/ ٩٦٧م)، أبو الفرج علي بن الحسين بن أحمد.

- الأغاني ٢١ جزءاً (تحقيق: إبراهيم الإبياري، طبعة الشعب - ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

٩- ابن أبي أصيبعة: (ت ٦٦٧هـ/ ١٢٧٠م)، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم.

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء (تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ).

١٠- الأنباري: (ت ٥٧٧هـ/ ١٨٨١م)، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري.

- نزاهة الألبا في طبقات الأدبا (تحقيق: إبراهيم السامرائي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م).

١١- الإيجي: (ت ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م)، عبد الرحمن بن أحمد عضد الدين.

- المواقف (طبعة بولاق، القاهرة ١٩١٣م).
- ١٢- الباقلانى: (ت ٤٠٣هـ / ١٠١٢م)، أبو بكر محمد الطيب.
- إعجاز القرآن (تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م).
- ١٣- البخارى: (ت ٢٥٦هـ / ٨٦٩م)، أبو عبدالله محمد بن أبى الحسن إسماعيل بن إبراهيم.
- صحيح البخارى (مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨هـ).
- ١٤- البستى: (ت ٣٥٤هـ / ٦٩٥م)، محمد بن حيان بن أحمد أبى حاتم التميمي.
- كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين (القاهرة - الطبعة الثانية، بدون تاريخ).
- ١٥- البسوى: (ت ٢٧٧هـ / ٨٩٠م)، أبو يوسف يعقوب بن سفيان.
- كتاب المعرفة والتاريخ (تحقيق: دكتور أكرم ضياء العمرى، المجلد الأول، مطبعة الإرشاد ببغداد، ١٣٩٤هـ / ١١٠٠م).
- ١٦- ابن بشكوال: (ت ٤٩٤هـ / ١١٠٠م)، أبو القاسم خلف بن عبد الملك.
- كتاب الصلة (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م).
- ١٧- ابن بطوطة: (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتى الطنجي.
- تحفة النظر (طبعة بولاق بالقاهرة، ١٩٣٩م).
- ١٨- البغدادي: (ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م)، عبد القاهر بن طاهر.
- الفرق بين الفرق (الطبعة الأولى - دار الآفاق الجديدة - بيروت، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- ١٩- البغوى: (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م)، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى.
- شرح السنة (تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وزهير الشاويش، ١٥ جزءاً، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار بدر، القاهرة).

- ٢٠- البكرى: (ت ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م)، أبو عبيد الله بن عبد العزيز.
- المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب (باريس سنة ١٩١١م).
- ٢١- البلخى: (٣٤٠هـ / ٩٥١م). أبو زيد أحمد بن سهل البلخى.
- البدء والتاريخ (طبعة ١٨٩٩م - مطبعة برطرنند، أعادت طبعة بالأوفست
مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها: قاسم محمد الرجب).
- ٢٢- البلخى: (ت ٣١٩هـ / ٩٣١م)، أبو القاسم.
- فصل الاعتزال (تحقيق: فؤاد سيد، الدار التونسية للطباعة ١٩٧٤م).
- ٢٣- البيهقى: (ت ٣٢٠هـ / ٩٣٢م)، إبراهيم بن محمد البيهقى.
- مناقب الإمام الشافعى (دار التراث، الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٩١هـ).
- المحاسن والمساوى (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، مكتبة
نهضة مصر، ١٩٦١م).
- ٢٤- البيهقى: (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م)، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى.
- الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة (صححه ونشره
أحمد محمد مرسى، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م).
- ٢٥- التنوخى: (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م)، أبو على المحسن بن على التنوخى.
- المستجاد من فعلات الأجواد (تحقيق الشيخ يوسف البستاني، القاهرة، دار
العرب، ١٩٨٥م).
- جامع التواريخ المسمى: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (تحقيق: عبود
الشالجى، بيروت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).
- الفرج بعد الشدة (تحقيق: عبود الشالجى، بيروت، دار صادر، ١٩٧٨م).
- ٢٦- التوحيدى: (ت ٣٨٠هـ / ٩٩٠م)، على بن محمد بن العباس أبو حيان
التوحيدى.
- الإمتاع والمؤانسة (صححه وضبطه: أحمد أمين، وأحمد الزين، القاهرة،
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٢م).

- المقابسات (تحقيق وشرح: حسم السندوبى، نشر المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة الأولى عام ١٩٢٩م).

٢٧- ابن تيمية: (ت ٧٢٨هـ/١٣٢٧م)، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم.

- اقتضاء الصراط المستقیم، مخالفة أصحاب الجحیم (تحقيق: محمد حامد الفقى، الطبعة الثانية، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة، ١٣٦٩هـ).

- بیان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

- منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية (طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ).

٢٨- الثعالبي: (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م)، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي.

- يتيمة الدهر فى محاسن العصر (تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، مطبعة السعادة، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م).

٢٩- الجاحظ: (٢٥٥هـ/٨٦٩م)، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

- البخلاء (تحقيق: طه الخاجرى، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م، الطبعة السادسة).

- البيان والتبيين (تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الرابعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، أربعة أجزاء، ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م).

- الحيوان (تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابى الحلبي، سبعة أجزاء، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

- العثمانية (تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربى، ١٩٥٥م).

- كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالان، (تحقيق: عبد السلام هارون، بغداد، دار الرشيد، ١٩٨٢م).

- كتاب التبصر بالتجارة، (تحقيق: حسن حسنى عبد الوهاب، بيروت، دار

الكتاب الجديد، ١٩٦٦م).

- المحاسن والأضداد، (مصر - المطبعة الجمالية، ١٣٣٠هـ، طبعة ثانية).

٣٠- الجرجاني: (ت ٤٨٢هـ/ ١٠٧٨م)، على بن محمد بن علي.

- كتاب التعريفات (تحقيق: إبراهيم الإيباري، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥م).

٣١- ابن الجوزي: (ت ٥٩٧هـ - ١٢٠٠)، أبو الفرج بن علي بن محمد بن علي.

- مناقب الإمام أحمد بن حنبل (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٤٩هـ).

- تليس إبليس (مطبعة النهضة - مصر، ١٩٢٨م).

- أخبار الأذكىاء (تحقيق: محمد موسى الخولي، مطابع الأهرام التجارية، ١٩٧٠م).

- أخبار الظرفاء والمتماعين (تقديم: محمد بحر العلوم، النجف، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م).

- أخبار الحمقى والمغفلين (الطبعة الثانية ١٩٨٣م، زاهد القدسي، القاهرة). - المنتظم في أخبار الملوك والأمم (حيدر آباد، ١٣٥٧هـ، الطبعة الأولى، عدد مجلداته ٦ الأجزاء (٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠).

٣٢- الجويني: (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، إمام الحرمين.

- الكافية في الجدل (تحقيق: دكتورة فوية حسين محمود، مطبعة عيسى الحلبي بالقاهرة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).

٣٣- الجهشيارى: (ت ٣٣١هـ/ ٩٤٣م)، أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى.

- الوزراء والكتاب (حققه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، إبراهيم الإيباري، عبد الحفيظ شلبي، الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

٣٤- ابن حجة الحموى: (٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م)، تقى الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة الحموى.

- ثمرات الأوراق فى المحاضرات.
(طبعة الحلبي - القاهرة، ١٩٥٢م).
- ٣٥- ابن أبى الحديد: (ت ٤٠٤هـ / ١٠١٣م)، الشريف محمد بن أبى أحمد الحسينى.
- شرح نهج البلاغة - عشرون جزءا (تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية (عيسى الببائى الحلبي)، الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م)، الى ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- ٣٦- ابن حزم: (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣)، أبو محمد على بن أحمد بن سعيد.
- الفصل فى الملل والأهواء والنحل، (مطبعة صبيح - القاهرة ١٣٤٨هـ).
- جمهرة أنساب العرب (الطبعة الأولى - القاهرة، ١٩٦٢م).
- ٣٧ الحسن البصرى: (ت ١١٠هـ / ٧٢٨م)، الحسن بن أبى الحسن البصرى.
- رسالة فى القدر (ضمن رسائل العدل والتوحيد ج١ - طبع دار الهلال، تحقيق: محمد عمارة، ١٩٧١م).
- ٣٨- الحصرى: (ت ٤٥٤هـ / ٢٦٠١م)، أبو إسحاق إبراهيم بن على الحصرى القيروانى.
- زهر الآداب وثمر الألباب (تحقيق: على محمد البجاوى، جزءان، الطبعة الأولى - مطبعة عيسى الببائى الحلبي ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م).
- جمع الجواهر فى الملح والنوادر (تحقيق: على محمد البجاوى، القاهرة - مطبعة الببائى الحلبي، ١٩٥٣م).
- ٣٩- الخشنى: (ت ٣٦١هـ / ٩٧١م) أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيروانى.
- قضاة قرطبة (الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦م).
- طبقات علماء أفريقية (القاهرة، ١٣٧٢هـ).
- ٤٠- الخطيب البغدادي: (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م)، أبو بكر أحمد بن على.
- تاريخ بغداد، ١٤ جزءا (المكتبة السلفية، المدينة المنورة - بدون تاريخ)، وطبعة أخرى (دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان).

- ٤١- ابن خلدون: (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء، (منشورات مؤسسة الأعلى للمصوب، بيروت، لبنان ١٣٩١هـ / ١٩٧٧م)، وطبعة أخرى (القاهرة ١٢٨٤هـ).
- المقدمة (نشر المكتبة التجارية بالقاهرة)، وطبعة أخرى (الطبعة الأولى - دار العلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م).
- ٤٢- ابن خلكان: (ت ٦٨١هـ / ١٢٧١م)، شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.
- ٥ أجزاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، وطبعة أخرى (تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان).
- ٤٣- خليفة بن خياط: (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م).
- تاريخ خليفة (تحقيق: دكتور أكرم ضياء العمرى، طبع ونشر دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م)، (في جزأين).
- ٤٤- الخوانسارى: (ت ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م)، الميرزا محمد باقر الموسوى الأصبهاني.
- روضات الجنات فى أحوال العلماء السادات ج ٥ - طهران.
- ٤٥- الخياط: (ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م)، عبد الرحمن محمد أبو الحسين.
- الانتصار والرد على بن الروندى الملحد.
- (تحقيق: نيرج - طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٢٥م).
- ٤٦- الدار قطنى: (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، أبو الحسن على بن عمر الدار قطنى البغدادي.
- الضعفاء والمتروكون.
- تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٤٧- الدارمى: (ت ٢٨١٠هـ / ٨٩٣م)، أبو سعيد عثمان بن سعيد.

- الرد على الجهمية.

طبعة لندن، ١٩٦٠م.

٤٨- الدباغ: (ت ١٢٩٦هـ / ١٢٩٦م)، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصاري.

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان (ج ١، ٢، ٣، تونس، ١٣٢٠هـ

وطبعة أخرى، نشر مكتبة الخانجي بمصر والمكتبة الفينيقية بتونس).

٤٩- الدميري: (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، كمال الدين محمد بن موسى بن علي.

- حياة الحيوان الكبرى، جزآن (القاهرة، المطبعة الخيرية - ١٣٠٩هـ).

٥٠- الديار بكري: (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م)، حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري.

تاريخ الخميس.

المطبعة الوهبة - القاهرة، ١٢٨٣هـ.

٥١- الدينوري: (ت ٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، أبو حنيفة أحمد بن داود.

- الأخبار الطوال. تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: الدكتور جمال الدين

الشيال، القاهرة ١٩٥٩م، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثني، بغداد.

٥٢- الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي.

- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ٤ أجزاء، تحقيق: علي محمد البجاولي،

الطبعة الأولى، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٣م.

- العبر في أخبار من غبر، ٣ أجزاء، تحقيق: صلاح الدين المنجد،

الكويت، ١٩٦٠م.

٥٣- الرازي: (ت ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي.

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق علي سامي النشار، طبعة

دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٥٦هـ / ١٩٧٨م، وطبعة أخرى (بيروت،

دار الكتب العلمية، ١٩٨٢م).

- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، القاهرة ١٣٢٧هـ / ١٩٠٩م.

- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين،

راجعته وقد له: طه عبد الرؤف سعد، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

- أساس التقديس فى علم الكلام، مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر، ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م.

٥٤- ابن رشد: (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، محمد بن أحمد.

- تهافت التهافت، طبعة القاهرة، ١٩٠٣م.

- مناهج الأدلة فى عقائد الملة، تقديم وتحقيق: دكتور: محمود محمد قاسم، طبعة القاهرة، ١٩٦٤م.

٥٥- الراغب الأصبهاني: (ت ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م)، أبو القاسم حسنين بن محمد الراغب الأصبهاني.

- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء، دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.

٥٦- الرماني: (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م)، أبو الحسن على بن عيسى.

- النكت فى إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، الطبعة الثانية، مصر ١٩٦٨م.

٥٧- الزركلى: خير الدين الزركلى.

- الأعلام، قاموس تراجم، ١٠ أجزاء.

الطبعة الثالثة، بيروت ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، وطبعة أخرى (الطبعة السادسة، بيروت، ١٩٨٤م).

٥٨- الزمخشري: (ت ٥٢٨هـ/ ١٢٠٩م)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر.

- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل. مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٦٦م.

- أساس البلاغة، مطابع دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م.

٥٩- السبكي: (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م)، أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي.

- طبقات الشافعية الكبرى، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي.

- قاعدة في الجرح والتعديل وقاعدة في المؤرخين، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

٦٠- السمعاني: (ت ٥٦٢هـ / ١١٦٢م)، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي.

الأنساب، اعتنى بنشره المستشرق د. س. مرجليوت، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد (بدون تاريخ).

٦١- السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م)، جلال الدين بن عبد الرحيم.

- بغية الوعاة، القاهرة، ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م.

- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق: د. أحمد عمر عاشم، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة.

- الإثنقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٥م.

طبقات الحفاظ، تحقيق: علي محمد عمر، القاهرة، ١٩٧٣.

٦٢- الشافعي: (ت ٢٠٤هـ / ٨١٩م)، محمد بن إدريس.

- الرسالة، تحقيق: محمد سيد كيلاي، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الفقه الأكبر، إعداد: محمد محمود فرغلي، مؤسسة روز اليوسف، ١٤٠٦هـ.

الأم، أشرف على طبعه وتصحيحه: فحمد زهدى النجار، نشر فكتبة
الكلية الأزهرية، طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة، القاهرة، الطبعة
الأولى، ١٩٦١م.

٦٣- ابن شاعر الكتبي: (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، فحمد بن شاعر.

- فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، فطابع
دار صادر، ١٩٧٣م، ١٩٧٤م.

٦٤- الشهرستاني: (ت ٥٤٨هـ / ١١٥٣ك) أبو الفتح فحمد بن عبد الكريم.

- الملل والنحل، طبعة صبيح، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ٤ أجزاء.

- نهاية الإقدام فى علم الكلام، أكسفورد، ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م.

٦٥- الشيباني: (ت ٢٨٧هـ / ٩٠٠م) أبو بكر عمرو بن أبى عاصم الضحاك بن فخلد
الشيباني.

- كتاب السنة، جزآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، المكتب
الإسلافي، دمشق وبيروت.

٦٦- الشريف المرتضى: (ت ٤٢٦هـ / ١٠٤٤م)، على بن الحسين الموسوى.

- غرر الفوائد ودرر القلائد، المعروف بأمالى المرتضى، تحقيق: محمد أبو

الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، جزآن، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٥٤م.

- رسالة فى إنقاذ البشر فى الجبر والقدر، ضمن رسائل العدل والتوحيد،

ج١، تحقيق: فحمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.

٦٧- صاحب بن عباد: (ت ٣٨٥هـ / ٩٩٥م)، إسماعيل بن عباد بن العباس.

- الإبانة عن فذهب أهل العدل، تحقيق: فحمد حسن آل ياسين، الطبعة

الثانية، بغداد، سنة ١٩٦٣م.

- رسائل صاحب بن عباد، تحقيق: عبد الوهاب عزام، وشوقي ضيف،

طبعة القاهرة، ١٣٣٦هـ.

٦٨- ابن الصغير المالكي: (عاش بين ٢٤٠هـ / ٢٨٠هـ) / (٨٥٥م / ٨٩٤م).

- أخبار الأئمة الرستمين، نشر فوتيلنسكى، باريس، سنة ١٩٠٧.
- ٦٩- الصفدى: (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م)، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى
- الوافى بالوفيات، تحقيق: إحسان عباس وآخرين، دار النشر، فرانز شتاينر
بفسبادن ج٧، طبعة ١٣٨٩هـ / ١٩٧٤م، ج١٢، طبعة
١٣٩٩هـ / ١٩٣٧م.
- ٧٠- الصولى: (ت ٣٣٥هـ / ٩٤٦م)، أبو بكر فحمد بن يحيى.
- أخبار أبى تمام، تحقيق: خليل فحمود عساكر وآخرين، طبع لجنة
التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.
- ٧١- الطبرى: (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، أبو جعفر فحمد بن جرير.
- تاريخ الأئم والملوك، تحقيق: فحمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار
المعارف، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.
- جافع البيان عن تأويل آى القرآن، الطبعة الثانية، طبعة فصطفى البابى
الحلبى، القاهرة، ١٩٥٤م.
- ٧٢- طاش كبرى زادة: (ت ٩٦٨هـ / ١٥٦٠م)، أحمد بن فصطفى
- ففتاح السعادة وفصباح السيادة، تحقيق: كافل كافل بكرى، وعبد
الوهاب أبو النور، طبعة دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٧٣- ابن الطقطقى: (ت ٧٠٩هـ / ١٣٠٩م)، فحمد بن على بن طباطبا.
- الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة دار صادر، لبنان،
بدون تاريخ.
- ٧٤- الطوسى: (ت ٦٧٢هـ / ١٢٧٤م)، نصر الدين الطوسى.
- أساس التقديس فى علم الكلام - طبعة فصطفى الحلبي - فصر
١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.
- ٧٥- ابن طيفور: (٢٨٠هـ / ٨٩٣ - ٨٩٤م)، أبو الفضل أحمد بن طاهر.
- تاريخ بغداد، صححه فحمد زاهد الكوثرى (١٣٦٨هـ / ١٩٤٩م).

- ٧٦- العامري: (ت ٩٠١هـ / ١٢٠٧م)، محمد كمال الدين بن محمد الغزالي العامري.
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ونزار أباطة، دار الفكر بدمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٧٧- ابن عبد البر: (ت ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م)، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي.
- جامع بيان العلم وفضله، الطبعة الأولى، الناشر: المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ١٣٨٨هـ، وطبعة أخرى (المطبعة المنيرية بمصر ١٣٤٦هـ، جزءان).
٧٨- القاضي عبد الجبار: (ت ٤١٥هـ / ١٠٢٤م)، عبد الجبار بن أحمد الهمداني.
- شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مطبعة مكتبة وهبة بالقاهرة ١٩٦٥م، الطبعة الأولى.
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، تحقيق: فؤاد سيد، طبعة الدار التونسية للنشر، ١٩٧٤م، (جزءان)، دار التراث، القاهرة، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- المحيط بالتكليف، تحقيق: عمر السيد عزمي، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة (بدون تاريخ).
- تنزيه القرآن عن المطاعن، بيروت، دار النهضة الحديثة، (بدون تاريخ)، وطبعة أخرى (المطبعة الجمالية بمصر، ١٣٢٩هـ).
- المختصر في أصول الدين، ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج ١، تحقيق: محمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.
- المغنى في أبواب التوحيد والعدل - مراجعة دكتور: إبراهيم مذكور، إشراف: دكتور/ طه حسين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٠م / ١٩٦٥م، ويشمل:
ج ٤: رؤية الباري، تحقيق: محمد مصطفى حلمي، وأبو الوفا الغنيمي التفتازاني، ١٩٦٥م.
ج ٥: الفرق غير الإسلامية، تحقيق: محمود محمد الخضيرى، ١٩٦٥م.

جـ ٦: (القسم الأول) - التعديل والتجوير، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني -
١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

جـ ٦: (القسم الثاني) - الإرادة - تحقيق: الأب ج. ش. قنواني (بدون تاريخ).

جـ ٧: خلق القرآن - تحقيق: إبراهيم الإيباري، ١٩٦١م.

جـ ٨: المخلوق، تحقيق: توفيق الطويل، وسعد زايد، (بدون تاريخ).

جـ ٩: التوليد، تحقيق: توفيق الطويل، وسعد زايد، ١٩٦٤م.

جـ ١١: التكليف تحقيق: محمد على النجار، وعبد الحليم النجار،
١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

جـ ١٢: النظر والمعارف، تحقيق: إبراهيم مذكور، ١٩٦٢م.

جـ ١٣: اللطف، تحقيق: أبو العلا عفيفي، ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.

جـ ١٤: الأصلح، استحقاق الدم، التوبة، تحقق: مصطفى السقا، ١٣٨٥م
/ ١٩٦٥م.

جـ ١٥: النبؤات والمعجزات، تحقيق: محمود الخضيرى، ومحمود قاسم،
١٣٨٥م / ١٩٦٥م.

جـ ١٦: إعجاز القرآن، تحقيق: أمين الخولى، ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.

جـ ١٧: الشرعيات، تحقيق: أمين الخولى، ١٩٦٢م.

جـ ٢٠: فى الإمامة (القسم الأول والثانى)، تحقيق: عبد الحليم محمود،
سليمان دنيا.

٧٩- ابن عسبد ربه: (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م)، أبو عمر أحمد بن محمد بن عسبد ربه
الأندلسى.

- العقد الفريد، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت -

لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٣م، جـ ١، جـ ٢.

٨٠- ابن عربى: (ت ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م)، الشيخ محيى الدين.

- فصوص الحكم، تحقيق وتعليق: أبو العلا عفيفي، طبعة القاهرة،

١٩٤٦ م.

٨١- ابن العبري: (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)، غرغوريوس الملطي.

- تاريخ مختصر الدول، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م، بيروت - لبنان.

٨٢- العسقلاني: (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م)، أحمد بن علي بن حجر.

- فتح الباري، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

٨٣- ابن العماد الحنبلي: (١٠٨٩هـ / ١٦٧٩م)، أبو الفلاح عبد الحى بن العماد.

- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٨ أجزاء، دار المسيرة، بيروت، طبعة

ثانية، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، وطبعة أخرى (دار الفكر للطباعة والنشر

والتوزيع - بيروت).

٨٤- الغزالي: (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)، أبو حامد محمد بن محمد.

- إحياء علوم الدين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر،

١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م.

- المستصفى من علم الأصول، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، الطبعة

الأولى، ١٣٢٢هـ.

- المنقذ من الضلال، الطبعة الخامسة، نشر دار الكتب الحديثة، ١٣٨٦هـ،

وطبعة أخرى، (دمشق ١٣٨٦هـ، وطبعة أخرى، (دمشق

١٣٢٥هـ / ١٩٣٣م).

- كتاب فضائح الباطنية للرد عليهم، نشر وتحقيق: عبد الرحمن بدوى،

القاهرة، ١٩٦٤م.

- تهافت الفلاسفة، طبعة القاهرة، ١٩٠٣.

- إلهام العوام عن علم الكلام - ضمن مجموعة من رسائل الإمام الغزالي -

نشر مكتبة الجندى، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة.

- كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد، الطبعة الأولى، مكتبة الحسين التجارية،

مطبعة حجازى، القاهرة (بدون تاريخ).

- ٨٥- ابن عساكر: (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعي - تهذيب تاريخ دمشق الكبير، هذبه ورتبه: الشيخ عبد القادر بدران، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، (٧ أجزاء).
- تبين كذب المفترى فيما نسب الى الإمام أبي الحسن الأشعري، تقديم: محمد زاهد الكوثري، طبع المطبعة التوفيقية بدمشق، ١٣٤٧هـ.
- ٨٦- أبو الفدا: (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل أبو الفدا المختصر في أخبار البشر - تاريخ أبي الفدا - دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، (بدون تاريخ).
- ٨٧- ابن فورك: (ت ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م)، أبو بكر محمد بن الحسين.
- مشكل الحديث وبيان، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ٨٨- القاسم الرسي: (ت ٢٤٦هـ/ ٩٥٧م)، الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل.
- كتاب أصول العدل والتوحيد، ضمن رسائل العدل والتوحيد، ج١، تحقيق: محمد عمارة، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.
- ٨٩- ابن قتيبة: (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، أبو محمد عبد الله بن مسلم.
- تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء الحديث، دار الجيل، بيروت، تحقيق: محمد زهدى النجار، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.
- عيون الأخبار، ٤ أجزاء (طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م)، وطبعة أخرى (المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٣م).
- المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ١٩٨١م.
- الإمامة والسياسة، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٦٣م.
- تأويل مشكل القرآن، شرح وتحقيق: أحمد صقر، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٤م.
- ٩٠- القرماني: (ت ١٢٨٢هـ/ ١٨٦٥م)، أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد

الدمشقي.

- كتاب أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، عالم الكتب، بيروت (بدون تاريخ).

٩١- القفطي: (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م) الوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف.

- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، (بدون تاريخ).

٩٢- القلقشندي: (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، أبي العباس أحمد.

- صبح الأعشى، طبع بالمطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٤ جزء، ١٣٣٧هـ / ١٩١٨م.

- مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الكويت، ٣ أجزاء، سلسلة التراث العربي رقم (١١)، ١٩٦٤م.

٩٣- القيرواني: (ت ٣٣٣هـ / ٩٤٤م)، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني.

- طبقات علماء أفريقية وتونس، تقديم وتحقيق: علي الشابي، وتعيم حسن، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨م.

٩٤- ابن قيم الجوزية: (ت ٧٧٥١هـ / ١٣٥٠م)، شمس الدين محمد بن أبي بكر.

- زاد المعاد في هدى خير العباد، المطبعة المصرية ومكتبتها، (بدون تاريخ) ٤ أجزاء.

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة، مكة المكرمة، ١٣٤٨هـ / ١٩٢٩م.

- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعتلة والجهمية، طبعة دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠١هـ، القاهرة.

- أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، مطبعة السعادة بمصر، ١٩٥٥م.

-شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر والحكم والتعليل، مطبعة دار الكتاب العربى، مصر، بدون تاريخ.

٩٥- ابن كثير: (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن عمر.

- البدايه والنهائيه، ١٤ جزءا (القاهرة ١٩٣٢م)، وطبعة أخرى، الطبعة الرابعة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

- الباعث الحثيث، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٩٦- الكندى: (ت ٣٠٥هـ/ ٩١٧م)، يوسف بن عمر.

- الولاة والقضاة، طبع بمطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

٩٧- المالكى: (نهایة القرن الرابع الهجرى)، أبو بكر عبدالله بن أبى عبدالله.

- رياض النفوس فى طبقات علماء القیروان وأفريقية وزهادهم وعبادهم ونساکهم وسیر أخبارهم، نشره وعلق علیه وقدم له: د. حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٥١م.

٩٨- المبرد: (ت ٢٨٥هـ/ ٨٩٨م)، أبو العباس محمد بن یزید.

- الكامل فى اللغة والأدب، نشر مكتبة المعارف، بيروت، جزءان (بدون تاريخ).

٩٩- المقبلى: (ت ١١٠٨هـ/ ١٦٩٦م)، صالح المقبلى.

- العلم الشامخ فى إیثار الحق على الآباء والمشايخ، القاهرة، ١٣٣١هـ/ ١٩١٢م.

١٠٠- أبو المحاسن: (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى.

- النجوم الزاهرة، طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٣هـ/ ١٩٦٣م.

- ١٠١- المقدسى: (ت ٣٩٠هـ / ٩٩٩م)، شمس الدين أبو عبد الله محمد.
- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، تحقيق: ميخائيل جان دوغويه،
مطبعة بريل ليدن، ١٩٠٦م.
- ١٠٢- المراكشى: (ت ٦٤٧هـ / ١٢٤٩م)، عبد الواحد.
- المعجب فى تلخيص أخبار المغرب، من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر
الموحدين، تحقيق: محمد سعيد العريان، القاهرة، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م.
- ١٠٣- ابن المرتضى: (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)، أحمد بن يحيى.
- المنية والأمل، تحقيق: عصام الدين محمد على، طبعة دار المعرفة
الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٥م، (جزءان).
- ١٠٤- مسكوية: (ت ٨٤٥هـ - ١٤٤١م) أبو على أحمد بن محمد - تجارب الأمم،
القاهرة، ١٩١٥م.
- ١٠٥- المسعودى: (ت ٣٤٦هـ - ٩٥٦م) أبو الحسن على بن الحسين بن على.
- التنبيه والإشراف، تصحيح: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي
للطبع والنشر والتأليف، القاهرة، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، جزءان، تحقيق: محمد محيى الدين عبد
الحميد، دار الكتاب اللبنانى بيروت، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- ١٠٦- مسلم: (ت ٢٦١هـ / ٨٢١م)، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى
النيسابورى.
- صحيح مسلم، الطبعة الأولى، عيسى الحلبى، ١٣٧٤هـ.
- ١٠٧- الملطى: (ت ٣٧٧هـ / ٩٨٧م)، محمد بن أحمد أبو الحسن.
- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق: محمد زاهد
الكوثرى، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤٩م.
- ١٠٨- المقرئى: (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)، تقى الدين أحمد بن على.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار صادر - بيروت، طبعة جديدة

- بالأوفست عن طبعة بولاق ١٢٧٠هـ (جزءان).
- اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، طبعة القاهرة، ١٩٦٨م.
- ١٠٩- المنذرى: (ت ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م)، الإمام الحافظ زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى.
- الترغيب والترهيب، ٤ أجزاء، مطبعة وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٧٦م.
- ١١٠- ابن نباتة المصرى: (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، جمال الدين محمد بن محمد.
- سرح العيون على رسالة بن زيدون - المطبعة الوطنية بالإسكندرية، ١٩٢٠م.
- ١١١- ابن النديم: (ت ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م)، محمد بن إسحاق - فهرست، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (بدون تاريخ).
- ١١٢- أبو نعيم الأصبهاني: (٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م)، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ١٠ أجزاء، طبعة القاهرة، ١٩٣٢م/ ١٩٣٨م، وطبعة أخرى - طبعة دار الكتاب العربى بيروت - لبنان، الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م).
- ١١٣- النوبختى: (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، أبو محمد الحسن بن موسى.
- فرق الشيعة، منشورات دار الأضواء، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ١١٤- النويرى: (٧٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى.
- نهاية الأرب فى فنون الأدب، (مطبعة دار الكتب المصرية - بالقاهرة، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م).
- ١١٥- النيسابورى: (٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م)، أبو رشيد سعيد بن محمد.
- ديوان الأصول، تحقيق: محمد عبد الهادى أبو ريدة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩م.

- المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين، تحقيق: معن زيادة،
ورضوان السيد، معهد الإنماء العربي، الجماهيرية العربية الليبية، الطبعة
الأولى، ١٩٧٩م.

١١٦- واصل بن عطاء: (ت ١٣١هـ/ ٧٤٨م)، أبو خذيفة واصل بن عطاء الغزال.
- خطبة واصل بن عطاء التي بجانب فيها الراء، ضمن نواذر المخطوطات،
ج ٢، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى، القاهرة،
١٣٧١هـ/ ١٩٥١، مطبعة السعادة بمصر.

١١٧- ابن الوردي: (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)، زين الدين عمر مظفر بن الوردي.
- تنمة المختصر في أخبار البشر (تاريخ ابن الوردي) أحمد رفعت البدرأوى،
الناشر: دار المعرفة، وبيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م.

١١٨- الوشاء (ت ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م)، أبو الطيب محمد بن إسحق بن يحيى.
- الظرف والظفاء، تحقيق: كمال مصطفى، الطبعة الثانية، مطبعة الخانجي
١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م.

١١٩- الوطواط: (ت ٧١٨هـ/ ١٣١٨م)، أبو إسحق إبراهيم بن يحيى بن علي الكتيبي.
- غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص الفاضحة، طبعة بيروت، دار
صعب، (بدون تاريخ).

١٢٠- اليافعي: (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٦٦م)، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن
سليمان اليافعي اليمني.

- امرأة الزمان - بيروت، ١٩٧٠م.

١٢١- ياقوت الحموي: (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموي
الرومي.

- معجم الأدباء، مطبوعات دار المأمون، طبع القاهرة، الطبعة
الأخيرة (بدون تاريخ)، وطبعة أخرى (دار إحياء التراث العربي - بيروت).
- معجم البلدان ٥ مجلدات، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،

طبعة أخرى (بيروت - دار صادر - ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

١٢٢- يحيى بن الحسين: (ت ٢٩٨هـ / ٩١٠م)، الإمام يحيى بن الحسين بن القاسم.

- رسائل العدل والتوحيد، ج ٢، تحقيق: محمد عمار، طبع دار الهلال، ١٩٧١م.

١٢٣- اليعقوبي: (٢٨٢هـ / ٨٩٥م)، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح.

- تاريخي اليعقوبي، مطبعة الغرى، النجف، ١٣٥٨، (ثلاثة أجزاء).

- كتاب البلدان (طبعة ليدن ١٨٩١م).

١٢٤- اليمنى: (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م)، الحسين بن عبد الرحمن الأهل اليمنى.

- كشف الغطاء عن حقائق التوحيد، نشر: أحمد بكير، طبع مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، ١٩٦٤م.

ثالثاً: المراجع العربية الحديثة:

١- إبراهيم أحمد العدوى: الدكتور

تاريخ العالم الإسلامى، ج ١ (عصر البناء والانطلاق)، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٣م.

٢- إبراهيم مذكور: الدكتور

فى الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه، ج ٢، دار المعارف، ١٩٨٣م.

٣- أبو الوفا الغنيمى التفتازانى: الدكتور

علم الكلام وبعض مشكلاته، دار الثقافة الجامعية للطباعة والنشر بالقاهرة، ١٩٧٩م.

٤- أحمد أمين:

فجر الإسلام - الطبعة الرابعة عشر ١٩٨٦م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

ضحى الإسلام ج ٣، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة

١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م.

ظهر الإسلام ج١، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة

١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م، ج٤ الطبعة الخامسة، ١٩٨٢م.

٥- أحمد شلبي: الدكتور

التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية، ج٢، الطبعة الرابعة، ١٩٧٣م،
مكتبة النهضة المصرية.

٦- أحمد فريد الرفاعى: الدكتور

عصر المأمون، ٣ مجلدات (الطبعة الأولى، مطبعة دار الكتب المصرية،
القاهرة، ١٣٤٦هـ / ١٩٢٧م).

٧- أحمد فؤاد الأهواني: الدكتور

الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥م.

٨- أحمد محمود صبحى: الدكتور

فى علم الكلام ج١ (المعتزلة)، - الطبعة الرابعة، و مؤسسة الثقافة الجامعية -
الإسكندرية، ١٩٨٢م.

٩- إحمد محمد الحوفى: الدكتور

الفكاها فى الأدب - أصولها وأنواعها - القاهرة، مكتبة نهضة مصر،
١٩٥٦م.

١٠- أحمد مختار العبادى: الدكتور

دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، الإسكندرية، ١٩٦٨م.

١١- ألبير نصرى نادر: الدكتور

الفرق الإسلامية السياسية والكلامية - المطبعة الكاثوليكية، بيروت (بدون
تاريخ).

فلسفة المعتزلة (طبعة الاسكندرية ج١).

١٢- السيد الباز العرينى: الدكتور

الدولة البيزنطية - دار النهضة المصرية، ١٩٦٠ م.

١٣- السيد عبد العزيز سالم: الدكتور

تاريخ الدولة العربية، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، (بدون تاريخ).

المغرب الإسلامى - كتاب الشعب، عدد ١٣٨ - ١٣٩، القاهرة، ١٩٦١ م.

١٤- بدرى محمد فهد:

العمامة فى بغداد فى القرن الخامس الهجرى، (مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٦٧ م).

١٥- بدوى طبانة: الدكتور

الصاحب بن عباد - سلسلة أعلام العرب، عدد ٢٧، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.

١٦- جرجى زيدان:

تاريخ التمدن الإسلامى (طبعة راجعها وعلق عليها د. حسين مؤنس، مطابع دار الهلال، ١٩٥٨ م، ٥ أجزاء).

١٧- جمال الدين الشيال: الدكتور

تاريخ الدولة العباسية (مطبعة رويال، ١٩٦٧ م).

١٨- جمال الدين القاسمى الدمشقى:

تاريخ الجهمية والمعتزلة، الطبعة الثالثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٠٤٥ هـ / ١٩٨١ م.

موعظة المؤمنين فى إحياء علوم الدين (جزءان)، تقديم وتحقيق: عاصم بهجة البيطار، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م).

١٩- حسن إبراهيم حسن: الدكتور

تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى (٣ أجزاء) الطبعة العاشرة، مكتبة النهضة، ١٩٨٣ م - ١٩٨٥ م.

٢٠- حسن أحمد محمود: الدكتور

الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، ١٩٨٦ م.
قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي.
الإسلام والحضارة العربية في آسيا الوسطى بين الفتحين العربي والتركي،
دار النهضة العربية، ١٩٨٦ م.
العالم الإسلامي في العصر العباسي، بالاشتراك مع الدكتور: أحمد إبراهيم
الشريف، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧ م.
تاريخ الغرب الإسلامي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨ م.

٢١- حسنى زينة:

العقل عند المعتزلة، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ/
١٩٨٠ م.

٢٢- حسين مؤنس: الدكتور

فتح العرب للمغرب، القاهرة ١٩٤٧ .
فجر الأندلس، القاهرة ١٩٥٩ .

٢٣- خليل داود الرزق:

الحياة العلمية في الشام في القرنين الأول والثاني للهجرة (دار الآفاق
الجديدة، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٧١ م).

٢٤- رشيد يوسف عطا الله:

تاريخ الآداب العربية، تحقيق: دكتور/ علي نجيب عطوي، مؤسسة عز
الدين للطباعة والنشر، (الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، بيروت -
لبنان، جزءان).

٢٥- رمزية محمد الأطرقجي: الدكتورة

بناء بغداد في عهد أبي جعفر المنصور، النجف، ١٩٧٥ م.
الحالة الاجتماعية في بغداد من ١٤٥ هـ/ ٢٣٢ م، (الطبعة الأولى، ١٩٨٢،

مطبعة الجامعة ببغداد.

٢٦- زهدى حسن جار الله:

المعتزلة (مطبعة مصر، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م).

٢٧- سامى الكيلانى:

النفس الإنسانية فى أدب الجاحظ (مصر، دار المعارف ١٩٦١م، سلسلة
أقرأ، عدد ٢٢٦).

٢٨- سعد زغول عبد الحميد: الدكتور

تاريخ المغرب العربى، ج٢ تاريخ دولة الأغالبة والرستميين وبنى مدرار
والأدارة حتى قيام الفاطميين (منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٩م).

٢٩- سليمان دنيا: الدكتور

التفكير الفلسفى فى الإسلام (الطبعة الأولى، نشر مكتبة الخانجى بمصر،
١٩٦٧م).

٣٠- سيدة الكاشف: الدكتورة

مصر فى فجر الإسلام، الطبعة الثانية، دار النهضة القاهرة، ١٩٧٠م.

٣١- شاكى مصطفى: الدكتور

فى التاريخ العباسى، جزاءن (مطبعة الجامعة السورية، دمشق،
١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م).

٣٢- شوقى ضيف: الدكتور

العصر العباسى الأول (الطبعة السادسة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٦م).

العصر العباسى الثانى (الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥م).

الفن ومذاهبه فى النثر العربى (دار المعارف، الطبعة الثامنة، ١٩٦٠م).

البلاغة - تطور وتاريخ، طبع دار المعارف.

٣٣- صابر طعيمة: الدكتور

دراسات فى الفرق (الشيعية، النصيرية، الباطنية، الصوفية، الخوارج)،

- مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- ٣٤- صلاح الدين المنجد: الدكتور
بين الخلفاء والخلفاء فى العصر العباسى (بيروت، دار الكتاب الجديد،
١٩٨٠م).
- ٣٥- طه محمد الحاجرى:
الجاحظ، (دار المعارف - مصر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م).
- ٣٦- عامر النجار: الدكتور
علم الكلام - تعريفه وعوامل نشأته، (دار المعارف، الطبعة الأولى،
١٩٨٥م)، مصر
- ٣٧- عبد الحكيم بليغ: الدكتور
أدب المعتزلة (الطبعة الثالثة، دار انهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة،
١٩٧٩م).
- النثر الفنى وأثر الجاحظ فيه (طبعة القاهرة، ١٩٥٥م).
- ٣٨- عبد الحليم محمود: الدكتور
دلائل النبوة ومعجزات الرسول. دار الإنسان للتأليف والترجمة والنشر،
القاهرة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).
- ٣٩- عبد العزيز الدورى: الدكتور
دراسات فى العصور العباسية المتأخرة (مطبعة السريان، بغداد، ١٩٤٥م).
- ٤٠- عبد الفتاح السرنجاوى:
النزعات الاستقلالية فى الخلافة العباسية.
(القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٤٥م).
- ٤١- عبدالله سلوم السامرائى: الدكتور
الغلو والفرق الغالية فى الحضارة الإسلامية، (طبع الدار العربية، بغداد،
الطبعة الثانية، ١٩٨٢م).

- ٤٢- عبدالله علام: الدكتور
الدولة الموحدية في المغرب في عهد عبد المؤمن بن علي.
(مطابع دار المعارف بمصر، ١٩٧١م).
- ٤٣- عبد المتهم ماجد: الدكتور
العصر العباسي الأول (مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٣م)، وطبعة أخرى
(الطبعة الثالثة، ١٩٨٤م).
- ٤٤- عبد المتعال الصعيدي:
المجددون في الإسلام من القرن الأول الى القرن الرابع عشر (١٠٠ -
١٣٧٠م)، (المطبعة النموذجية - مصر (بدون تاريخ)، الناشر: مكتبة
الآداب).
- ٤٥- عز الدين فراج: الدكتور
فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية (طبع ونشر دار الفكر العربي،
القاهرة، ١٩٧٨م).
- ٤٦- عصام الدين عبد الرؤوف: الدكتور
الدولة العباسية (الناشر: مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، ١٩٨٥م،
المطبعة التجارية الحديثة بالقاهرة).
الدولة الإسلامية المستقلة في الشرق - طبع دار الفكر العربي، بدون
تاريخ).
- ٤٧- عصام الدين محمد علي: الدكتور
بواكير الثقافة الإسلامية وحركة النقل والترجمة - من أواخر القرن الأول
حتى منتصف القرن الرابع:
(الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٩٨٦م).
- ٤٨- علي إبراهيم حسن: الدكتور
التاريخ الإسلامي العام (مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة بدون

تاريخ).

٤٩- على بو ملحم:

المناحي الفلسفية عند الجاحظ (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر،

١٩٨٠م).

٥٠- على حسنى الخربوطلى: الدكتور

تاريخ العراق فى ظل الحكم الأموى (القاهرة، ١٩٥٩م).

الحضارة العربية الإسلامية (القاهرة، ١٩٦٢م).

٥١- على حبيبة: الدكتور

العباسيون فى التاريخ (مطبعة الإرشاد، القاهرة، ١٩٨٠م)

٥٢- على سامى النشار: الدكتور

نشأة الفكر الفلسفى فى الإسلام، ج ١ (الطبعة الثالثة، دار المعارف،

القاهرة، ١٩٦٥م).

٥٣- على مصطفى الغرابى: الدكتور

أبو الهذيل العلاف (الطبعة الأولى، مطبعة حجازى، القاهرة،

١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م).

تاريخ الفرق الإسلامية (الطبعة الأولى، ١٩٤٨م، الناشر: المكتبة الحسينية

بالقاهرة، مطبعة السعادة).

٥٤- عمر فروخ:

تاريخ الأدب (الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٨م).

٥٥- فاروق عمر: الدكتور

الخلافة العباسية فى عصر الفوضى العسكرية (منشورات مكتبة المثنى ببغداد

- العراق، الطبعة الثانية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م).

بحوث فى التاريخ العباسى (بغداد، ١٩٧٧م).

العباسيون الأوائل، جزآن، بيروت، بدون تاريخ.

٥٦- فتح الله خليف: الدكتور

فلاسفة الإسلام (الناشر: دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، بدون تاريخ).

٥٧- فيصل بدير عون: الدكتور

فكرة الطبيعة في الفلسفة الإسلامية مع بيان مصادرها، (مكتبة الحرية الحديثة، جامعة عين شمس، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م).

٥٨- محمد أبو زهرة:

أبو حنيفة - حياته وعصره - آراؤه الكلامية وفقهه، (طبع دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٧م).

أحمد بن حنبل «حياته وعصره» (طبع دار الفكر العربي).
الشافعي - حياته وعصره - آراؤه وفقهه (دار الفكر العربي، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م).

ابن حزم - حياته وعصره - آراؤه وفقهه (دار الفكر العربي، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م)

تاريخ المذاهب الإسلامية، ج١ (في السياسة والعقائد)، (دار الفكر العربي - ١٩٧١م).

تاريخ الجدل (الطبعة الثانية، ١٩٨٠م - دار الفكر العربي).

٥٩- محمد أحمد الخطيب: الدكتور

الحركات الباطنية في العالم الإسلامي - عقائدها وحكم الإسلام فيها (مكتبة الأقصى - عمان - الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٦٠- محمد البهي: الدكتور

الجانب الإلهي في التفكير الإسلامي (القاهرة، مكتبة وهبة، (جزءان)، الطبعة الثانية:

ج١ ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٨م.

ج ٢ ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م.

٦١- محمد بن تاويت:

الأدب المغربي، بالاشتراك مع محمد الصادق عفيفي (دار الكتاب اللبناني - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٩ م).

٦٢- محمد الخضرى:

تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية)، (الطبعة العاشرة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، بدون تاريخ).

٦٣- محمد جمال الدين سرور: الدكتور

تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق، (مطبعة دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٦٥ م).

الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية خلال القرنين الأول والثاني بعد الهجرة (دار الفكر العربى، مصر، ١٩٦٠ م).

٦٤- محمد ضياء الدين الرئيس: الدكتور

النظريات السياسية الإسلامية.

(دار التراث - القاهرة - الطبعة السابعة، ١٩٧٩ م).

٦٥- محمد عاطف العراقى: الدكتور

تجديد فى المذاهب الفلسفية والكلامية

(الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩ م).

٦٦- محمد عبد الله عنان:

- عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس - القسم الأول والثانى (القاهرة، ١٩٦٤ م).

٦٧- محمد عبد المنعم خفاجى: الدكتور

- الحياة الأدبية فى العصر العباسى (القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٤ م).

٦٨- محمد عبد الهادى أبوريدة: الدكتور

- إبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية والفلسفية، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م).

٦٩- محمد عبده: الإمام

- رسالة التوحيد (مطابع دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ).

٧٠- محمد عزيز نظمى سالم: الدكتور

- إبراهيم بن سيار النظام (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م).

٧١- محمد على دبوز: الدكتور

- تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ٣ (القاهرة، ١٩٦٣م).

٧٢- محمد عمارة: الدكتور

- المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية (طبعة المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٧٢م).

- المعتزلة والثورة (طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

١٩٧٧م).

- الدين والدولة (طبعة الهيئة المصرية العامة لكتاب، ١٩٨٦م).

- الإسلام والمستقبل (طبعة دار الشروق، الطبعة الأولى،

١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م).

٧٣- محمد عويس: الدكتور

- المجتمع العباسي من خلال كتابات الجاحظ (دار الثقافة للطباعة والنشر،

القاهرة، ١٩٧٧م).

٧٤- محمد كرد علي:

- الإسلام والحضارة العربية، جزءان (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية،

١٣٤٥هـ/ ١٩٣٦م).

٧٥- محمد مصطفى هدارة: الدكتور

- اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، (مصر، دار المعارف،

١٩٦٣م).

- المأمون الخليفة العالم - سلسلة أعلام العرب

رقم ٥٩ - الدار المصرية للتأليف والنشر).

٧٦- محمود إسماعيل: الدكتور

- المعتزلة في المغرب حتى قيام الدولة الفاطمية (الرباط، ١٩٨٦م).

- الخوارج في المغرب (دار العودة، بيروت، بدون تاريخ).

٧٧- مجيد عبد الحميد ناجي:

- الأثر الإغريقي في البلاغة العربية من الجاحظ الى ابن المعتز (العراق -

مطبعة الآداب - النجف، ١٩٧٦م).

٧٨- مصطفى السباعي: الدكتور

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي (الطبعة الأولى، مكتبة العروبة،

القاهرة، ١٣٨٠هـ)

٧٩- مصطفى عبدالرازق: الشيخ

- تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،

القاهرة، ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م).

٨٠- منى حسن محمود: الدكتورة

- المسلمون في الأندلس (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٦م).

٨١- موافى: عثمان

- التيارات الأجنبية في الشعر العربي منذ العصر العباسي حتى نهاية القرن

الثالث الهجري (الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٣م).

٨٢- نشأت العناني: الدكتور

- فن السخرية في أدب الجاحظ (الطبعة الأولى، مطبعة السعادة، القاهرة،

١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م).

٨٣- ودیعة طه النجم:

- الجاحظ والحاضرة العباسية (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٦٥م).
- الشعر في الحاضرة العباسية (الكويت، شركة كاظمة، ١٩٧٧م).
منقولات الجاحظ عن أرسطو في كتاب الحيوان، (الكويت، منشورات
معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٨م).

٨٥- يوسف كرم: الدكتور

- تاريخ الفلسفة اليونانية (الطبعة الرابعة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر عام ١٩٨٥م).

٨٦- يحيى هويدي: الدكتور

- دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية، دار الثقافة للطباعة والنشر،
١٩٧٩م، القاهرة).

رابعاً: مراجع إفرنجية مترجمة:

- ١- الدومبيلي: العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي (ترجمة: دكتور عبد
الحليم النجار، دكتور محمد يوسف مريس، الطبعة الأولى، ١٩٦٢).
٢- أوتوير بتزل: مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الأولين في الإسلام (ترجمة د.
محمد عبد الهادي أبو ريدة، وهو مطبوع كذيل لكتاب مذهب الذرة عند
المسلمين، دار النهضة المصرية القاهرة، ١٩٤٦م).
٣- أولبري: د. لاس.

- مسالك الثقافة الإغريقية إلى العرب (ترجمة د. تمام حسان، مطبعة وزارة
الثقافة والإرشاد القومي، نشر عالم الكتب، القاهرة).

٤- بالنشيا: آنخل جنثال.

- تاريخ الفكر الأندلسي (ترجمة د. حسنين مؤنس، القاهرة، ١٩٥٥م).

٥- بل: (ألفرد).

- الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي (ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي،
بنغازي، ١٩٦٩م).

٦- بول كراوس: التراجم الأرسططاليسية المنسوبة الى ابن المقفع (ترجمة د. عبد الرحمن بدوى، القاهرة، ١٩٦٥م، ضمن مجموعة التراث اليونانى فى الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية).

٧- بينيس: مذهب الذرة عند المسلمين (ترجمة د. عبد الهادى أبو ريدة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٦م).

٨- جولد تسهير: العقيدة والشريعة فى الإسلام (ترجمة: على حسن عبد القادر وآخرين، طبع القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٤٦م).

٩- دى بور: تاريخ الفلسفة فى الإسلام (ترجمة: د. محمد عبد الهادى أبو ريدة، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م).

١٠- صلاح الدين: خودابخش

الحضارة الإسلامية (ترجمة: د. على الخربوطلى، القاهرة، ١٩٦٠م).

١١- غورديه، لويس

فلسفة الفكر الدينى بين الإسلام والمسيحية (تعريب: صبحى الصالح، وفريد جبر، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٨م).

١٢- فيليب حتى: تاريخ العرب (ترجمة: د. نافع مبروك القاهرة، ١٩٥٣م).

١٣- كارل بروكلمان:

- تاريخ الشعوب الإسلامية (ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٥٣م).

- تاريخ الأدب العربى (ترجمة: د. السيد يعقوب بكر، ود. رمضان عبد التواب، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ج٤).

١٤- كريم: فون

الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية (ترجمة: طه بدر - طبعة دار الفكر العربى، القاهرة).

١٥- ليفى بروفستال: الإسلام فى المغرب والأندلس (ترجمة: د. السيد عبد العزيز

- سالم، والأستاذ محمد صلاح الدين حلمي، القاهرة، ١٩٥٨ م.
- ١٦- ماكس مايرهوف: بحث في تاريخ التعليم الفلسفي (ضمن كتاب التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. عبد الرحمن بدوي، طبعة دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٥ م).
- ١٧- محمد الطالبي: الدكتور
الدولة الأغلبية (نقله الى العربية الدكتور: المنجي الصيادي، دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٥ م، الطبعة الأولى).
- ١٨- هاملتون جب: دراسات في حضارة الإسلام (ترجمة: إحسان عباس وآخرين، نشر دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤ م).
- ١٩- هل جوزيف
الحضارة العربية (ترجمة: إبراهيم العدوي، سلسلة ألف كتاب، القاهرة، ١٣٧٥ هـ/ ١٩٥٦ م).
- ٢٠- ولتر. م. باتون: أحمد بن حنبل والمحنة (ترجمة: عبد العزيز عبد الحق، طبع دار الهلال، القاهرة، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٨ م).
- ٢١- يعقوب ليسر: الدكتور
خطط بغداد في العهود العباسية الأولى، (ترجمة: صالح أحمد العلي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٤ م).
- ٢٢- يوليوس فلهوزن: الخوارج والشيعة (ترجمة: عبد الرحمن بدوي، طبعة القاهرة، ١٩٥٨ م).

خامساً: المقالات:

- ١- أسعد طلس:
- الحياة الاجتماعية في القرنين الثالث والرابع.
(مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد الثاني - بغداد ١٣٧١ هـ/ ١٩٥٢ م).
- ٢- حسن إبراهيم حسن:
- المؤمنون وعلى الرضا

- ٣ - طه محمد الحاجري:
- المجلة كلية الآداب - المجلد الأول - الجزء الأول - مايو ١٩٣٤ م
- الجاحظ مؤرخ الحياة العربية الشعبية.
(بغداد - مجلة المورد - المجلد الثاني عشر - العدد الأول ١٩٨٣ م).
- ٤ - عبد السلام محمد هارون:
- الجاحظ والمعلمون.
(القاهرة: مجلة الكتاب - دار المعارف للطباعة والنشر، ١٩٤٦ م).
- ٥ - محمد عبد الهادي شعيرة: الدكتور
- الممالك الحليفة، أو ممالك ما وراء النهر والدولة الإسلامية الى أيام
المعتصم.
(مجلة كلية الآداب - جامعة فاروق الأول - المجلد الرابع ١٩٤٨ م).
- ٦ - محمد عمارة: الدكتور
- المعتزلة.
(مجلة الكويت - الكويت - الأعداد: ١٢، ١٣، ١٦، ١٨
- الشك المنهجي عند الجاحظ
(الكويت - مجلة العربي - العدد ٢٢٧ - أكتوبر ١٩٧٧ م).
- ٧ - مصطفى عبد الحميد: الدكتور
- نظرية الجاحظ في الترجمة.
(العراق - مجلة المورد - المجلد السابع - العدد ٤ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٨ م).
- ٨ - هيفاء عكاري الرافعي:
- السخرية في أدب الجاحظ.
(العراق - مجلة المورد - المجلد الحادي عشر - العدد الثاني ١٩٨٢).
- سادس: الرسائل العلمية:**
- ١ - صباح إبراهيم البطروخ
- محمد بن عبد الملك الزيات (الوزير الأديب).

(رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد الدراسات الإسلامية

١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).

٢- صلاح عبد الهادي مصطفى الحيدري

- المجتمع العراقي في العصر العباسي الأول.

(رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٧١م).

٣- فتحى أحمد محمد رضوان

- مشكلة خلق القرآن بين المعتزلة وأهل الفلسفة

(رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الآداب - جامعة الزقازيق ١٩٨٧م).

٤- محمد أبو زيد

- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الريف المصرى من الفتح العربى الى نهاية العصر

الفاطمى.

(رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية البنات - جامعة عين شمس، ١٩٨٥م).

٥- مختار حسن طه المخلص

- المجتمع العباسى فى مؤلفات الجاحظ.

(رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الدراسات الإسلامية ١٩٨٦م).

٦- مجاهد مصطفى بهجت

- التيار الإسلامى فى شعر العصر العباسى الأول.

(رسالة دكتوراه - مقدمة لجامعة الأزهر - سنة ١٩٧٥م).

٧- مليحة محمد رحمة الله

- الحالة الاجتماعية فى العراق فى القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة.

(رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الآداب - جامعة القاهرة، سنة ١٩٦٨م).

سابعا: المعاجم ودوائر المعارف والموسوعات:

١- دائرة المعارف الإسلامية (مترجمة).

القاهرة - دار الشعب - المجلد العاشر.

٢- الموسوعة الفلسفية المختصرة

(نقلها عن الإنجليزية: فؤاد كامل، جلال العشري، وعبد الرشيد الصادق،
راجعها وأشرف عليها د. زكى نجيب محمود - مكتبة الأنجلو المصرية
١٩٨٢م).

٣- الموسوعة العربية الميسرة

(بيروت - دار نهضة لبنان للطبع والنشر، ١٩٨١م).

٤- لويس المعلوف

- المنجد فى اللغة والأعلام

(بيروت - دار المشرق، ١٩٨٤، ط ٢٧).

٥- المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

٦- لسان العرب:

(بيروت - دار لسان العرب - بدون تاريخ).

٧- الأب روفائيل نخلة اليسوعى:

غرائب اللغة العربية

(بيروت - المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦٠م - الطبعة الثانية)،

٨- الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى

(القاهرة - دار الفكر العربى ١٩٦٠م).

٩- دائرة معارف القرن العشرين

محمد فريد وجدى - دار المعرفة - بيروت لبنان، ١٠ أجزاء - الطبعة الثالثة

١٩٧١.

١٠- الموسوعة القرآنية

تقاسيم تصنيفها: إبراهيم الإبيارى، عبد الصبور شاهين، ٥ مجلدات -

مطابع سجل العرب - القاهرة، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

١١- معجم ألفاظ القرآن الكريم

(٢ مجلد)، الطبعة الثانية - الهيئة المصرية للتأليف والنشر -

١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.

ثامنا: المراجع الاجنبية:

- 1- Bowen: harold
 - The life and times "Ali ibn isa " , " The good vizier" (CAMBRIDGE, 1928).
- 2-Canon sell: rev.
 - The umayyad and the abbasid khalifates(1914).
- 3- Dozy:
 - Histoire des musulmans d'espayne, ed: levi peovenal (Leiden,1976).
- 4- Forstner: martin.
 - Des kalifat des abbsiden al-musta' in (mainz 1968).
- 5-Gabrieli: francesco.
 - Al - ma'mune gli' alidi (Leipzig, 1929).
- 6- Gibb: h.a.r.
 - The arab conquests in cenrral asia (2 vols london, 1923).
- 7- GILMAN, ARTHUR.
 - The saracens from the earliest times to the fall of bagdad (New york, 1886).
- 8- Graham hough:
 - Style and stylisties (London, 1969).
- 9- Hamilton:
 - Mohammedanism (Mentor 1955).
- 10- Mac donald:
 - Development of muslim theology, jurisprudence and constitutional theory. (New york 1903).

11- Masqueray, E:

-Chronique D'abo zakaria, (Alger,1878).

12- Muir: sir william

- The caliphate, its rise, decline and fall (1915).

13- Nicholson a.Rinold:

- Literary history of the arabs (Cambridge, 1953).

14- Noldeke: theodor

- Sketches from eastern history (london 1953).

15- Sourdel, Ddominique

- Le vizirat "abbasede (2vols - danas 1959).

16-Sykes, percy

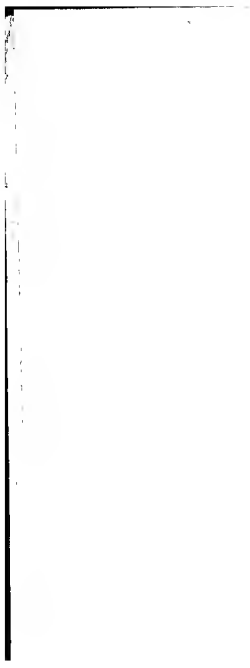
-Ahistory of persia (2 vols - third Edition london, (19958).

17- Watt,w.m:

- The political attitude of the mu'tazilah" (l.r.a.s 1963).

18-Wensinck a.i.,:

the musim greed, (Cambridge, 1932).



great scholars was mahnoud el - khawarizmi.

The problem of the criation of quaran spread also in tunista..

But it was severely fought back by the malqees, who were sticking to the Holy Quaran and sonnaad they could defeat moutazela. middle morco was not far away from the troubles. there, during different periods, disputes and agreements took place between moutazela and abadía. moutazels played simelar role in the far moroco. the state of addaressa was a refuge for moutazela, and the tribe of croga was mainly moutazela. moutazela of the west were in contact with those lf the east

until the shcia prevailed with the establishment of fatime state (296 h \900 A. D.).

to the extent that it was used by people to trap thier foes ; accusing them of denying the creation of quaran.

In el-sham the khaliph mamoun was examining the people himself in the creed of moutazela in the year (218h\833 A.D.). But a little was done by the government to but the trial into action.

In bagdad the question of the creation of quaran was the central topic during the reign of mamoun,motassem, and wathiq.

The severs trial had a great political and intellectual impact in the eastern part of islamic world.

The credo prevailed during the buihi state in Iraq and kho-rassan and beyond the river. But in the countries where sonna was prevailing, moutazela were wesk and inferior.

** Moutazela occupied important posts in jurisprudence. Judge abd-el gabar (died 414h\1023 A.D.), Who worked as a judge of irrigation was an eminent example of the moutazels. But their power came into climax of the moutazels. But their power came into climax in the goverment of el-saheb ibn aiad (385h\995Z A.D.). Saheb did his best to prevail citezal and to make people follow its creed. His manner varied from peaceful persuasion to the use of violence.

During the era of sultan mahumoud el - Qurnawi (Died in 42ih\1030a.d.) moutazela were prosecuted. sultan Mahoud sent them into prison, fought, and expelled them and they resorted to khowarizm. there they worked to spread their creed. among their

ponency was concentrated in Ahmed Ibn Hanbal.

EL- Moutassem (218 H / 833 A.D. - 227 H. 841 A.D.) followed the steps of his brother Mamoun. He also obliged people to admit the creation of Quaran.

** When wathiq came into reign (227h\841 A.D.) He followed his two predecessors, and even he was more strict. When it reached the brem and the people could not suffer any more trouble and compulsion , they made a conspiracy , led by Ahmed Ibn Nasr ELEkhozaii, who gathered those people who uejected to admit the creation of Quaran. But the conspiracy was discovered and the khaliph killed the traitor and crossified him in Bagdad. Before his death wathiq renouced his belief in the creation of Quaran.

When Motawkel became the khaleph in (232h\836 A.D.), he was not interested in the cause of the creation of Quaran and so the severe trial lost its power. He made some reforme, of which he renounced arguements and disputes and called for a regain of sonna.

** The greatest fault of moutazela is that they demolished one of the important pillars of their creed, namely, the freedom of the individual to choose at a time they forced people to admit the creation of Quaran.

The cause of the creation of Qugram was not confined to the irials held to pwople to admit it, but it included the public amd private mictings and it became a familiar question among people

cerned with and interested in literature. In Literature, they were mainly interested in meanings, power of reason and degenerating idea. The familiar topics were animals, misers merchants, tutors.... etc.

** Prose flourished during this epoch and it included sciences, and philosophy. Moutazela showed interest in debates and dialectics in Arabic prose writings. verbal debates were common during the Abbasi era. while they were retaining a kind of intellectual sublimity and with sarcasm and disrespect.

Many of the poets were influenced by Moutazela and they used many poems dedicated their poetry to defend Moutazela and their views.

among the famous names of scientists and scholars of Moutazela one can refer to Beshr Ben EL Moutamer (died in 210 H / 825 A.D.), EL - Marded (died in 226 H / 840 A.D.), Gafar Ben Mobasher (Died in 234 H / 848 A.D.) Gafar Ben Hard (Died in 236 H / 850 A.D.) Theomama Ben EL - Ashras (Died in 213 H / 828 A.D.) and Ahmed Ben Abi Dawood (Died in 240 H: 854 A.D.).

** During the reign of EL - Mamoun Eitezal was Confined to the topic of the creation of Quara, Which was called the severs trial. This topic was the main interest of the state from (218 H. / 833 A.D.) to (234 H / 848 A.D.) Mamoun forced the people to admit the creation of Quaraan in the year (218 H / 833 A.D.) He examined, for this, the judges, religious scholars and the op-

the power of moutazela was gradually diminishing and sonna tok the advantage to fight the vocation of the creation of Quaran. Also, religious scholars regained their prestige during that era and they had the chance to attack moutazela.

** Looking into the creed of moutazels, one would find that it mainly intellectual. They believed in the power of reason. Many of the accusations directed to them were unfair and the offences were sweeping to their various trends.

Emam Mohamed Abdou agreed upon their call for the freedom of the individual and his right to choose.

** They came up with new outlooks and unusual views that nobody dare to declare before them.

Moutazela paved the way to Moslim philosophers to read Greek sciences. They read greek books in their original form or translated to Arabic. Moutezala tried to harmonize between Islam and Greek philosophy and this made them come under the influence with philosophy in general and this appeared in their statements and pronouncements.

** In brief, it can be said that moutazela were most influenced by the greek philosophy, and they used it in their religious dialectics. They could create a kind of harmony between the simple and clear islamic culture with the complicated Hellenistic culture.

** Moutazela realised the effect of literature on building up the culture and on illuminating minds, and so they were deeply con-

whether they were Quran, or sonna (tradition of the prophet). They were alluding the holy texts according to their own belief and rejecting the Hadeth (sayings of the prophet) which contradicted their creeds.

** They were interpreting the texts, in their way, to prove their belief in seeing Allah, and the texts of personification and embodiment, and those of obligation and destiny. They expressed their suspicion in many of the hadith to the extent that sometimes they rejected some of them, specially those sayings concerning the obligation as came down through one source only. They went as far as announcing their doubts in the authenticity in some of these saying some of them denied the unanimity and Quias (applying the same verdict on similar cases).

As for their view concerning the followers of the prophet, they placed them on equal terms with ordinary people, who may be right or wrong, and could be praised or attacked and some of them were severely attacked by moutazels.

When the moutazela had the power in their hands, they began to act intolerably towards religious scholars, and accuse them even in the authenticity of their creed during the reign of Ed-Mamoun, El-Moutasem and El-Watheq, religious scholars were sent to prison and were forced to follow the creeds and views of moutazela..

It was natural that the religious scholars united against this bad intolerance of moutazela. During the reign of El-Motawakil

ination. These principles were drawn from the discussion between them and their opponents.

Basra continued to be the center of this movement till the capital was established in Bagdad where some of the advocates of the movement were settled, and hence the moutazala of Bagdad began to separate from those in Basra and they began to approach the caliph Mamoun who had tendency to follow this belief and so he brought the moutazala closer to him. He agreed to their creed that the holy Quran was created and used the power of the state to force the people to admit this creed.

The Al-Mamun's belief in the creed of moutazala was announced but during the closing years of his life (211 h. \ 826 A.D.) - (218 H. \ 833 A.D.). After the death of Mamoun, his successor Al-Mutasim (218 H. \ 833 A.D. - 227 H. \ 841 A.D.). Forced the people to admit the creation of Quran and ordered the tutors to teach this to their disciples.

when El-Wathik came into reign (227 H. \ 841 A.D. - 232 H. \ 846 A.D.), he became fanatic to the same creed.

El-eitizal or separation was the only verbal creed in Basra, but in Bagdad, being near the state and close to kaliphs, it became a practical one.

Moutazala contradicted their ancestors in their understanding of the creeds. Their own approach was purely intellectual, and they worked to apply intellectual judgements to religious creeds. The live principles were the base of their treatment of the texts

CONGLUSTON

AS A RELIGIOUS SECT, El- Moutazala appeared during the era of the umayyad caliphate state, namely at the beginning of the second century of hira, the 8 th century A.D.) During abbaid era, two schools of moutazala were established in Basra and Baghdad. This sect was given many titles as moutazala and the people of justice and oneness and given to them by others to attack or criticize them. There are also titles many other tekles gave given to one of their many parties or excluded to one of their sub-beliefs.

Historians of the sects differentiated among themselves around the historical origination of this sect. It seems that the spirit of moutazala had its roots in the seditions that took place since the camel war, so the talking moutazala are considered as a continuation

of the political moutazala who were nonaligned in the dispute between the supporters of all and those Muawiya and later between the supporters of the offspring of Ali and those of Umayyad caliphs the name of separation or Eitezal is given for a sect with certain principles and not a mere separation from one party to join another.

There are five principles for moutazala. These principles are oneness, justice, promising and threatening, middle position between the extremes, asking for the good and forbidding the abom-



General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Public Library Organization

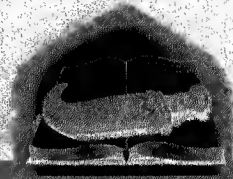
El-Moutazela in Bagdad and their influence on intellectual and political life from the reign of Kaliph El-Mamoun until the death of El-Moutawkel

ALa - Allah. (198 - 247 h) (813 - A.D.)

Dr. ahmad Shawki Ibraheem Al-Amarraji

1

المعتزلة في بغداد وأثرهم في الحياة الفكرية والسياسية



قد لعب الفكر الاعتزالي دورا هاما في صياغة الفكر الإسلامي وفي التأثير في المجتمع منذ أواخر القرن الأول الهجري، ولم ينفك هذا التأثير بإيجابياته وسلبياته يقوى الى أن بلغ أوجه في القرن الثالث الهجري، وكان المعتزلة يقدمون العقل على النص اذا ما بدا اختلاف بينهما.

وقد قسمت كتابي هذا الى أربعة فصول. تحدثت في الفصل الأول عن نشأة المعتزلة كشرقة دينية، وعن الاصل التاريخي لهذا النشأة، ووضحت مبادئ المعتزلة الدينية وهي اصولهم الخمسة التي قامت عليها حركة الاعتزال، وأثر هذه الاصول في آراء المعتزلة ثم تحدثت عن انتشار هذه المبادئ في بغداد.

وفي الفصل الثاني تناولت بالبحث اثر المعتزلة في الحياة السياسية مع بيان مرحلة خلق الضران في عصر المأمون وانعكاسها في الحياة السياسية في بغداد، و مرحلة خلق الضران في عهد المعتصم، و مرحلة خلق القرآن في عهد الواثق، ثم نهاية المرحلة في خلافة المتوكل على الله، وأثر المعتزلة في الفكر السياسي.

أما في الفصل الثالث فقد وجهت اهتمامي الى دراسة اثر المعتزلة في الحياة الفكرية، ووضحت موقف المعتزلة من الكتاب والسنة، ثم المعتزلة والفقهاء، وتحدثت عن المعتزلة وحركة الترجمة عن الفكر الإغريقي، ومدى تأثير المعتزلة بهذا الفكر، وانعكاس ذلك على أفكارهم، ثم وضحت أثر المعتزلة في الحياة الأدبية، وأشهر علماء المعتزلة في بغداد.

وخصصت الفصل الرابع لدراسة اثر المعتزلة في العالم الإسلامي سياسيا وفكريا، ووضحت هذا الأثر في بغداد والشرق، وفي مصر والشام، وفي المغرب.

من مقدمة المؤلف

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مدبولي

6 Talat Harb SQ. Tel: 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت: ٥٧٥٦٤٢١